مجلة فكرية نصف سنوية

تصدر عن العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز الفكر والإبداع

بسم الله الرحمن الرحيم

يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات

صدق الله العلي العظيم

العلم الشرفوي
غُربَاءُ لِكَثرَةِ الجُهَّال

مجلة فكرية نصف سنوية

العدد العشرون

المشرف العام:
عقيل عبد الحسين الياسري

رئيس التحرير:
رضوان عبد الهادي

مدير التحرير:
محمد يوسف

هيئة التحرير:
نجاح المرسان
حيدر فائق
حيدر محمد
احمد نعمة

المراجعة اللغوية:
علي هاشم

التصميم والاخراج:
مصطفى محمد

alfkrya.com
alfkrya2@gmail.com

فهرس المحتويات

- كلمة المركز ٦
- إلماعة على فضل الإمام علي (عليه السلام) ٨
- حياة الإمام علي (عليه السلام) وانتظار الفوز ١٤
- زواج النورين ٢٦
- الأثر المستدام في الرسالة الإسلامية ٣٦
- السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) الإيمان والتصديق ما قبل وبعد البعثة ٥٢
- الدعاء بين الصحيفة السجادية والباقرية دراسة فنية موازنة ٦٦
- فقه الإصلاح ٨٤
- فتوى الدفاع الكفائي في المُعطيات الشرعيّة والمحلّية والدوليّة ٩٠
- بين المسيرة الحسينية والفتوى التي رسخت نهج و حماية الأمة ٩٢
- القانون الإلهي والفتوى المباركة ١٠٢
- البقيع الفرقد ..ظلامة ومظلومية ١٠٦
- روايات فضائل الإمام ١١٨
- الولادة والشهادة و خصوصية المكان في حياة الإمام الرضا (عليه السلام) ١٢٢
- عيد الغدير في الإسلام وصلته بالمسلمين ١٣٤
- قراءةٌ جديدة لروايات التحريف ١٤٦
- مفهوم آخر الزمان والامام المهدي (عجل الله فرجه) ١٥٦

- القصائد الفائزة بالمراكز الأولى ١٨٦

- بطاقة شهر رجب ٢٠٤
- بطاقة شهر شعبان ٢٠٦
- بطاقة شهر رمضان ٢٠٨
- بطاقة شهر شوال ٢١٠
- بطاقة شهر ذو القعدة ٢١٢
- بطاقة شهر ذو الحجة ٢١٤

« أول الكلام له الصدى »

الصَّدى مجلة نصف سنويَّة فكريَّة تستقبل المقالات والبحوث ذات المنهج الفكري، تهدف إلى نشر الفكر الأصيل والسَّليم في المجتمع من خلال أستكتاب الأقلام العلميَّة الرصينة، وكذلك نشر البحوث والمقالات التي كتبت لمؤتمرات علميَّة وفق الاختصاصات والمحاور التي تصلح أن تكون مادةً علميَّة تسهم في تغذية العقل بما ينتفع به، وليكون منهج النَّشر هو أن تقاس قيمة الإنسان بما يحمله من أفكار في الأمور المعنويَّة، فهو بواسطة هذا الفكر يتجاوز السَّطحيَّة، ليرقى إلى الدَّرجات الإنسانيَّة العليا.

والتَّرقِّي المعنويِّ لابن آدم إنَّما يتحقَّق بفضل تفكيره في الأمور الباقية، ولنا خير مثال على ذلك هو نهج وطريقة إمام البلاغة والبيان الإمام علي (عليه السلام)، في نهج البلاغة حيث إنَّها زاخرةٌ بالمواعظ والحكم والدُّروس لمن أراد الفوز برضا الله تعالى.

في كل عدد من هذه المجلة سنتناول موضوعاً مهمًّا عن الدِّين الحنيف ويكون لشخصيَّة علميَّة بارزة ، وكذلك نسلط الضَّوء على جانب من الجوانب المنيرة في سيرة أئمة الهدى والصَّلاح ... نلتقي في العدد القادم دمتم في رعاية الله تعالى وحفظه.

رضوان عبد الهادي

إلماعة على فضل الإمام علي (عليه السلام)

الشيخ علي الجزيري

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصَّلاة وأزكى التَّسليم على أشرف الخلق أجمعين محمَّد وآله الطَّيِّبين الطَّاهرين، واللَّعنة الدَّائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدِّين.

لَمَّا أمر الله سبحانه وتعالى موسى (عليه السلام) أن يذهب إلى فرعون أنَّه طغى، طلب موسى من الله ثمانية أمور، قال: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي)[1].

طلب ثلاثًا لنفسه ولكنَّه لم يكتفِ بذلك، بل أضاف إليها خمسة أمور ليست له: (وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)[2]، طلب موسى (عليه السلام) ثمانية أمور ثلاثة له وخمسة لهارون، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) قال في الإمام عليٍّ (عليه السلام) مقالته لو وعاها المسلمون لعرفوا قدر الإمام (عليه السلام) فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنَّقل المتواتر أنَّه قال في أمير المؤمنين علي-: (أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبي من بعدي)[3].

> منزلة هارون من موسى ليست بالأمر الخفيِّ على المسلمين، منزلة هارون من موسى (عليه السلام) جمعتها هذه الأدعية الخمسة التي تخصُّ هارون.

١- سورة طه، الآيات: ٢٥-٢٨.
٢- سورة طه، الآيات: ٢٩-٣٢.
٣- ينابيع المودة ص ٥٦.

وقد جاءت منزلة هارون من موسى في مواضع أخر في القرآن الكريم ولكنَّنا نكتفي بالإشارة إلى ما تضمّنته هذه الأدعية الخمسة فقط وفيها كفاية لمن ألقى السَّمع وهو شهيد.

لو كانت منزلة هارون من موسى بيد هارون لكانت منزلة علي من رسول الله بيد رسول الله(ﷺ)، ولكن رسول الله(ﷺ) استثنى النّبوّة ليبيّن أنَّ منزلة علي منّي ليست بجعل منّي وإنَّما هي بجعل من الله،كما أنَّ النّبوّة بجعل من الله، ولو كانت منزلة علي من رسول الله (ﷺ) بجعل من رسول الله لما احتاج الرسول(ﷺ) أن يستثني النّبوّة لأنَّه لا يحتمل في حقِّ المنزلة التي بيد رسول الله أن تدخل فيها النّبوّة لتحتاج إلى الاستثناء والاستخراج.

> **اجعل لي: إنَّ هذه المناصب لهارون من موسى لم تكن مناصب يقدر موسى أن يجعلها لهارون، وإنَّما هي مناصب يجعلها الله سبحانه، فالحكمُ لله، ونبي الله موسى لا يقدر أن يجعله فتوجّه لربّه وخاطبه أنت يا ربِّ اجعله لي، ويؤكِّد هذه الدلالة قول رسول الله (ﷺ): (إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي)[٥].**

هذا كلام من أوتيَ جوانب الكَلِم، وهذا كلام خير الورى، هذا كلام من لا ينطق عن الهوى إن هو إلَّا وحيٌ يوحى، إذاً منزلة علي من رسول الله (ﷺ) تبيّنها الأدعية الخمسة من موسى لهارون (وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي)[٤].

٤- سورة طه: ٢٩.
٥- ينابيع المودة ص ٥٦.

فالإمامُ عليٌّ(عليه السلام) وزير رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ لأنَّ عليًّا بمنزلة هارون من موسى وهارون وزير موسى، (اجعل لي وزيرًا من أهلي)، عليٌّ من أهل رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وعندما يصف القرآن أحداً بأنَّه من أهل أحد فيجب أن نستحضر أنَّ ولد نوح قال القرآن الكريم فيه: أنَّه ليس من أهلك؛ لِمَ؟ لأنَّه لا مشاكلة ولا مجانسة بين نوح وبين ولده، فنُفِيَتْ عنه هذه الصِّفة أي كونه من أهله، وأمَّا هارون فقد أثبت القرآن الكريم أنَّه من أهل موسى، وبحكم كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عليٍّ فإنَّ عليًّا من أهل رسول الله (صلى الله عليه وآله).

> ولذلك ورد عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنَّه افتخر بأخوّته لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وافتخاره ليس بقصد التَّطاول على النَّاس، بل بقصد إقامة الحجّة عليهم، فقد بيَّن لهم أنَّه أخو رسول الله، وهذه الآية تبيِّن أنَّ هارون أخ لموسى وعلي بمنزلة هارون من موسى، فعلي أخ لرسول الله (صلى الله عليه وآله).

إنَّ حديث المؤاخاة حديث منفصل ورد بطريق صحيح، ولكن شاغب عليه ابن تيمية فقال إنَّه حديث لا يصحُّ لأنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطف على كلّ أحدٍ فلا يحتاج أن يجعل عليًّا أخاه ليصير عطوفًا عليه، وردَّه الإمام الحافظ ابن حجر إمام أهل السُّنَّة، وقال إنَّ هذا ردًّا للسنّة الصحيحة بالقياس، وقياس ابن تيمية باطل، فإنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا آخى عليًّا فإنَّ الأثر لا ينحصر في عطف رسول الله على أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، بل يظهر ذلك في ظهور مكانة الإمام علي (عليه السلام) عند المسلمين، وإنَّ هذا أخ لي، وهذا من سنخي، كما أنَّ الحديث صحيح، والحديث يشهد له بأنَّه متواتر؛ أعني حديث المنزلة فإنَّه رواه نيف وعشرون من الصَّحابة، وقد شهد بذلك إمام أهل الحديث الحاكم النيسابوري

فقال "هذا حديث دخل في حدِّ التَّواتر"[٥] وهو حديث رويَ في الصَّحيحين فهو إذن حديث يفيد اليقين.

> إنَّ اليقين الضَّروري إن قبل تواتره وهو به حقيق أو حديث يفيد اليقين النَّظري؛ لأنَّه مرويٌّ في الصَّحيحين، وقالوا إنَّ الأُمَّة قد أجمعت على تلقّي الصَّحيحين بالقبول فما أجمع عليه الصَّحيحان فهو من اليقينيَّات؛ وحديث المنزلة حديث مرويٌّ في الصَّحيحين،

وهذا الحديث يشهد لحديث المؤاخاة، (هارون أخي اشدد به أزري)، عليٌّ هو الذي شدَّ به ربُّ العزَّة والجلالة إزر سيِّد الورى فمن هو عليٌّ هذا؟

اشدد به أزري، ناصر رسول الله (ﷺ) هو الذي شدَّ الله به إزر رسوله (ﷺ)، وهذا وصف لم يأتِ لأحد غيره (عليه السلام)، وأشركه في أمره وهذه من أعجب الصِّفات، عليٌّ شريك لرسول الله (ﷺ) في أمره، ومن قصر عقله يظن أنَّ أمرَ رسول الله (ﷺ) منحصرٌ في النُّبوَّة فيقول هذا قد استثني من قول رسول الله (ﷺ) (إلّا أنَّه لا نبي بعدي)[٦]، إلَّا أنَّ هذا من ضيق الأفق؛ لأنَّ رسول الله (ﷺ) أمره واسع، وبيِّن في القرآن الكريم في مواضع شتّى، ومقامنا لا يسع إلَّا للإشارة والإلماعة إلى أمر رسول الله (ﷺ) فإنَّه شاهد، ومبشّر، ونذير، وداعٍ إلى الله بإذنه، وسراج منير، هذه كلُّها غيرُ النُّبوَّةِ، هذه كلُّها داخلة في هذا الحديث المتواتر المروي في الصَّحيحين الذي تبيِّنُه الآية فهل يجد في الأمَّة مَنْ هذا شأنه؟

٥- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب للحافظ الكنجي: ٢٨٣.
٦- ينابيع المودة ص ٥٦.

هل يوجد في الأمَّة غير علي بن أبي طالب (عليه السلام)؟

وهل يوجد من يقال فيه إنَّه شريك لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في كونه هاديًّا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًّا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا؟

"**أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**"[٧] . والحمد لله ربِّ العالمين ..

٧- سورة يونس: ٣٥.

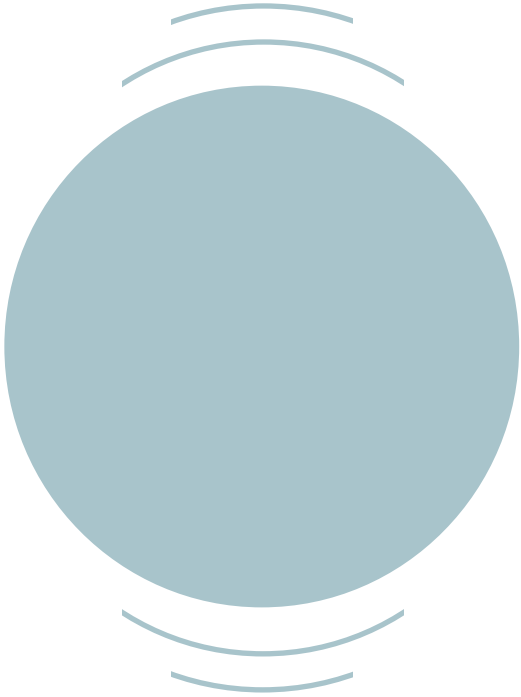

حياة الإمام علي (عليه السلام) وانتظار الفوز

محمد يوسف السعدي

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) شخصية عظيمة ومميَّزة في التَّاريخ الإسلامي ليس فقط بسبب ولادته الفريدة داخل بيت الله الحرام، ولكن أيضاً لكونه شاهدًا وشهيدًا على أهمِّ مراحل الرِّسالة الإسلاميَّة، فكانت حياته متصلة بشكل وثيق مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ الصِّغر، حيث رعاه النَّبيُّ (صلى الله عليه وآله) واعتنى به ليكون إلى جانبه عضيدًا ووزيرًا، فقد تولَّى الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) القيادةَ بعد رحيل النَّبيِّ (صلى الله عليه وآله)، وكان يُعرَفُ بقوتِه وعدلِه وحكمتِه، حيث أرسى دعائم الحكم العادل، واُعتبِرَ نموذجًا للقيادة الإسلاميَّة الرَّاشدةِ.

لقد سعى الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) لتحقيق العدالة الاجتماعية في حكومته، وقد تميَّز حكمه (عليه السلام) بالحزم والعدالة دون تمييز، كان يعتبر الفقراء والمظلومين والأيتام جزءًا من أمانته في الدُّنيا، حيث رُوِيَ عنه أنَّه قال: «وَاللهَّ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُه»[1]. فالإمام علي (عليه السلام) ضرب أروع الأمثلة في عدم التَّفريط في الحقِّ حتى لو كان مقابل الدُّنيا بأسرها.

١ نهج البلاغة: ص٣٤٧.

الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومولى الموحدين ويعسوب الدِّين وإمام المتقين وخليفه رسول ربِّ العالمين ذاك الذي عاش بكنف رسول الله (ﷺ) وعندما كبر اتَّخذه أخًا وعَضُدًا ووزيرًا وصهرًا، بل اعتبره نفسه فقد كان الإمام علي (عليه السلام) نفس رسول الله (ﷺ)، من بيت الله الحرام كانت بداية حياة علي (عليه السلام) ، وبيت الله الحرام هو أول بيت وضع للنَّاس والذي يقول عنه القرآن الكريم (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (آل عمران:٩٦).

> قال الإمام علي (عليه السلام) بعد تلقيه ضربة ابن ملجم في مسجد الكوفة: «فزت ورب الكعبة»، وكان لهذه الكلمة وقعها الخاص إذ إنَّها تعبِّر عن معنى النَّصر الحقيقيِّ في الإسلام، وهو نيل رضى الله سبحانه وتعالى والارتقاء إلى مرتبة الشَّهادة، فقد كان الإمام يرى أنَّ الشَّهادةَ في سبيل الله هي الفوز الحقيقيُّ.

الإمام علي (عليه السلام) المولود الوحيد الذي وُلِدَ في بيت الله الحرام ولم يُولَدْ أحدٌ قبله ولم يُولَدْ أحدٌ بعده، ذلك البيت الذي تحدَّث الله تعالى عنه ونسبه إلى إبراهيمَ الخليلِ (عليه السلام) إذ يقول الله تعالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) (البقرة :١٢٧). هذا البيت الذي اتَّخذه الله تعالى بيتًا له ونسبه له وجعل النَّاس تحجُّ إليه، وجعل النَّاس في عبادتها تتَّجهُ إليه في أداء صلاتها (قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) (البقرة : ١٤٤)، وفي هذا البيت وُلِدَ الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ (عليه السلام) ذاك المكان الذي بناه ورفع قواعده إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) تمهيدًا للنَّبيِّ الخاتم محمَّد (ﷺ)، ومن هناك كانت البداية ثم إلى مكان آخرَ وهو أقدم مسجد في المعمورة والذي بناه أول إنسان

وهو آدم أبو البشر (عليه السلام) وجدد بنائه الأب الثاني نوح (عليه السلام)، وصلَّى فيه إبراهيمُ الخليلُ (عليه السلام) وصلَّى فيه خاتمُ الأنبياءِ النَّبيُّ محمَّدٌ (صلى الله عليه وآله) مع أنَّه لم يقمْ هناك.

يَروِي محمدُ بنُ عليٍّ بنِ الفضلِ الكوفيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ التَّبَّانِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ خَالِدٍ الْمُقْرِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَاهِرٍ الرَّازِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ طَرِيفٍ عَنِ ابْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: (بَيْنَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ حَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ إِذْ قَالَ: يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ لَقَدْ حَبَاكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا لَمْ يَحْبُ بِهِ أَحَداً، فَفَضَّلَ مُصَلَّاكُمْ وَهُوَ بَيْتُ آدَمَ وَبَيْتُ نُوحٍ وَبَيْتُ إِدْرِيسَ، وَمُصَلَّى إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَمُصَلَّى أَخِي الْخَضِرِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَمُصَلَّايَ، وَإِنَّ مَسْجِدَكُمْ هَذَا أَحَدُ الْأَرْبَعِ الْمَسَاجِدِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِهَا، وَكَأَنِّي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ شَبِيهٌ بِالْمُحْرِمِ يَشْفَعُ لِأَهْلِهِ وَلِمَنْ صَلَّى فِيهِ، فَلَا تُرَدُّ شَفَاعَتُهُ وَلَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ حَتَّى يُنْصَبَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ فِيهِ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهِ زَمَانٌ يَكُونُ مُصَلَّى الْمَهْدِيِّ مِنْ وُلْدِي وَمُصَلَّى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَلَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ إِلَّا كَانَ بِهِ أَوْ حَنَّ قَلْبُهُ إِلَيْهِ، فَلَا تَهْجُرُنَّ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالصَّلَاةِ فِيهِ وَارْغَبُوا إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ فَلَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِيهِ مِنَ الْبَرَكَةِ لَأَتَوْهُ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ وَلَوْ حَبْواً عَلَى الثَّلْجِ)[٢].

هذا الحديث يتناول المرحلة الزمنية التي اتَّخذ بها الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) الكوفة مقرًا لحكمه، فمسجد الكوفة هو أحد المساجد الأربعة التي اختارها الله عزَّ وجلَّ والتي لها الكثير من الخصوصيات منها وفق فقه مذهب أهل البيت عليهم السلام الذي يحقُّ للمسافر فيه أن يصلِّي تمامًا دون أن يقصر

٢ بحار الأنوار: ج٩٧، ص٣٨٩-٣٩٠.

حتى لو كان مسافرًا، وهذه الأماكن الأربعة هي: بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ومسجد رسول الله (ﷺ) في المدينة المنورة، ومسجد الكوفة، ومقام الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء. هذه الاماكن الأربعة من الناحية الفقهية يحق للمسافر أن يصلِّي فيها صلاته الرُّباعية تامَّةً؛ لما لها من فضل عند الله تعالى، ويبين الإمام علي (عليه السلام) في بيان موقعية مسجد الكوفة ومكانة مسجد الكوفة فيقول في الحديث (وكأني به يوم القيامة يشفع لأهله) هنا نقلنا عليه الصلاة والسلام إلى مرحلة أخرى في عالم الآخرة ويقصد (بأهله) الذين ينسبون إلى مسجد الكوفة ويؤدُّون صلاتهم فيه ويدعون الله تعالى فيه؛ ليشفعَ لهم المسجد فلا تُرَدُّ شفاعته لما له من مكانة وقيمة عظيمة.

ثم يقول (وليأتين عليه زمان يكون مصلى المهدي من ولدي) دولة العدل الالهي التي وعد الله تعالى البشرية فيها سيكون هذا المسجد مصلى المهدي من ولدي، ومصلى كل مؤمن وهنا نتحدث عن المؤمن بمعناه الخاص ليس بمعناها العام المؤمن الموالي للإمامِ عليٍّ وآلِه (عليهم السلام) ولا يبقى على الارض مؤمن إلَّا كان به أو حنَّ قلبه إليه. ثم يقول (عليه السلام) فلا تهجروه أي لا تهجروا هذا المسجد وتقربوا إلى الله تعالى بالصلاة فيه، فعندما تؤدون الصلاة فيه فليكن قصدكم التَّقرب إلى الله تعالى، وهذا غير ما لدينا من نصوص وروايات تتحدَّثُ عن ثواب الصلاة التي يحصل عليها الإنسان عندما يؤدِّيها في مسجد الكوفة فتقربوا إلى الله فيه.

ثم يقول في كلامه وارغبوا إليه في قضاء حوائجكم فاذا أردْتَ أن تدعوا الله تعالى ليقضي لك حوائجك فاذهب وتوسل إلى الله تعالى وادعوه وأنت

في مسجد الكوفة، ثم يقول (عليه السلام) (فلو يعلم الناس ما فيه من البركة لأتوه من أقطار الأرض ولو حبوا على الثلج). لك أن تتصوَّرَ أنَّ الانسان عندما يقصد مكانًا يقصده راكبًا او ماشيًّا يقول لو عرف الناس ما فيه من الثواب وما له من مقام لأتَوه حبوًا على الثلج، والإنسان الذي يحبو لا شكَّ ولا ريب يحتاج إلى جهد أكثر ووقت أكثر وعلى الثَّلج للدلالة على أنَّه يتحمل كل أنواع المشاق للوصول إلى هذا المكان.

> **الامام الصادق (عليه السلام) في حديثه عن مقام هذا المسجد ومكان هذا المسجد يقول (ما بقي ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد صالح دخل الكوفة إلا وقد صلى فيه، وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر به ليلة أسري به فاستأذن له الملك فصل ى فيه ركعتين، والصلاة الفريضة فيه ألف صلاة والنافلة فيه خمسمائة صلاة، والجلوس فيه من غير تلاوة وقرآن عبادة، فأتوه ولو زحفا)[٣]**

الآن الذين يذهبون إلى مسجد الكوفة وهناك أكثر من مكان تؤدَّى فيه بعض الصلوات يفاجئون بمكان محراب للنَّبيِّ (صلى الله عليه وآله) وبجانبه مقام لجبرائيل (عليه السلام)، فهذا الحديث يشير إلى علة ذاك المقام والنبي (صلى الله عليه وآله) في الاسراء والمعراج عندما أُسرِيَ به من مكة إلى بيت المقدس، ثم عُرِجَ به إلى السماء وكان هو وجبرائيل (عليه السلام) فعندما مروا فوق الكوفة أخبر النبي صلى الله عليه وآله عن المكان فهبط النبي (صلى الله عليه وآله) مع جبرائيل وهو على البراق وصلى ركعتين.

لقد تحدثنا عن خصوصية وأهمية هذا المكان لنقول من هذا المكان كان إعلان الإمام علي (عليه السلام) الفوز، فالبداية كانت ولادته في بيت الله الحرام، وفي هذا المكان أعلن الفوز مشفوعًا بالقسم فقال (عليه السلام) (فزت ورب الكعبة).

٣- أمالي الصدوق ص ٣٨٥.

فالإمامُ عليٌّ (عليه السلام) قسم بأنَّه فاز، فلو نطرح سؤالا متى يعلن الفوز؟ وفي أي مورد، مثلًا عندما نقول فلان فاز أو جماعة فازوا، فإنَّ الفوز يكون في نهاية الامتحانات أو عندما تكون هناك مسابقة أو عندما تكون هناك مباراة نقول حصل الفوز.

وهذا المعنى في كلمة الفوز أنَّه عندما يكون هناك سعي لشيء ما يرغب به إنسان ما فيقال أنَّه فاز بما يريد، والذي ولد في بيت الله الحرام يقسم بالكعبة بأنَّه نال الفوز في بيت الله وهو مسجد الكوفة. فلماذا الإمام علي (عليه السلام) لم يقسم بغير الكعبة؛ لأنَّ البداية كانت من الكعبة وآخر محطة في سلسلة حياته التي يعلن منها الفوز كانت في هذا المكان فقال فزت ورب الكعبة، وعندما يقسم الإمام (عليه السلام) برب الكعبة أنَّه فاز وتحقَّق هذا الفوز بضربة نالت من هامته، هذه الهامة التي لم تسجد إلَّا لله تعالى، ضربة نالت من الإمام علي (عليه السلام) ووصلت إلى الدماغ فصدح صوت الإمام (عليه السلام) معلنا انتهاء المنازلة محققا نتيجة مقسما على ذلك بالكعبة (فزت ورب الكعبة). هذه الصيحة تردَّد صداها وسمعها في تلك الليلة الأليمة كل مستيقظ في الكوفة بل ونبهت لاعتقال القاتل إذ أنَّ ابن ملجم عندما هرب في أزقَّة الكوفة، وسمع من سمع الصيحة التفتوا إليه واعتقلوه. ونادى جبرئيل (عليه السلام) بين السماء والأرض بصوتٍ يسمعه كلّ مستيقظ: (تهدَّمت والله أركانُ الهدى.. وانطمست والله نجومُ السماء وأعلامُ التقى.. وانفصمت والله العروةُ الوثقى.. قُتل ابنُ عمّ محمّد المصطفى.. قُتل الوصيُّ المجتبى.. قُتل عليٌّ المرتضى.. قُتل والله سيّدُ الأوصياء.. قَتله أشقى الأشقياء)[٤].

٤ بحار الأنوار: ج٤٢، ص٢٨٢.

هذا النِّداء الذي صدح سُمِعَ بعد تلك الصَّرخة التي قالها (فزت ورب الكعبة)، وأمام هذه الصورة ترتسم مجموعة من التَّساؤلات ومن الصُّور التي نحاول أن نقف عندها ما بين الولادة وما بين الفوز تكتمل صور حياة الإنسان بين الولادة وإعلان الفوز بالشهادة. رحلة حياة استمرت ثلاثةً وستِّينَ عامًا، فالإمامُ عليٌّ (عليه السلام) منذ ذاك اليوم الذي ولد فيه في بيت الله الحرام إلى ذاك اليوم الذي صرخ فيه (فزت ورب الكعبة) ثلاثة وستِّين عامًا لم تكن مصادفة أن يكون نفسَ عمر النبي محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله) ففي نفس العمر الذي ارتحل به رسول الله (صلى الله عليه وآله) ارتحل به الإمام علي (عليه السلام) .

> **فعندما دخلت فاطمة بنت أسد(عليها السلام) إلى بيت الله الحرام ودعت ما دعت ووضعت وليدها وخرجت حامله إيِّاه وحديث النَّاس في مكة في ذاك اليوم يلهج بهذا الحدث الذي حصل عندما شقَّ جدار الكعبة، رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحمل ذاك المولود،**

نذهب إلى صوره أخرى من صور رحلة الإمام علي (عليه السلام) هذه الصورة تعكس لنا محطة من هذه المحطات تبدأ منذ يوم ولادته، لقد كان عمرُ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) ثلاثينَ عامًا وإذ به يتَّجه إلى بيت الله الحرام ليحمل وليداً، وكان هذا الوليد هو ابن عمه، ماذا كان يدرك النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في ذلك الوقت وهو لم يكن قد أعلن نبوته بعد، حيث كان في تلك المرحلة لا يزال يتعبَّدُ الله في غار حراء، ولكن كان يهيِّئ الأمور له.

مولود ولد في جوف الكعبة فتلقَّاه النبي محمد (صلى الله عليه وآله) بالبِشر والسرور وأمه تحمله وهي خارجة من هذا البيت، وبعد فترة من الزمن يجتمع الأقارب الأخوة وأبناء الأخوة وكان أبو طالب كثير العيال والوضع الاقتصادي بمصطلحنا اليوم كان ضاغطًا في تلك المرحلة واتَّفقُوا على أن

يساعدوه بأن يأخذ كل شخص منهم واحدًا من أبناء أبي طالب ليضمَّهم إلى عياله فيخففوا عنه المؤونة، فاختار النبي محمد (ﷺ) ذاك الفتى الصغير علي بن أبي طالب ابن عمه ليربيه في حجره وليضمَّه إلى أسرته كولدٍ من أبنائه.

وهذه كانت صورة ترتسم في صفحات التاريخ ما أن يبلغ هذا الفتى عشر سنوات من عمره وكان النبي (ﷺ) قد بلغَ الأربعينَ حتى كان الوحي الإلهي قد نزل على النبي محمد (ﷺ) يأمره بنشر دعوته وهو الذي كان يتعبد الله قبلها في غار حراء فيعلن دعوته لقومه، وما أن يعلنَ النبي محمد (ﷺ) دعوته بعد تلك السنوات التي كان يقضيها متهجدًا في غار حراء فنجد هذا الفتى أول من يستجيب لهذا النداء الإلهي من الذكور، والنصوص التاريخية تقول بعث النبي محمد المصطفى (ﷺ) بالنبوة يوم الاثنين ٢٧ من شهر رجب قبل الهجرة النبوية المباركة بثلاثة عشر عامًا وقد صلَّى الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) معه يوم الثلاثاء.

لقد قتل الإمام علي (عليه السلام) بضربة سيف على رأسه على يد من سمَّاه رسول الله (ﷺ) أشقى الأولين والأخرين ووصفه نداء السماء بأشقى الأشقياء، وعندما وقعت تلك الضربة على رأس الإمام علي (عليه السلام) أعلن الفوز.

وهنا نذكر صورة من حياة الإمام علي (عليه السلام) في أحد الأيام قبل شهر رمضان المبارك كانت هنالك خطبة لرسول الله (ﷺ) خطبها في استقبال شهر رمضان المبارك وبعد تلك الخطبة بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الإمام علي (عليه السلام) : يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: يا علي أبكى

لما يستحل منك في هذا الشهر كأنِّي بك وأنت تصلِّي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربه على قرنك فخضب منها لحيتك، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟ فقال (صلى الله عليه وآله): في سلامة من دينك[٥].

هنا نفهم معنى كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما نادى (فزت ورب الكعبة) أعلن أنَّه بما ناله من ضربة أنَّه فاز، فعلي (عليه السلام) في حياته له موقعة خاصة مع القتال ولكن بمعناه القرآني، فالقتال فريضة فرضها الله تعالى على الناس قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦] السؤال هنا هل القتال من أجل القتال؟ لا، جاءت آية أخرى في القرآن الكريم (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا) (النساء ٧٤)

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) مقاتلًا ولكن قتاله كان قتال من يشري حياة الدنيا بالأخرة، فلقد خاض الإمام (عليه السلام) طوال حياته سلسلة من الحروب كان لها أثرها الحاسم في رسم مسار هذه الأمة. البداية كانت من معركة بدر التي تحقَّقَ فيها أول نصر للمسلمين ويعود الفضل في تحقيق ذلك النصر له (عليه السلام) ففي تلك المعركة كان عدد من قتل من مشركي قريش أكثر من سبعينَ شخصًا والإمام علي (عليه السلام) بمفرده قتل النصف، وفي معركة أحد التي قيل فيها: (لما كان يوم أحد نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى نفر من قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم، فقتل هاشم بن أمية

٥- عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ٢ - الصفحة ٢٦٦

المخزومي وفرق جماعتهم، ثم نظر النبي (ﷺ) إلى جماعة من قريش فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل فلانا الجمحي، ثم نظر إلى نفر من قريش، فقال لعلي: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرق جماعتهم وقتل أحد بني عامر بن لؤي، فقال له جبريل (عليه السلام): إنَّ هذه لمواساةٍ، فقال النبي (ﷺ): إنَّه مني وأنا منه، فقال له جبريل: وأنا منكم يا رسول الله)[٦]. وفي معركة الخندق التي كانت فيها مواجهة الإيمان أمام الكفر في مبارزة لم يتصدَّ لها سوى الإمام علي (عليه السلام) ووصفها الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بقوله (برزَ الايمانُ كلُّهُ إلى الشركِ كلِّهِ).

وفي في معركة خيبر التي قال فيها رسول الله (ﷺ): (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلًا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، كَرَّاراً غَيْرَ فَرَّارٍ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ)[٧]، لقد قاتل الإمام علي (عليه السلام) لتثبيت مبادئ الإسلام وعنوان القتال هو في سبيل الله ضمن الأية الكريمة التي قال تعالى فيها (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) (البقرة ١٩٠) فالقتال عند الإمام علي (عليه السلام) تحكمه هذه المفاهيم الثلاث، مكروه عند الناس ولكنَّه يقدم عليه ويرى أنَّه شراء الأخرة بالدنيا يقاتل في سبيل الله الذين يقاتلون فقاتل في بدر إلى حنين وما بينهما، وبعد رسول الله (ﷺ) قاتل الإمام (عليه السلام) تحت عنوان آخر وهو ما أخبره به رسولُ الله (ﷺ) قائلاً له: (يا علي، أنت... تقاتل بعدي على التأويل كما قاتلتُ على التنزيل).[٨]

٦- شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ٣١ - الصفحة ٩٥
٧- بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٩ - الصفحة ٩
٨- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ - محمد الريشهري - ج ٥ - الصفحة ٤٨

فكم كان الامتحان صعبًا إذ قاتل الإمام علي (عليه السلام) الناكثين والقاسطين والمارقين وكان مقدام في المعارك، فنال الشهادة عندما ضُرِبَ على أمِّ راسِه فقال: فزت ورب الكعبة. فآخر غرض له في هذه الحياة نال بها مرتبة الشهادة، وهذه صورة من صور الإمام علي (عليه السلام) قاتل لله تعالى وعاش لله تعالى وكانت حياته بدايتها من بيت الله تعالى ونهايتها في بيت الله فحقَّ أن يكون في ذاك الموقع الرفيع الذي جعله الله تعالى ميزانًا يَفرُقُ بين الحقِّ والباطل حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليٍّ (عليه السلام): حبك إيمان وبغضك نفاق، وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النّار مبغضك[9].

وبعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان هو المصداق الأبرز وكما جاء في الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ) (النساء ٥٩)، ولقد كانت حياةُ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (عليه السلام) مليئةً بالعطاءِ والتَّضحياتِ، تمثِّلُ مثالاً للقيادة الربانية والإنسانية الرفيعة التي تستلهم قيم العدل والإيمان والجهاد في سبيل الله.

فمنذ ولادته في بيت الله الحرام وحتى لحظة استشهاده في محراب الكوفة، جسَّدَ الإمامُ عليٌّ المعاني الحقيقية للزهد في الدنيا، والحرص على نصرة المستضعفين، والوقوف مع الحقِّ مهما كلَّفَ الأمرُ،

"عندما قال (عليه السلام) بعد ضربته في محراب الكوفة: «فزت ورب الكعبة»، كان يعبِّرُ عن حقيقة ناصعة في مسيرة حياته، إذ كانت لحظات الشهادة بالنسبة إليه قمة الإنجاز ونهاية الطريق نحو لقاء الله، وقد صار بذلك رمزًا للفوز الحقيقي في الإسلام، الذي لا يُقاس بمكاسب الدنيا وإنَّما بمقدار القرب من الله والتفاني في طاعته."

٩- نور الابصار ص ٩٣.

فكان السند الأول لرسول الله (ﷺ) والذراع التي تصدت لكل من يريد النيل من الرسالة الإسلامية.

الإمام علي (عليه السلام) لم يكن شخصية عابرة في التاريخ، بل كان حجر الزاوية الذي شكَّلَ هويةَ الأمةِ الإسلاميةِ ورسَّخَ أسسَ العدالة التي تفتقدها كل المجتمعات الجائرة. وقد جسد في مسيرته الوصية النبوية الحقَّة، حيث قال النبي (ﷺ): «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، فكان عليٌّ (عليه السلام) العلم الذي اهتدى به الناس، والمرشد الذي استضاءت به دروب المؤمنين من بعد رسول الله (ﷺ).

ولقد بقي الإمام علي (عليه السلام) رمزًا للعدالة الحقة، ونموذجًا رفيعًا للشجاعة والمبدأ، ومثالًا يُحتذى به في مسيرة الإنسانية نحو تحقيق العدالة والحق. وبهذا يبقى عليٌّ (عليه السلام) شاهدًا وشهيدًا ليس فقط على عصره، بل على كلِّ العصور، يظل علمه وعدله ومنهجه ملهماً للأجيال كافة، ونبراساً يهتدي به كل من ينشد الحرية والعدل والكرامة.

زواج النورين ومفهوم الأسرة السعيدة

حيدر فائق الهنداوي

زواج الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، هو من أعظم النماذج للزواج في الإسلام، والذي عقد بتاريخ ١ ذو الحجّة من السنة الثانية للهجرة في المدينة المنوّرة وكان المثال الرائع للأسرة السعيدة. هذا الزواج المبارك يضرب لنا دروساً عميقة في معنى الحياة الزوجية الصادقة، المبنية على الحب والتفاهم، والعطاء المتبادل.

قصة زواج النورين

ان الإمام علي (عليه السلام) شخصاً عظيماً ، معروفًا بتقواه وورعه وكرمه وشجاعته، ومنزلته العظيمة عند النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه وآله) حيث قال فيه (صلى الله عليه وآله): ((علي مني وأنا من علي)) وقال أيضا: ((من كنت مولاه فعلي مولاه))، ومن هذا المنطلق وعندما تقدم أمير المؤمنين (عليه السلام) لطلب يد السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) كان يعرف أن القبول لم يكن فقط لصفاته الشخصية ولمنزلته من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بل لأن هذا الزواج كان بأمر إلهي ليوحد هذين الشخصين المباركين. لما تزوجا، لم يكن مهر السيدة فاطمة شيئاً فاخراً؛ كان بسيطًا، وهذا يرمز إلى أن قيمة الزواج تكمن في الروابط الروحية والمعنوية، وليس في الماديات.

أسس السعادة في زواج النورين

أسس السعادة في زواجهما تتلخص في عدة نقاط جوهرية، منها:

الاحترام المتبادل والتفاهم: السيدة فاطمة (عليها السلام) كانت خير معين للإمام علي (عليه السلام) في الشدائد، كما كان هو لها السند والداعم. وكانت معروفة بحسن تعاملها وتقديرها لزوجها.

البساطة والزهد: حياتهما كانت بسيطة جداً، كانت تركز على القيم الروحية بدلًا من الترف والمظاهر. الإمام علي كان يعمل ويكسب رزقه بيده، والسيدة فاطمة كانت تقوم بأعمال المنزل بكل حب وصبر.

التعاون والمشاركة: هما مثال للتعاون، حيث كان الإمام علي يشارك زوجته في أعمال المنزل، وكان هذا التعاون يزيد من روابط المحبة بينهما.

تربية الأبناء على القيم الصالحة: تربية الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم (عليهم السلام) على القيم والأخلاق النبيلة كانت من أولويات حياتهما. وهذا نموذج يُحتذى به للأسرة الناجحة التي تبني جيلاً صالحًا.

مفهوم الأسرة السعيدة

الأسرة السعيدة ليست في كثرة المال أو المناصب؛ بل في المحبة والطمأنينة والتقدير المتبادل. فلو نظرنا إلى حياة الإمام علي والسيدة فاطمة، نجد أن السعادة كانت نابعة من الإيمان، التقوى، التعاون، والاحترام المتبادل. كانوا نموذجًا للأسرة التي تعتمد على القيم أكثر من المظاهر، فهم صنعوا السعادة ببساطتهم وصبرهم ومحبتهم لبعضهم البعض.

في النهاية، زواج النورين يلهمنا اليوم للبحث عن شريك حياة يبني معنا أسرة على أساس الإيمان والتعاون، ويسعى للسلام الداخلي والتفاهم.

زواج الإمام علي (عليه السلام) من فاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله):

هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة مليئة بالعناء والمشقّة والمصائب المريرة من أجل تبليغ الرسالة، وأرسى دعائم الحكومة الإسلاميّة هناك.

> **"وكان عليّ (عليه السلام) معه (صلى الله عليه وآله) منذ الأيّام الأُولى للرسالة. وكان في السنة الأُولى من الهجرة ابن أربع وعشرين سنة؛ فلا بدّ له من الزواج وبدء الحياة المشتركة."**

وكانت الزهراء (عليها السلام) قد بلغت يومئذ التاسعة من عمرها. وهي بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولها منزلتها الرفيعة الزاخرة بالفضائل الإنسانيّة، والخصائص الملكوتيّة السامية. وقد أثنى عليها أبو ها مراراً، وسمّاها بضعته.

وكان موقع النبيّ (صلى الله عليه وآله) في زعامة الأُمّة من جهة، وشخصيّة الزهراء (عليها السلام) من جهة أُخرى، عاملَين مشجّعين لكثير من الصحابة - بخاصّة من كان يفكّر منهم بمستقبله عبر هذه الأواصر - على التقدّم لخطوبة الزهراء (عليها السلام). بيد أنّ أباها كان يرفض رفضاً قاطعاً، ويصرّح أحياناً بأنّه ينتظر فيها قضاء الله.

واقترح على الإمام عليّ (عليه السلام) عدد من الصحابة الموالين له أن يتقدّم لخطوبتها (عليها السلام). وكان قلب الإمام طافحاً بالإيمان، وصدره مفعماً بحبّ الله، لكنّه خالي الوفاض من الدراهم والدنانير.

فتوجّـه تلقـاء البيـت النبـويّ، ومنعتـه الهيبـة النبويّـة مـن الـكلام، وكان ينظـر مـرّةً إلى النبـيّ (ﷺ) نظـرة مليئـة بالحيـاء، وأُخـرى إلى الأرض. فأنطقـه النبـيّ (ﷺ) مـن خلال بعـض التمهيـدات، ولمّا تكلّـم قـال لـه: أمعـك شيء؟ والجـواب واضـح!

أمّا فاطمة، فهل لها كُفء غير عليّ؟!

وتحقّـق الأمـر الإلهـيّ، كما أشـار إليـه النبـيّ الأعظم وبـدأ هـذان العظيمان حيـاتهما المشتركـة في السـنة الأُولى مـن الهجـرة بمهـر قليـل، ومراسـم بسـيطة، وجهـاز أكثـر بسـاطة.

> وهكـذا ولـد أعظـم بيـت في التاريـخ، وبـدأت أبهـى حيـاة مشتركـة. وتكـوّن في جـوار بيـت النبـيّ (ﷺ) بيـت صـغير هـو أكبر مـن التاريـخ كلّـه، وكان مغبط أهـل الـسماوات والأرض حقّـاً!

وكان منهـل الفضائـل والمـكارم، والعشـق، والإيمان، والإيثـار، والجهـاد، وبسـاطة العيـش، بـل كان يناطـح السـماء علـوّاً ورفعـة.

أمّـا سـيّده - راهـب الليـل المتهجِّـد في جوفـه - فقـد كان ليـث الوغـى، لا تـكاد تبرأ جراحـه بعـدُ حتـى يخـوض حربـاً أُخـرى. وكان (عليه السلام) أشـجع المقاتـلين، وأعظمهـم منازلـة للأقـران.

وأمّـا صاحبتـه فقـد كانـت السـيّدة الرزينـة الصبـور، حملـت عـبء الحيـاة، ورضيـت بأقـلّ الإمكانـات. وكانـت تضمّـد جـراح بعلهـا وأبيهـا، حتـى عبّر عنهـا رسـول الله (ﷺ) تعـبيراً لطيفـاً، فقـال: (فاطمـة أُمّ أبيهـا).

وكانت الثمرة الأُولى لهذا الزواج الإلهي هو الإمام الحسن (عليه السلام) الذي ولد في السنة الثالثة من الهجرة، والثانية هو الإمام الحسين (عليه السلام) الذي ولد في السنة الرابعة منها، ثمّ ولدت بعدهما زينب وأُمّ كلثوم، وآخرهم هو المحسن الذي أُجهض شهيداً.

الأحاديث الواردة في زواج علي وفاطمة (عليهما السلام)

١. فقد جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (إنّ الله أمرني أن أُزوّج فاطمة من عليّ)[١].

٢. وعنه (صلى الله عليه وآله): (إنّما أنا بشر مثلكم أتزوّج فيكم وأُزوّجكم، إلاّ فاطمة فإنّ تزويجها نزل من السماء)[٢].

٣. وعنه (صلى الله عليه وآله) – لفاطمة (عليها السلام) – : (والله ما ألَوْت أن أُزوّجك خير أهلي)[٣].

٤. وعنه (صلى الله عليه وآله): (يا فاطمة، أما إنّي ما ألَّيْت أن أنكحتك خير أهلي)[٤].

٥. وعنه (صلى الله عليه وآله) – لفاطمة (عليها السلام) – : (فما ألَوتكِ في نفسي وقد أصبت لكِ خير أهلي)[٥].

٦. وقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام): (لولا أنّ الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين (عليه السلام) لفاطمة، ما كان لها كفوٌ على ظهر الأرض من آدم ومَن دونه)[٦].

١ بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٢٦٧.
٢ الكافي: ج١١، ص٣١٣.
٣ السنن الكبرى: ج٥، ص١٤٤.
٤ الطبقات الكبرى: ج٨، ص٢٤.
٥ المعجم الكبير: ج٢٢، ص٤١٢.
٦ الكافي: ج٢، ص٤٩٨-٤٩٩.

٧. وقال الإمام عليّ (عليه السلام): قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا عليّ، لقد عاتبتني رجال من قريش في أمر فاطمة (عليها السلام) وقالوا خطبناها إليك فمنعتَنا، وتزوّجت عليّاً، فقلت لهم: والله ما أنا منعتكم وزوّجته، بل الله تعالى منعكم وزوّجه، فهبط عليَّ جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمّد، إنّ الله جلّ جلاله يقول: لو لم أخلق عليّاً لما كان لفاطمة ابنتك كفو على وجه الأرض؛ آدم فمَن دونه)[٧].

٨. وعنه (عليه السلام): (لمّا أدركت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) مدرك النساء، خطبها أكابر قريش من أهل الفضل والسابقة في الإسلام والشرف والمال، وكان كلّما ذكرها رجل من قريش لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أعرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنه بوجهه، حتى كان الرجل منهم يظنّ في نفسه أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ساخط عليه، أو قد نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه وحي من السماء)[٨].

٩. وعنه (عليه السلام): (لقد خُطبت فاطمة بنت النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فقالت لي مولاة: هل علمت أنّ فاطمة تخطب؟ قلت: لا - أو نعم - قالت: فاخطبْها إليه، قال: قلت: وهل عندي شيء أخطبها عليه! قال: فوالله ما زالت ترجّيني حتى دخلتُ عليه - وكنّا نجلّه ونعظّمه - فلمّا جلستُ بين يديه أُلجمتُ حتى ما استطعت الكلام، قال: هل لك من حاجة؟ فسكتُّ، فقالها ثلاث مرّات، قال: لعلّك جئت تخطب فاطمة! قلت: نعم يا رسول الله، قال: هل عندك من شيء تستحلّها به؟ قال: قلت: لا والله يا رسول الله، قال: فما فعلتَ بالدرع التي كنتُ سلّحتُكها؟ قال عليّ: والله إنّها لدرعٌ حُطَمِيّة ما

٧ عيون أخبار الرضا، ج١، ص٢٢٥.
٨ بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٢٤.

ثمنها إلاّ أربعمائة درهم! قال: اذهب فقد زوّجتكها، وابعث بها إليها فاستحلّها به)[٩].

١٠. الأمالي للطوسي عن الضحّاك بن مزاحم: (سمعت عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: أتاني أبو بكر وعمر فقالا: لو أتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فذكرت له فاطمة. قال: فأتيته، فلمّا رآني رسول الله (صلى الله عليه وآله) ضحك، ثمّ قال: ما جاء بك يا أبا الحسن؟ وما حاجتك؟ قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونُصرتي له وجهادي، فقال: يا عليّ صدقت، فأنت أفضل ممّا تذكر.

> فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمّد، زوِّجها عليّ بن أبي طالب؛ فإنّ الله قد رضيها له ورضيه لها.

فقلت: يا رسول الله، فاطمة تزوّجنيها؟ فقال: يا عليّ، إنّه قد ذكرها قبلك رجال، فذكرتُ ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رِسلك حتى أخرج إليك. فدخل عليها فقامت إليه، فأخذت رداءه ونزعت نعليه، وأتته بالوضوء، فوضّأته بيدها وغسلت رجليه، ثمّ قعدت، فقال لها: يا فاطمة، فقالت: لبّيك! حاجتك يا رسول الله؟ قال: إنّ عليّ بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما تَرَين؟ فسكتت ولم تولِّ وجهها، ولم يرَ فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كراهة، فقام وهو يقول: الله أكبر! سكوتها إقرارها)[١٠].

٩ السنن الكبرى: ج٧، ص٢٣٤-٢٣٥.
١٠ الأمالي الطوسي: ص٣٩-٤٠.

١١. الكافي عن سعيد بن المسيّب: قلت لعليّ بن الحسين (عليه السلام): (فمتى زوّج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاطمة من عليّ (عليه السلام)؟ فقال: بالمدينة بعد الهجرة بسنة، وكان لها يومئذ تسع سنين)[١١].

١٢. تاريخ اليعقوبي - في ذكر زواج فاطمة (عليها السلام) - : (زوّجها رسول الله من عليّ بعد قدومه بشهرين، وقد كان جماعة من المهاجرين خطبوها إلى رسول الله، فلمّا زوّجها عليّاً قالوا في ذلك، فقال رسول الله: ما أنا زوّجته ولكنّ الله زوّجه)[١٢].

١٣. المعجم الأوسط عن جابر بن عبد الله: (حضرنا عرس عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فما رأينا عرساً كان أحسن منه حَيساً، وهيّأ لنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) زيتاً وتمراً فأكلنا. وكان فراشهما ليلة عرسهما إهاب كبش)[١٣].

١٤. الطبقات الكبرى عن أسماء بنت عميس - لأُمّ جعفر - : (جُهِّزت جدّتك فاطمة إلى جدّك عليّ، وما كان حشو فراشها ووسائدها إلاّ الليف. ولقد أولم عليّ على فاطمة، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته، رهن درعه عند يهودي بشطر شعير)[١٤].

> وكان بيت فاطمة لحارثة بن النعمان، فسألت فاطمة النبيّ (صلى الله عليه وآله) أن يحوّله، فقال لها: لقد استحييت من حارثة ممّا يتحوّل لنا عن بيوته. فلمّا سمع بذلك حارثة انتقل منه، وأسكنه فاطمة.

١٥. سنن ابن ماجة عن عائشة وأُمّ سلمة: (أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن نجهّز فاطمة حتى

١١ الكافي: ج١٥، ص٧٥٤.
١٢ تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٤١.
١٣ المعجم الأوسط: ج٦، ص٢٩٠.
١٤ الطبقات الكبرى: ج٨، ص٢٣.

ندخلها على عليّ. فعمدنا إلى البيت ففرشناه تراباً ليِّناً من أعراض البطحاء، ثمّ حشونا مِرفقتين ليفاً فنفشناه بأيدينا، ثمّ أطعمنا تمراً وزبيباً، وسقينا ماءً عذباً، وعمدنا إلى عود فعرضناه في جانب البيت ليُلقى عليه الثوب ويعلَّق عليه السقاء. فما رأينا عرساً أحسن من عرس فاطمة)[١٥].

١٦. الإمام عليّ (عليه السلام): (لمّا أردت أن أجمع فاطمة أعطاني رسول الله (صلى الله عليه وآله) مِصْراً من ذهب، فقال: ابتع بهذا طعاماً لوليمتك.

قال: فخرجت إلى محافل الأنصار، فجئت إلى محمّد بن مسلمة في جَرِين له قد فُرِّغ من طعامه، فقلت له: بعني بهذا المصر طعاماً، فأعطاني، حتى إذا جعلتُ طعامي قال: من أنت؟ قلت: عليّ بن أبي طالب. فقال: ابن عمّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ فقلت: نعم. قال: وما تصنع بهذا الطعام؟ قلت: أعرس. فقال: وبمن؟ فقلت: بابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله). قال: فهذا الطعام وهذا المِصر الذهب فخذه فهما لك. فأخذته ورجعت، فجمعت أهلي إليّ)[١٦].

١٧. المصنّف عن ابن عبّاس: (دعا النبيّ (صلى الله عليه وآله) بلالاً فقال: يا بلال، إنّي قد زوّجت ابنتي ابن عمّي، وأنا أُحبّ أن يكون من سنّة أُمّتي إطعام الطعام عند النكاح، فائتِ الغنم، فخذ شاة وأربعة أمداد أو خمسة، فاجعل لي قصعة لعلّي أجمع عليها المهاجرين والأنصار، فإذا فرغت منها فآذنّي بها.

فانطلق، ففعل ما أمره، ثمّ أتاه بقصعة، فوضعها بين يديه، فطعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رأسها، ثمّ قال: أدخِل عليَّ الناس زُفّةً زُفّة، ولا تغادرنّ زفّة إلى غيرها - يعني إذا فرغت زفّة لم تعد ثانية - فجعل الناس يردون؛ كلّما فرغت زفّة وردت أُخرى حتى فرغ الناس.

١٥ سنن ابن ماجة: ج١، ص٦١٦.
١٦ العوالم: ص٤٣١.

ثـمّ عمـد النبـيّ (ﷺ) إلى مـا فضـل منهـا، فتفـل فيهـا وبـارك، وقـال: يـا بـلال، احملهـا إلى أُمّهاتـك وقـل لهـنّ: كُلْـن وأطعِمْـن مَـن غَشِـيكنّ)[17].

١٨. مـن لا يحـضره الفقيـه عـن جابـر بـن عبـد الله الأنصـاري - في ذكـر زواج فاطمـة (عليها السلام) - : (لمّـا كانـت ليلـة الزفـاف أُتي النبـيّ (ﷺ) ببغلتـه الشـهباء وثُنـي عليهـا قطيفـة، وقـال لفاطمـة (عليهـا السـلا) : اركبـي، وأمـر سـلمان أن يقودهـا، والنبـيّ (ﷺ) يسـوقها.

فبينـا هـو في بعـض الطريـق إذ سـمع النبـيّ (ﷺ) وَجْبَـة، فـإذا هـو بجبرئيـل (عليه السلام) في سـبعين ألفـاً وميكائيـل في سـبعين ألفـاً، فقـال النبـيّ (ﷺ): مـا أهبطكم إلى الأرض؟!

قالـوا: جئنـا نـزفّ فاطمـة (عليها السلام) إلى زوجهـا. وكـبّر جبرئيـل (عليه السلام)، وكـبّر ميكائيـل (عليه السلام)، وكـبّرت الملائكـة، وكـبّر محمّـد (ﷺ). فوُضـع التكبـير عـلى العرائـس مـن تلـك الليلـة)[18].

١٩. الإمـام عـليّ (عليه السلام) في ذكـر زواجـه مـن فاطمـة (عليها السلام) : (... ثـمّ صـاح بي رسـول الله (ﷺ): يـا عـليّ، فقلـت: لبّيـك يـا رسـول الله (ﷺ)! قـال: أُدخـل بيتـك والطـف بزوجتـك وارفـق بهـا؛ فـإنّ فاطمـة بضعـة منّـي، يؤلمني مـا يؤلمهـا ويسـرّني مـا يسرّهـا، أسـتودعكما الله وأسـتخلفه عليكـما)[19].

١٧ بحار الأنوار: ج٤٣، ص١٢١.
١٨ من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٤٠١.
١٩ بحار الأنوار: ج٤٣، ص١٣٣.

الأثر المستدام
في الرسالة الإسلامية

حيدر محمد الدفاعي

الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، المعروف بكنيته أبو عبد الله، هو ثالث الأئمة المعصومين من أهل البيت الأطهار، والثاني من السبطين المباركين لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وسيد شباب أهل الجنة. كان (عليه السلام) ريحانة رسول الله ومحبوب قلبه، وهو أحد الخمسة الذين حُملوا في عباءة الكساء الطاهرة. وكما يُعرف بلقب «سيد الشهداء»، فقد قدّم نفسه وأهل بيته وأصحابه في سبيل إعلاء كلمة الحق. أما والدته، فهي السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، ابنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله).

تاريخ الميلاد:

أكَّدَ أغلب المؤرخين أنَّ ولادته (عليه السلام) كانت في المدينة المنورة، في الثالث من شهر شعبان من السنة الرابعة للهجرة[1]، وهو التاريخ الذي يتفق عليه معظم المصادر التاريخية الإسلامية. ومع ذلك، هناك بعض المؤرخين الذين أشاروا إلى احتمال ولادته في السنة الثالثة للهجرة[2]. ورغم الاختلاف البسيط في التأريخ، فإن ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) تعتبر من أهمِّ الأحداث في تاريخ الأمة الإسلامية، فقد كان هذا المولود المبارك مصدر فرح وسرور لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولأهل بيته.

١- تأريخ ابن عساكر : ١٤ / ٣١٣، ومقاتل الطالبيين : ٧٨، ومجمع الزوائد : ٩ / ١٩٤، وأُسد الغابة : ٢ / ١٨، والإرشاد : ١٨ .
٢- أصول الكافي : ١ / ٤٦٣، والاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة : ١ / ٣٧٧ .

رؤيا أم أيمن:

رؤيا أم أيمن :أوَّلَ رسول الله (ﷺ) الرؤيا للسيدة أم أيمن ـ كانت قد فزعت منها حين رأت أنَّ بعض أعضائه (ﷺ) ملقىً في بيتها ـ بولادة الحسين(عليه السلام) الذي سيحلّ في بيتها صغيراً للرضاعة، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنَّه قال :أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله (ﷺ) فقالوا: يا رسولَ الله، إنَّ أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، ولم تزل تبكي حتّى أصبحت، فبعث رسول الله إلى أمِّ أيمن فجاءته فقال لها: يا أمَّ أيمن، لا أبكى الله عينك، إنّ جيرانك أتوني وأخبروني أنّك لم تزلي الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينك ما الذي أبكاك؟ قالت: يا رسول الله، رأيت رؤيا عظيمة شديدة، فلم أزل أبكي الليل أجمع، فقال لها رسول الله(ﷺ): فقصّيها على رسول الله فإنّ الله ورسوله أعلم، فقالت: تعظم عليّ أن أتكلّم بها، فقال لها: إنّ الرؤيا ليست على ما ترى، فقصّيها على رسول الله. قالت: رأيت في ليلتي هذه كأنّ بعض أعضائك ملقىً في بيتي، فقال لها رسول الله(ﷺ) : نامت عينك يا أمَّ أيمن، تلد فاطمة الحسين فتربّينه وتُلبنيه[٣] فيكون بعض أعضائي في بيتك[٤]

الوليد المبارك:

حين وضعت سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء (عليها السلام)، مولودها العظيم، عمّت الفرحة أرجاء بيت النبوة. فبشرت أسماء بنت عميس رسول الله (ﷺ) بمولده، فأسرع إلى بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) بشوق، وطلب من أسماء أن تحضَّرَ له وليده. حملته أسماء إليه وهو ملفوف بخرقة بيضاء. عانق النبي (ﷺ) حفيده، وأذن في أذنه اليمنى وأقام الصلاة في أذنه اليسرى، في طقس يدلُّ

٣- أي : تسقينه اللبن
٤- بحار الأنوار : ٤٣ / ٢٤٢

على التَّعلُّقِ الروحي العميق لهذا المولود بالإسلام منذ لحظات حياته الأولى. ثمّ وضعه في حجره وبكى، فقالت أسماء: فداك أبي وأمي، ممّ بكاؤك؟ قال (ﷺ): (من ابني هذا). قالت: إنّه ولد الساعة، قال (ﷺ): (يا أسماء! تقتله الفئة الباغية من بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي...) [٥]. ثمّ إنّ الرسول (ﷺ) قال لعليّ(عليه السلام): أيّ شيء سمّيت ابني؟ فأجابه علىّ(عليه السلام): (ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله). وهنا نزل الوحي على حبيب الله محمّد(ﷺ) حاملاً اسم الوليد من الله تعالى، وبعد أن تلقّى الرسول أمر الله بتسمية وليده الميمون، التفت إلى علي(عليه السلام) قائلاً: (سمّه حسيناً). وفي اليوم السابع أسرع الرسول (ﷺ) إلى بيت الزهراء(عليها السلام) فعقّ عن سبطه الحسين كبشاً، وأمر بحلق رأسه والتصدّق بزنة شعره فضّة، كما أمر بختنه [٦]. وهكذا أجرى للحسين السبط ما أجرى لأخيه الحسن السبط من مراسم.

اهتمام النبي (ﷺ) بالإمام الحسين (عليه السلام):

حظي الإمام الحسين (عليه السلام) بمكانة عظيمة عند رسول الله (ﷺ)، حيث تواترت الرِّوايات والنُّصوص التي تبرز مدى محبة النبي (ﷺ) لحفيده ومكانته الرفيعة في قلبه وفي دنيا الإسلام. وكان الإمام الحسين (عليه السلام) جزءاً لا يتجزَّأ من وجدان النبي (ﷺ) وحبه العميق له، يتجلَّى ذلك من خلال العديد من الأحاديث التي نُقِلَتْ عن رسول الله. نذكر هنا بعضًا من هذه النُّصوص التي تظهر عظمة الحسين (عليه السلام) ومنزلته في الدنيا والآخرة:

١ ـ روى سلمان أنّه سمع رسول الله(ﷺ) يقول في الحسن والحسين(عليهما السلام): (اللّهمّ إنّي أحبهما فأَحِبَّهما وأحب من أحبّهما)[٧]

٥- إعلام الورى بأعلام الهدى : ١ / ٤٢٧
٦- عيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٥ ، إعلام الورى : ١ / ٤٢٧
٧- الإرشاد: ٢٨/ ٢

٢ ـ (مـن أحـبّ الحسـن والحسـين أحببتـه، ومـن أحببتـه أحبّـه الله، ومـن أحبّـه الله عَـزَّ وجَـلَّ أدخلـه الجنـة، ومـن أبغضهـما أبغضتـه، ومـن أبغضتـه أبغضـه الله، ومـن أبغضـه الله خلَّـده في النـار) [٨]

٣ ـ (إنّ ابنيَّ هذين ريحانتاي من الدِّنيا) [٩]

٤ ـ رُوي عـن ابـن مسـعود أنّـه قـال: كان النبـي(ﷺ) يصـلّي فجـاء الحسـن والحسـين(عليهما السلام) فارتدفـاه، فلـمّا رفـع رأسـه أخذهمـا أخـذاً رفيقـاً، فلـمّا عـاد عـادا، فلـمّا انصرف أجلس هـذا على فخـذه الأيمـن وهـذا على فخـذه الأيسر، ثـم قـال: (مـن أحبّني فَلْيُحـبّ هذيـن) [١٠]

٥ ـ (حسـين منّـي وأنـا مـن حسـين، أحـبّ الله مـن أحـبّ حسـيناً، حسـين سـبط مـن الأسـباط) [١١]

٦ ـ (الحسـن والحسـين خـير أهـل الأرض بعـدي وبعـد أبيهـما، وأمهـما أفضـل نسـاء أهـل الأرض)[١٢]

٧ ـ (الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة) [١٣]

٨ ـ عـن برّة ابنـة أُميـة الخزاعـي أنّهـا قالـت : لمّـا حملـت فاطمـة(عليها السلام) بالحسـن خـرج النبـي(ﷺ) في بعـض وجوهـه فقـال لهـا: (إنّـك سـتلدينَ غلامـاً قـد هنّأني بـه جبرئيـل، فـلا ترضعيـه حتّـى أصـير إليـك) قالـت: فدخلـت عـلى فاطمـة حـين ولـدت الحسـن(عليه السلام) ولـه ثـلاث مـا أرضعتـه، فقلـت لهـا: أعطينيـه

٨- الإرشاد: ٢ / ٢٨
٩- الإرشاد: ٢٨/ ٢ ، وصحيح البخاري : ٢ / ١٨٨ ، وسنن الترمذي : ٥ / ٦١٥ ح ٣٧٧٠
١٠- مستدرك الحاكم : ٣ / ١٦٦ ، وكفاية الطالب : ٤٢٢ ، وإعلام الورى : ١ / ٤٣٢
١١- بحار الأنوار : ٤٣ / ٢٦١ ، ومسند أحمد : ٤ / ١٧٢، وصحيح الترمذي : ٥ / ٦٥٨ ح٣٧٧٥
١٢- بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٦١ ، وعيون أخبار الرضا : ٢ / ٦٢ .
١٣- سنن ابن ماجة : ١ / ٥٦ ، والترمذي : ٥ / ٦١٤ / ح ٣٧٦٨ ، وبحار الأنوار : ٤٣ / ٢٦٥

حتّى أُرضعه ، فقالت: (كلا) ثمّ أدركتها رقّة الأمهات فأرضعته، فلمّا جاء النبي(ﷺ) قال لها: (ماذا صنعت؟) قالت: (أدركني عليه رقّة الأمهات فأرضعته) فقال: (أبى الله عَزَّ وجَلَّ إلاّ ما أراد).

فلمّا حملت بالحسين(عليه السلام) قال لها: (يا فاطمة إنّك ستلدين غلاماً قد هنّأني به جبرئيل فلا ترضعيه حتى أجيء إليك ولو أقمت شهراً)، قالت: (أفعل ذلك)، وخرج رسول الله(ﷺ) في بعض وجوهه، فولدت فاطمة الحسين(عليه السلام) فما أرضعته حتى جاء رسول الله فقال لها: (ماذا صنعت؟) قالت: (ما أرضعته) فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمصّ، حتى قال النبي(ﷺ): (إيهاً حسين إيهاً حسين)!! ثمّ قال: (أبى الله إلاّ ما يريد، هي فيك وفي ولدك) [١٤] يعني الإمامة.

كنية وألقاب الإمام الحسين (عليه السلام):

كان للإمام الحسين (عليه السلام) كنية معروفة وهي «أبو عبد الله»، وهي الكنية التي اشتهر بها بين أهل البيت والأمة الإسلامية. أما ألقابه، فقد تعددت وتنوعت لتشير إلى صفاته وأخلاقه العالية. من أبرز تلك الألقاب: الرشيد، والوفي، والطيب، والسيد، والزكي، والمبارك، والتابع لمرضاة الله، والدليل على ذات الله، والسبط، وأيضًا لقب «السبط»، نسبةً إلى قوله (ﷺ): «حسين سبط من الأسباط" . [١٥]

> ومن بين هذه الألقاب، اللقب الأكثر شهرة هو «سيد شباب أهل الجنة»، الذي لقبه به جده رسول الله (ﷺ)،

إنَّ محبة النبي (ﷺ) للإمام الحسين (عليه السلام) واهتمامه يعكسان الدور المحوري الذي كان للحسن والحسين في رسالة الإسلام وتاريخ الأمة.

١٤- بحار الأنوار : ٤٣ / ٢٥٤ ، وراجع : المناقب : ٣ / ٥٠
١٥-أعيان الشيعة : ١ / ٥٧٩

أثر الإمام الحسين(عليه السلام) في الرسالة المحمدية

لنا الحق أن نفتخر في هذه المناسبة العظيمة، وأن نعتزَّ بولائنا للإمام الحسين (عليه السلام). ويحقُّ لنا أن نرفع رؤوسنا عالياً، ونعبّر عن انتمائنا للإمام الحسين (عليه السلام) بكل فخر واعتزاز.

إنَّ موقف الإمام الحسين (عليه السلام) هو الذي أعاد للإسلام عزَّته وكرامته وأعاد للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) وجوده الحي. وقد عبّر النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذه الحقيقة بأبلغ تعبير عندما قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً». فبهذه الكلمات كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعدُّ الإمام الحسين (عليه السلام) لرسالة مستقبلية تتجلَّى في ثورته، وهي رسالة تشابه في جوهرها رسالة النبي نفسه.

هذا القول العميق «حسين مني وأنا من حسين» لا يعني فقط أنَّ الحسين هو حفيد النبي الجسدي، بل هو تعبير عن علاقة روحية تمتد بين النبي (صلى الله عليه وآله) وحفيده. هذه العلاقة تعني أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو امتداد لرسالة النبي، وأنَّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) هي التي ستحفظ الإسلام وتعيد الدين إلى مساره الصحيح. ولو كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقصد العلاقة الجسدية فقط، لكان قال: «الحسن مني وأنا من حسن»، لكن إشارته كانت إلى أنَّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) هي التي ستحيي الدين وتجدد وجود النبي (صلى الله عليه وآله) في ضمائر الناس، لأن حياة العظماء مرتبطة بحياة مبادئهم وليس بوجودهم الجسدي فقط.

وهكذا يُولَدُ الإنسانُ مرتين: المرة الأولى حينما يرى النور في هذه الدنيا، والمرة الثانية عندما يخلّد اسمه ويبقى تأثيره في قلوب الناس من خلال المبادئ التي يمثلها. لذا يحقُّ لنا أن نهنِّئ بعضنا بعضاً بهذه المناسبة، وأن نفتخر بانتمائنا لهذا الإمام العظيم.

وقد أشار بعض العلماء والأدباء إلى هذه الفكرة بعبارات جميلة تعكس عظمة هذه المناسبة. على سبيل المثال، يقول السيد القزويني رحمه الله في قصيدة تمجد الإمام الحسين (عليه السلام) :

أبا حسنٍ يهنيكَ ما أصبحوا بهِ وإن كان للقتلى تُقامُ المآتمُ
لأورثتهم مجداً وما كان حبوةً ولكنّ رسماً في بنيكَ المكارم

هذه الأبيات تعكس الفخر والاعتزاز بنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) وما تركه من إرث مجيد لأجيال المسلمين، إرث يربطهم بالقيم العليا ويجعلهم يتحدون كل الظلم والطغيان.

لقد شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى أن يمنح البشرية فيضاً من وحيه، وكان الغرض من هذا الوحي هو إرشاد الإنسان وتوجيهه نحو طريق الحق والخير. وما يميز الإسلام هو ارتباطه بحلقة الإمامة التي يمثلها الإمام علي (عليه السلام) وبنوه من الأئمة. وهذه الإمامة ليست منفصلة عن الرسالة بل هي جزء مكمل للنبوّة، كما جاء في قوله تعالى مخاطباً إبراهيم (عليه السلام): ﴿... إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ...﴾ [16]

> فالرسالات السماوية جاءت متتابعة عبر الأنبياء، وانتهت بنزول رسالة الإسلام التي كانت خاتمة الرسالات.

فالإمامة إذاً قد رافقت الرسالة منذ أول الزمان، وشهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ليست فقط حدثاً تاريخياً، بل هي جزء من تلك الرسالة الخالدة. فكما أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو عمود من أعمدة الرسالة، فإنَّ شهادته تمثِّلُ تضحية عظيمة لا يمكن فصلها عن دوره كإمام. وتلك التضحية كانت جزءاً

١٦- البقرة: ١٢٤

من الخطة الإلهية التي أرادت أن تضمن استمرار الرسالة وبقائها. لذلك، يمكن القول بأنَّ الله سبحانه وتعالى، بعد أن منح أهل الأرض وحيه ورسالته بسخاء، أراد أن يُقدّم بين يدي الرسالة تضحية عظيمة، توازي في عمقها وعظمتها تلك الرسالة. وهكذا، كانت تضحيات الإمام الحسين (عليه السلام) هي الضمان لاستقرار الرسالة واستمرارها.

> فعندما أحب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) الإمام الحسين (عليه السلام) وأطلق عليه تلك الكلمات العظيمة: «حسين مني وأنا من حسين»، كان يشير إلى أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) هو المدَّخر لتقديم أعظم أنواع التضحية في سبيل الرسالة. وكما لكل نبي شهيد ولكل رسالة ذبيح، فإنَّ كربلاء قد قدمت للدين أسمى درجات الفداء والشهادة.

ومن هنا فإنَّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن مجرد ثورة شخصية أو حادثة عابرة في الزمن. بل ارتبطت بقضية أكبر وأعمق، وهي الدين. ومادامت تلك النهضة قد قامت في سبيل دين لا يفنى، فإنَّها ستظل حية وستستمر في تحريك النفوس نحو الإصلاح والعدل. فالامام الحسين (عليه السلام) قدم حياته لأجل قضية أبدية، ولذلك كانت حياته خالدة بنهضته التي لا تزال تلهم الناس جيلاً بعد جيل، كقوة تهذيب للنفس وكسلاح لمواجهة الظلم والطغيان.

بما أنَّ نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) لم تكن محدودة بزمن أو مكان، فإنَّ أهدافها لا تزال حيّة ما دام هناك حقٌّ وباطلٌ، وظالم ومظلوم، وفقير وغني. تظل نهضته (عليه السلام) مستمرة في النفوس، فهي نهضة فكرية وروحية تسعى لإقامة العدل ومواجهة الظلم. ولا تنتهي هذه النهضة إلَّا عندما تختفي تلك الظواهر التي جسَّدت القهر والاستبداد والفساد من العالم، وذلك لن يتحقق إلا بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، الذي سيقيم ميزان الحقِّ والعدلِ ويكمل مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام).

فعنـد خـروج الإمـام المهـدي (عجل الله فرجه)، سـتتحقق الأهـداف الـكبرى لنهضـة الحـسين (عليه السلام)، وسـتصل الرسـالة إلى تمامهـا، كما ورد في قولـه تعـالى: ﴿هُـوَ الَّـذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالْهُـدَى وَدِيـنِ الْحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّيـنِ كُلِّـهِ﴾ [17]. فظهـور الإسلام كديـن كامـل وشـامل لـكل الأديـان سـيكون على يـدي الإمـام المهـديِّ (عجل الله فرجه). ومـن هنـا لا غرابـة في أن يكـون شـعار الإمـام المهـدي (عجل الله فرجه) عنـد قيامـه هو: «يـا لثـارات جـدّي الحسين». فـكما أنَّ نهضـة الحسين كانـت لـنصرة الديـن، فـإنَّ نهضـةَ الإمـامُ المهـديُّ (عجل الله فرجه) هـي اسـتكمال لها، وامتـداد لنفـس الأهـداف السـامية.

ولعـلَّ سـائلًا يسـألُ : لمـاذا أُنـزِلَ الديـن إلا لخـير الإنسـان وسـعادته؟ كلُّ مـا في الكـون هـو مـن أجـل مصلحـة الإنسـان، فلـماذا يُطلـب مـن الإنسـان أن يضحّـي في سـبيل الديـن؟ نقـول: إنَّ الديـن إنَّـما أُنـزِلَ إلى الأرض مـن أجـل كرامـة الإنسـان وسـعادته. فـإذا تعـرَّضَ الديـن للخطـر، فقـد تعرَّضـت كرامـة الإنسـان وسـعادته للخطـر. وحينئـذٍ، يـدور الأمـر بـين أن يعيـش الإنسـان في الحيـاة بـلا سـعادة وكرامـة، أو يمـوت في سـبيل عزَّتـه وكرامتـه.

إنَّ الإنسـان الـذي يحافـظ على خصائـص إنسـانيَّتِه يـدرك أنَّ المـوتَ خيرٌ ألـف مـرّة مـع العـزّ أفضـل مـن الحيـاة مـع الـذلّ. فالحيـاة بلا كرامـة هـي حيـاة بلا معنـى، ومـن هنـا يتـجلى أهميـة التضحيـة في سـبيل المبـادئ والقيـم التـي تؤمـن بهـا.

إنَّ ذكـرى الإمـام الحـسين (عليه السلام) تطـوّرت مـع الأيـام، وسـتعيها الأجيـال القادمـة أكثـر ممـا وعاهـا جيـل اليـوم، وستسـتمرُّ حتـى لا يكـون لـغير مبادئهـا في الأرض سـلطان. علينـا أن نحافـظ على هـذا الديـن الـذي دعانا الإمـامُ الحسينُ (عليه السلام) لنصرتـه، عندمـا أعلنهـا صرخـة مدوّيـة يـوم عاشـوراء. فلقـد جـاء الإمـام الحسين (عليه السلام) إلى كـربلاء، ليـس لتسـلّم الحيـاة، بـل ليضمـن اسـتمرار حيـاة ديـن جـده.

١٧- التوبة: ٣٣

ولقد أرسل الإمام الحسين (عليه السلام) صرخة مدوّية عبر الأجيال، تدعونا إلى نصرة المبدأ الذي نصره وضحّى في سبيله، وفداه بدمه. تلك الدماء الزكيّة من أهل بيته وأصحابه، التي سقى بها أرض كربلاء، ولا تزال طريّةً، تهيب بالمسلمين للحفاظ على الدين وإعلاء كلمة الحقّ في الأرض. فهي تذكير دائم بأنَّ التضحية ليست مجرد فعل بل هي رؤية وقناعة تسكن القلوب.

نحن في هذه المناسبة أَحوجَ ما نكون إلى فهم مغزاها ومؤدّاها. إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) جاهد إلى آخر قطرة من دمه، وفصلوا رأسه عن جسده، وكأنَّه يُراد للرأس أن يؤدّي دوره منفصلاً عن الجسد أيضاً. لقد قدم الرأس في الكوفة وفي الشام مظاهرة شعبيّة تلتها نهضة فكريّة. يحدّثنا زيد بن أرقم أنّهم حين أدخلوا السبايا إلى الكوفة (مرّوا بدار كنت في روشن فيه، فلما حاذاني الرأس سمعته يتلو هذه الآية ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[18]. فضربت رأسي بالروشن فقلت: يا بن رسول الله، رأسك والله أعجب وأعجب)[19]. وهذه اللحظات تحمل دلالات عظيمة تعكس مدى عمق الرسالة التي أراد الإمام إيصالها، إذ لم يكن الأمر مجرد مقاومة عسكرية، بل كان رسالة واضحة لكل من يسعى لرفض الظلم والفساد.

كما أنَّ الغرض من هذا الفصل المقدّر في علم الله سبحانه وتعالى، أنَّه جاء الرأس إلى الشام، ليعلم طغاة أهل الشام، بأنَّ تلك المصاحف التي رُفعت يوم صفين، ما كان الغرض منها إلاّ أن يُرفع رأس الإمام الحسين (عليه السلام). وبعد عشرينَ عاماً جاء الرأس ليُعلمهم؛ لأنَّهم لم يفهموا يومذاك، ولم يسمعوا كلمة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنَّها كلمة حقّ يراد بها باطل. جاء الرأس ليؤكِّدَ لهم أنَّ الغاية من حمل تلك المصاحف هي حمل رأس الإمام الحسين (عليه السلام).

١٨- الكهف: ٩

١٩ مقتل الحسين (للمقرم)، ص٣٤٩-٣٥٠.

ولقد أشار إلى هذه الظاهرة الأزريّ رحمه الله بقوله:

حملتْ بصفين الكتابَ رماحُهم ليكون رأسُكَ بعدها محمولا
لو لم تَنَلْ أحقادُ حربٍ منك ما جرأ الوليدُ فمزّق التنزيلا

إنَّ هذه الكلمات تحمل بين طياتها معاني العزة والكرامة، وتُظهر كيف أنَّ التاريخ يعيد نفسه، وكيف أنَّ الأجيال تستمر في الاستلهام من تضحيات الإمام الحسين (عليه السلام) في مواجهة الظلم. إذن، علينا أن نستلهم من ذكرى كربلاء، وأن نجعل من مبادئها أداة للتغيير، تسهم في تحقيق العدالة في عالمنا المعاصر.

إنَّها حلقة في سلسلة، فكذلك لو لم تخرج فاطمة الزهراء (عليها السلام) خلف أمير المؤمنين (عليه السلام)، لتلك الخطوات من الدار إلى المسجد، لتنقذ وليّها، لما خرجت زينب (عليها السلام) بعد ذلك مع الإمام الحسين (عليه السلام)، وبعد الإمام الحسين (عليه السلام) من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، وهكذا من بلد إلى بلد. لقد أشار الشاعر إلى هذه الظاهرة، فقال:

قد ورثتْ من أمِّها زينبٌ كلَّ الذي جرى عليها وصار
وزادت البنتُ على أمّـــا مــن دارها تُهدى إلى شرّ دار

إذاً، نحن أمام حلقات مستمرّة في سلسلة معركة الحقّ والباطل. وستبقى نهضة الإمام الحسين عليه السلام قائمة، وستنتشر وتنتشر وتتّسع، وفقًا للحديث الوارد عن نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، حيث أخبر النبي بما يجري على الحسين.

وستبقى نهضة الإمام الحسين عليه السلام تغلي في القلوب، إلى أن يحقِّقَ الأملَ الإمامُ المهديُّ (عجل الله فرجه)، حيث يجتمع الحقّ مع الحقّ ليعيد للأمة كرامتها

وعزّتها. إنَّ هذه النهضةَ ليست مجرد حدث تاريخي، بل هي شعلة تستمر في إشعال الحماس والإيمان في قلوب الأحرار والمستضعفين في كل زمان ومكان.

إنَّ دم الإمام الحسين (عليه السلام)، دمٌ غالٍ، وهو أزكى الدماء. لقد قدّم الله سبحانه وتعالى لدينه أطهر ضحيّة وأزكى دم في الأرض، ومعاذ الله أن تكون ضحايا الدين غير قدسيّة وغير زكيّة. إنَّ الدين منذ القديم قدّم الضحايا الكثيرة، لكن الضحايا التي قدّمها سيّد الشهداء، هي أعظم وأسمى.

> وهكذا نرى بأمّ العين، تصديق حديث النبي (صلى الله عليه وآله)، وهو الصادق الأمين. هذه المجالس اتّسعت وانتشرت على مرّ العصور. وقد أصبحت تجسيدًا لروح الحسين وتعبيرًا عن مقاومة الظلم، وتأكيدًا على أنَّ القيم التي ضحَّى من أجلها الحسين (عليه السلام) ستظل خالدة في النفوس.

ولا شكّ أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) قد ورث هذه التضحية عن آبائه، بل في الحقيقة، هو رمز التضحية التي يمثلها جدّه إبراهيم (عليه السلام)، الذي امتحنه اللهُ بأن يبذلَ ماله في سبيله، فاستعدّ لذلك، وبأن يضحّي بنفسه وولده، فاستعدّ لذبح إسماعيل (عليه السلام). ولكن السماء قد تدخلّت في لحظة الذبح، وقدّمت له الفداء. أمَّا الإمام الحسين (عليه السلام)، فلم تتدخّل السماء في ذبحه، بل كان بنفسه هو الفداء. لذلك يخاطبه الشاعر فيقول:

الذبيحُ وليلى في التحمُّلِ هاجَرُ لأنتَ خليلُ اللهِ حقّاً ونجلُكَ

إنَّ الإسلام ينتظرنا لنفعل، والمسؤوليّة تدعونا لنتقدّم انطلاقًا من واقع رسالتنا، فنعمَل بإخلاص. و الإمام الحسين (عليه السلام) لا شكّ بأنَّه يطلّ عليكم

من عالم الخلود، يطلب منكم الناصر لدينه. ونصرة الدين تعني نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) . فإن فعلتم ذلك، كنتم جنوداً أمناء للإمام الحسين (عليه السلام) وللدين، مجنّدين في كتيبة الحق، وكنتم أنصارًا مخلصين لثورة الحسين (عليه السلام). وعندئذٍ تكونون صادقين بقولكم عند سماع هذه الذكرى: «يا ليتنا كنّا معكم".

فيا أيّها المؤمنون، كونوا مع الإمام الحسين (عليه السلام) في الدنيا، لتكونوا معه في الآخرة. لبّوا دعوته لتكونوا مع من لبّى دعوته يوم كربلاء، وقلوا كلمة صادقة مخلصة: «لبّيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك، ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري".

ومع مرور الأيام، نرى كيف أنَّ ذكرى الحسين (عليه السلام) لا تزال حيّة في النفوس، تعبر الأجيال. فكلما جاء عاشوراء، تتجدد العزائم، وتُقام المجالس، وتُرفع الشعارات، وتُقرأ المآتم، من أجل أن نحافظ على ما قدّمه الإمام الحسين (عليه السلام) ، ونجدد العهد مع مبادئه. فإنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يكن شخصًا يُذبح في كربلاء فحسب، بل كان رمزًا للحق والعدل، وصرخةً في وجه الظلم. فثورته لا تزال تعكس معاني الصمود والمقاومة ضدَّ كل مظاهر الفساد والظلم، وتجعل من كل مؤمنٍ يسعى للحق حاملًا للواء الحسين.

ويشير إلى هذه الظاهرة، ابن أبي الحديد المعتزليّ حيث يقول:

فواحسرتا أن لم أكن في أوائلٍ من القوم يُتلى فضلُهم في الأواخرِ

فأنصرَ قوماً إن يكن فاتَ نصرُهم لدى الروعِ خطاري فما فات خاطري

علينا أن نتذكر أنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يُقاتل من أجل السلطة أو الجاه، بل كان يسعى لتحقيق العدل ونشر قيم الإسلام الحقيقية، وهو ما يجعله قدوةً

حقيقيةً لكل الأحرار في العالم. ولذلك، علينا أن نستلهم من نهضته، وأن نكون دعاةً للحق في مجتمعاتنا، نواجه التحديات والصعوبات بثبات وإصرار.

فلنحرص على أن نكون من الملبّين لدعوة الإمام الحسين (عليه السلام)، ولنستمر في نشر قيمه ومبادئه، فنحن، كما قال: أمل المستقبل. إنَّنا بحاجة إلى إعادة بناء هويتنا الإسلامية استنادًا إلى القيم التي ضحّى الإمام الحسين (عليه السلام) من أجلها، لنكون جيلًا يحمل لواء الحق، ويعمل من أجل عالمٍ يسوده العدل والكرامة.

يريد منّا الإمام الحسين (عليه السلام) أن نتحلّى بهذه الأخلاق، ونتّصف بهذه الصفات النبيلة التي تجسّد قيم الحق والعدل. ولقد سار الشيعة الأوائل على هذا النهج، واتّخذوا لنفسهم موقف الإمام الحسين (عليه السلام)، فوقفوا ضد كل حاكم جائر وظالم، وبفضل علمائهم وبقية الشيعة من سائر الطبقات. ولا زالوا يقفون بموقف المعارض لكل سلطة جائرة، حتى تعمر الكون الرسالة الإلهية بنهج آل محمّد.

إنَّ مسؤوليتَنا تجاه قيم الإمام الحسين (عليه السلام) تقتضي منَّا أن نتجنب السير في ركاب الظالمين. فكل واحد منَّا يستطيع أن يقيّم نفسه، ليتساءل: هل هو واقف في صف حبيب وزهير، أم هو في صف الشمر وعمر بن سعد؟ لنحقق هذا التقييم، ينبغي علينا أن نعرض أنفسنا على الدين: هل نحن سائرون في خطّ الدين؟ إذن، فنحن في الحقيقة كحبيب وزهير، ولكن إذا كان موقفنا يصطدم مع الدين، فنحنُ سواءٌ أردْنا أو لم نردْ، في صفِّ عمر بن سعد، وفي صفِّ يزيد.

إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) لم يحارب شخص يزيد فقط، بل كانت نهضته مظهراً من مظاهر الصراع بين الحق والباطل، وهو صراع مستمر عبر العصور. ولم يكن صراعاً بين شخصين يتسابقان إلى عرش، وإنَّما كان صراعاً بين مبدأينِ يتنازعان على البقاء والخلود. وكان الإمام الحسين (عليه السلام) يقف في وجه الظلم المتمثّل في يزيد، وهذا ما ينبغي أن يكون موقفنا من أي نوع من الظلم.

علينا نحن، كشيعة بصورة خاصة، أن نقتدي بموقف الإمام الحسين (عليه السلام) من الظلم، مهما كان مصدره. ولا يجب علينا أن نسبِّح بحمد الظالمين ونقدّس لهم. فما قيمة حضورنا في مجلس الإمام الحسين (عليه السلام)، والبكاء على مصيبته، إذا كنا نسير في خطّ معاكس لخطّه؟ إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) يبرأ من البكاء المجرّد. علينا أن ندرك أنَّ تلك الدموع التي تنهمر يجب أن تفجِّرَ في نفوسنا الثورة على الظلم والظالمين.

وعلينا أن نفهم أن هذه الدمعة ليست مجرد تعبير عن الحزن، بل هي دعوة للعمل، واستنهاض للعزائم، وتحفيز للمشاركة الفعّالة في تغيير الواقع المرير. فالدمعة التي لا تتحول إلى فعل، تبقى مجرد سلوك سطحي، وهذا ما يفتقده الكثيرون. فيجب أن نكون عازمين على أن نبني من تلك المشاعر قوىً ترفض الظلم وتتصدَّى له، وأن نتبنَّى قيم الإمام الحسين (عليه السلام) في حياتنا اليومية.

فلنكن دعاةً للحق كما كان الإمام الحسين (عليه السلام)، ولنستخدم كل ما نملك من طاقات وقدرات لتجسيد مبادئه. ولنتذكر أنَّ الإمامَ الحسينَ (عليه السلام) أُسوةٌ لنا، وأنَّ صوتَه يجب أن يبقى حيًا في قلوبنا وأعمالنا. إذن، لنستحضر القيم الحقيقية التي أراد الإمام الحسين (عليه السلام) نشرها، ولنحمل راية الحق في جميع ميادين الحياة، لكي نكون من أنصاره بحق.

إنَّ ولادة الإمام الحسين (عليه السلام) تمثل نقطة انطلاق نحو فهم أعمق للرسالة المحمدية، فهي ليست مجرد ذكرى تاريخية، بل هي دعوة مستمرة للتمسك بالمبادئ السامية التي بشَّرَ بها الإسلام. نهضة الإمام الحسين (عليه السلام)، وتضحيته الكبرى في كربلاء، تُعدان تجسيداً حياً للقيم التي تحتاجها البشرية اليوم، مثلُ العدالة والحرية والمقاومة ضدُّ الظلم. إنَّ أثر هذه الولادة العظيمة يبقى مستداماً في النفوس، يدعو إلى نصرة الحق ويحفز الأجيال على العمل من أجل بناء مجتمع يسوده العدل والمساواة.

> **إنَّ الامام الحسين (عليه السلام)، بموقفه البطولي، أراد أن يُعلّمنا كيف نكون ثائرين ضد الظلم، وأن نحافظ على كرامتنا، مهما كانت التحديات. ومن هنا، فإنَّ مشاركتنا في مجالس الحسين يجب أن تتحوّل إلى منبر لمناصرة الحق، وتحقيق العدالة، ولنستشعر جميعًا أنَّنا مع الإمام الحسين (عليه السلام) في كل زمان ومكان.**

السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام)
الإيمان والتصديق

محمد يوسف السعدي

ـ نشأة السيدة خديجة (عليها السلام):

نشأت السيدة خديجة (عليها السلام) في مكة المكرمة، في بيئة قريشية نبيلة وعريقة، كانت من أسرة هاشمية مرموقة، حيث كان والدها خويلد بن أسد من كبار قريش، تمتَّعَ بيتها بالثراء والاحترام، لكنَّها نشأت في بيئة تميَّزت بالقيم الأخلاقية الرفيعة، فلم تغرها الحياة المترفة رغم النعم التي كانت تتمتَّعُ بها، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) من أوائل النساء اللاتي تمتعن بعقلية تجارية لامعة، وقد أظهرت منذ صغرها ذكاءً فائقًا، كانت تدير قوافل تجارية ضخمة، تنقل البضائع من مكة إلى الشام واليمن، وتحقق أرباحًا طائلة بفضل حنكتها وحسن تدبيرها، تميزت بشجاعة فكرية وقدرة على اتخاذ القرارات الاقتصادية الصائبة، وكان لها سمعة في السوق كمثال على النزاهة والصدق في الأعمال التجارية، ومن الناحية الفكرية كانت السيدة خديجة(عليها السلام) من النساء اللاتي رفضن الانغماس في القيم المادية التي كانت سائدة في مجتمع مكة، نشأت على احترام قيم الصدق والأمانة، وكانت دائمًا تأخذ بعين الاعتبار الصالح العام عند اتخاذ أي قرار تجاري، هذا الفكر المستقل كان جزءًا من شخصيتها، وميزها عن غيرها من النساء في ذلك الزمان.

> وهذا الذكاء كان سببًا رئيسيًا في نجاحها في إدارة التجارة التي ورثتها عن والدها،

لقد نشأت أيضًا في بيئة نشطة فكريًا، حيث كان مجتمع مكة في تلك الفترة يعج بالتجارة والأدب والشعر، وكان لديها القدرة على فهم الواقع المحيط بها وتحليل أحداثه بطريقة موضوعية وواقعية، ولم تكن مجرد تاجرة بل كانت مفكرة ذات رؤية تتجاوز المصلحة الشخصية إلى الصالح العام، الأمر الذي جعلها تحظى باحترام واسع في مجتمعها، والتي تتمتع بقدرة على التأثير في محيطها من خلال اتخاذ قرارات استراتيجية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، تلك الشخصية المتميزة كانت تسبق عصرها في العديد من جوانب حياتها الفكرية.

> **كانت السيدة خديجة (عليها السلام) تعتبر نموذجًا للمرأة المستقلة فكريًا،**

- شخصيتها ودورها في المجتمع:

السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) كانت شخصية استثنائية في تاريخ الإسلام، وتمتعت بشخصية متكاملة جمعت بين النضج الفكري والاستقلال الاجتماعي والاقتصادي، لم تنغمسْ في القيم المادية التي كانت سائدة في المجتمع المكي، بل كانت تميزت بقدرتها على فهم الواقع وتحليله بعقلانية، ولم تقتصر مهارات السيدة خديجة (عليها السلام)على التجارة التي كانت تديرها بنجاح فحسب، بل امتدَّ تأثيرها إلى جوانب فكرية وثقافية أعمق، وكانت قادرة على اتخاذ قرارات استراتيجية في مجال الأعمال التجارية، حيث كانت تمتلك قوافل تجارية ضخمة تحقق أرباحًا كبيرة، وهذا النجاح الاقتصادي كان يعكس ذكاءً وحكمة فائقة، بالإضافة إلى ذلك كانت السيدة خديجة(عليها السلام) تسهم بشكل ملحوظ في تعزيز قيم العدالة والنزاهة في المجتمع، مما جعلها شخصية محورية في مكة، ومن خلال هذا الاستقلال

الاقتصادي، اكتسبت السيدة خديجة (عليها السلام) احترامًا كبيرًا، وكان لها دور مؤثر في دفع قضايا اجتماعية هامة، في وقت كانت فيه النساء محصورات في أدوار محدودة، أمَّا السيدة خديجة (عليها السلام) تجاوزت كل هذه القيود وأظهرت قدرة كبيرة على التأثير في المجتمع المكي عبر نشاطاتها التجارية وفكرها المستنير، فهذه الشخصية القوية التي تمكنت من التميز على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، كانت تمثل نموذجًا للمرأة العصرية التي يمكنها التأثير في محيطها بشكل إيجابي.

ـ الإيمان العميق للسيدة خديجة (عليها السلام):

إيمان السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام) كان نتيجة لعدة عوامل نفسية وفكرية ودينية ساعدت على تصديقها للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) ومنذ اللحظة الأولى كانت السيدة خديجة (عليها السلام) ذات شخصية ناضجة وعقلية مفكرة، نشأت في بيئة محترمة ومترفة، وكان لها وعي اجتماعي وديني عميق،

لقد شهدت في النبي محمد(صلى الله عليه وآله) صفات كان يفتقر إليها معظم رجال قريش، مثل الأمانة، والصدق، والعدل، ممَّا جعلها تضع ثقتها فيه بشكل فطري، كما كانت تراقب وتفكر في سلوكيات المجتمع المكي الذي كان يعج بالفساد الاجتماعي، وتبحث عن الحق بين مختلف الأديان والمعتقدات المنتشرة.

> هذا الوعي جعلها تميز بين الحق والباطل، وتدرك أن دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) لم تكن مجرد دعوة عادية، بل هي رسالة إلهية.

وكانت السيدة خديجة(عليها السلام) مؤمنة بالفطرة، واستطاعت أن تدرك أن ما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هو الحقيقة التي كانت تبحث عنها، وعندما

جاء النبي (ﷺ) بالرسالة الإلهية لأول مرة، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) أول من آمن به، وذلك بسبب معرفتها العميقة له وتقديرها لصدقه وأخلاقه العالية، وفي وقت كانت الدعوة الجديدة تواجه مقاومة شديدة من قبل قريش، حيث وقفت بجانب النبي (ﷺ) بكل قوة وثبات، ولم يكن إيمانُها مجردَ تصديقٍ فكريٍّ، بل كان إيمانًا عميقًا ومستمرًا تجسد في دعمها المادي والمعنوي، ومن خلال ثروتها ومواردها ساعدت في تأمين ظروف معيشية أفضل للمسلمين الأوائل، كما وكانت تشكل حصنًا معنويًا للنبي (ﷺ) في مواجهة الشدائد.

إنَّ الظروف الاجتماعية التي كانت سائدة في مكة، من جهل وفساد وعبادة أصنام، جعلت السيدة خديجة (عليها السلام) تميز الحق عندما ظهر في شخص النبي (ﷺ)، وفي ظل تلك الظروف الصعبة كان إيمان السيدة خديجة (عليها السلام) وتصديقها للنبي (ﷺ) من أروع الأمثلة على الثبات على الحق، إذ كانت تبذل كل ما في وسعها لدعم رسالة النبي (ﷺ) في بداية البعثة.

> **بالإضافة إلى ذلك كان لها دور كبير في نشر الدعوة من خلال تواصلها مع الشخصيات المؤثرة في مكة، مما ساهم في تقوية موقف النبي ودعمه،**

ـ التوازن بين الحياة الشخصية والمهنية في الإطار الديني:

يعكس هذا التوازن قدرة السيدة خديجة (عليها السلام) على الجمع بين العديد من الأدوار والمهام في حياتها، في ظلِّ إيمانها العميق بالله ورسوله ويمكن القول إنَّ السيدة خديجة (عليها السلام) كانت نموذجًا فريدًا للمرأة التي حققت التوازن المثالي بين حياتها الشخصية وحياتها المهنية، وذلك ضمن إطار

ديني قوامه الإيمان والصدق والعدالة وكانت تنتمي إلى أسرة نبيلة، وقد عُرفت بذكائها وحكمتها، لكنَّها على الرغم من وضعها الاجتماعي الرفيع وثرائها، لم تُشغل عن أداء دورها الديني والأخلاقي في الحياة من الناحية الشخصية، فكانت السيدة خديجة (ﷺ) تمتاز بصفات نبيلة، وكانت تُعتبر قدوة في أخلاقها، فقد كانت معروفة بالصدق والأمانة، وعلى الرغم من المسؤوليات الاجتماعية الكبيرة التي كانت تتحملها، كانت توازن بين واجباتها العائلية والاجتماعية،وكانت أمًّا وزوجةً، وكانت تهتم بمنزلها وبعلاقتها مع أسرتها، كما وكانت تهتم بأمور المجتمع وهو ما يُظهر توازنًا بين الحياة الشخصية والواجبات الدينية.

أما من الناحية المهنية، فقد أثبتت السيدة خديجة (ﷺ) قدرتها الكبيرة على إدارة أعمالها التجارية بكل حكمة وكفاءة، وكانت تدير تجارة واسعة النطاق، وكانت تتعامل مع قوافل تجارية عبر الصحاري وفي الخارج، لكنَّها وعلى الرغم من انشغالها بهذه الأعمال، لم تنشغل عن قضايا الدعوة والإيمان، ففي كل مرة كانت تحقق فيها نجاحًا اقتصاديًا، كانت توازن ذلك بتوجيه هذه المكاسب لخدمة الدعوة الإسلامية ونشر الحق،

> هذا التوازن لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتيجة لإيمانها الراسخ برسالة الإسلام وعقيدتها الدينية التي كانت تتحلى بها.

وفي الإطار ديني كانت السيدة خديجة (ﷺ) تعيش إيمانها بكل تفاصيل حياتها، إذ كانت تُمثل نموذجًا يُحتذى به في التفاعل مع الحياة الدنيوية بشكل يتَّسقُ مع المبادئ الإسلامية، فهي لم تسعَ وراءَ المالِ أو الجاهِ من أجل التفاخر أو التسلط، بل كانت تستخدم ما لديها من ثروات في سبيل الله تعالى، وكان

دورها في دعم النبي (ﷺ) هو تجسيد لهذا التوازن، فقد وقفت إلى جانبه في أصعب الأوقات، وساندته بكل ما تملك من أموال، فكانت السيدة خديجة(عليها السلام) على الرغم من كونها امرأة في مجتمع محافظ، قدوة في كفاءتها المهنية وحكمتها الشخصية، مع الحفاظ على التزامها التام بالقيم الدينية، إذ تُعَدُّ السيدةُ خديجةُ (عليها السلام) رمزًا للمرأة المسلمة التي لم تغفل عن واجبها العائلي أو الاجتماعي أو الاقتصادي، وهذا التوازن بين الحياة الشخصية والمهنية في إطار ديني كان من أبرز ملامح شخصيتها، وعلى الرغم من التحديات الكبيرة التي واجهتها في حياتها، كانت السيدة خديجة(عليها السلام) دائمًا تظل ثابتة على إيمانها بالله ورسوله، ممَّا جعلها نموذجًا يُحتذى به في مختلف المجالات الحياتية.

> وفي الوقت ذاته لم تُفرط في واجبها الديني والإيماني، فقد تمسكت بالقيم الإسلامية التي دعمتها في مختلف جوانب حياتها،

ـ الايمان والتصديق ما قبل وبعد البعثة:

إيمانها (عليها السلام) لم يكن مجرد ترديد لعبارات فارغة، بل كان إيمانًا يعيش في قلبها ويشع في سلوكها اليومي، حيث كانت ترفض كل أشكال الظلم والاستغلال التي كانت تمارس ضد الناس الضعفاء في المجتمع، وافتقدت لوجود أمل حقيقي يعيد الناس إلى التوحيد والإيمان بالله، وفي تلك الأوقات التي كانت مكة تشهد فيها تحالفات سياسية ودينية معقدة، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) تبحث عن شخص يحمل رسالة التوحيد ويعيد للأمة المكية تفكيرها الروحي، هذا البحث كان في ذاته إيمانًا حقيقيًا في ضرورة التغيير الذي كانت تطمح إليه، فقبل أن تعرف النبي محمد (ﷺ)، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) في وضع يميزها عن غيرها من نساء مكة، ولم تكن مجرد امرأة

غنية، بل كانت صاحبة رؤية عميقة، وكانت تبحث عن شخص يكون صادقًا ويملك نزاهة عالية، وهذا البحث قادها للقاء النبي محمد (ﷺ)، الذي كان يمتاز بالأمانة والصدق، لم تكن تقتصر على إعجابها بتجارته فقط، بل كانت تشعر أن هناك شيئًا مختلفًا عن الجميع في هذا الرجل.

> وكان له سجل حافل بالنجاح في عمله التجاري وتعامله مع الناس، عندما قررت توكيله بأعمال تجارتها،

فالسيدة خديجة(عليها السلام)، كانت تتمتع بذكاء اجتماعي وفكري كبير، وقادرة على إدراك صفات النبي محمد (ﷺ) التي لا تتواجد في غيره من الناس، وكان النبي(ﷺ) شخصًا نزيهًا وموثوقًا به، وأظهر قوة شخصية لا تتناسب مع سنه، ممَّا جعل السيدة خديجة (عليها السلام) تتطلع إليه أكثر، فبدأت بينهما علاقة من الاحترام المتبادل، وكانت السيدة خديجة (عليها السلام) ترى في النبي محمد (ﷺ) الشخص الذي يمكن أن يثق به كل من يعرفه، في الوقت الذي بدأ النبي محمد (ﷺ) يتلقى فيه الوحي الإلهي من الله تعالى، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) أول من أدرك هذه اللحظة المصيرية، وعندما جاء النبي إليها بعد أول مرة تلقى فيها الوحي في غار حراء، كان في حالة من القلق والذهول، ولكنَّه كان بحاجة إلى دعم وثقة في هذه التجربة العميقة التي مر بها.

فكانت السيدة خديجة (عليها السلام) أول من وقف إلى جانبه، وهي التي طمأنته بكلماتها العميقة، مؤكِّدة له أن ما حدث له هو حقيقة نزلت من عند الله تعالى، وفي تلك اللحظة كانت (عليها السلام) أول من آمن برسالة النبي محمد (ﷺ)، ولم يكن لديها أدنى شك في أنَّه يحمل رسالة الحق التي كانت تبحث عنها طوال حياتها، علاوة على ذلك كانت السيدة خديجة (عليها السلام) أول من قام بدعمه في مشوار الدعوة، ووقفت بجانبه في كل الظروف الصعبة

التي مرت به، وعندما بدأ النبي محمد (ﷺ) يعلن عن رسالته ويواجه معارضة من أهل مكة كانت هي السند الحقيقي له، وكانت تدعمه بكل ما تملك من مال ونفوذ، وكانت تعلم جيدًا أنَّ الرسالة التي يحملها زوجها هي رسالة عظيمة ومقدسة، وكانت السيدة خديجة (عليها السلام) دائمًا تمدُّه بالقوة والشجاعة، وكان الدعم النفسي الذي تقدمه له لا يقل أهمية عن الدعم المادي الذي كان يسهم في تمويل الدعوة، وكانت تعلم أنَّ الخطر يحدق بها وبالنبي محمد (ﷺ)، ومع ذلك كانت تواصل وقوفها بجانبه بكل شجاعة.

> **وأن مصيرها كان مرتبطًا بذلك الإيمان الكبير، وفي أوقات الصعوبات التي مر بها النبي محمد (ﷺ)، سواء كان ذلك في مواجهة التنمر أو الهجوم من قريش،**

منذ صغرها كانت السيدة خديجة(عليها السلام) تتمتع بصحة نفسية وذهنية عالية، إذ كانت دائمًا تطمح إلى تصحيح الأوضاع الاجتماعية والدينية التي كانت تخيم على مكة، ولم تكن هذه مجرد أفكار عابرة، بل كانت جزءًا من إيمان عميق بضرورة التغيير والبحث عن الحقيقة، وكانت تتساءل في نفسها دائمًا، كيف يمكن للمجتمع أن يظل غارقًا في عبادة الأصنام، ويعاني من هذه الانقسامات والتفاوتات الاجتماعية؟ وقد تكون هذه الأسئلة، التي كانت تراود قلبها، هي التي هيَّأت نفسها للاستعداد لتصديق رسالة النبي محمد (ﷺ) فيما بعد عندما كان النَّبيُّ محمدٌ (ﷺ) شابًا، أصبح معروفًا بصدقه وأمانته، وتوجهت إليه الأنظار من قبل الكثير من أهل مكة لتولي أعمالهم التجارية، وكان يطلق عليه "الصادق الأمين".

كان ذلك هو السبب الرئيسي الذي جعل السيدة خديجة (عليها السلام) تشعر بالثقة التامة فيه، إذ كانت على علم تام بنزاهته وحسن سلوكه، وكانت

هي نفسها صاحبة تجارة واسعة، فوجدت فيه الرجل الذي يعكس ما كانت تبحث عنه من نزاهة في العمل والتعامل مع الناس، أوكلت عليه بعمل تجاري وكان ذلك بداية لقصة كبيرة في حياة السيدة خديجة (عليها السلام).

لم يكن لقاء السيدة خديجة (عليها السلام) بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) مجرد لقاء عابر، بل كان بداية لمسيرة طويلة من الدعم الإيماني والتصديقي الذي قدمته له، في ذلك الوقت كانت السيدة خديجة (عليها السلام) تبحث عن شيء أسمى من الثروة أو الجمال أو الزينة، كانت تبحث عن الحقيقة التي أضاءت قلبها وأذهانها. في لحظة ما عندما بدأ النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في تلقي الوحي، لم يكن لديه أحد ليقف إلى جانبه إلا السيدة خديجة (عليها السلام)، التي كانت دائمًا سندًا وداعمًا له، فقد كانت أول من آمنت برسالته، وأول من دعمه في التحديات العديدة التي واجهها.

ومن هنا يمكننا أن نبدأ في فهم عمق إيمان السيدة خديجة (عليها السلام) وتصديقها برسالة النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، في وقت لم يكن فيه هناك الكثير من المؤمنين، كانت هي أول من آمن بالرسالة الإسلامية، ووقفت إلى جانب النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في الأوقات الصعبة، وكانت تمده بالقوة اللازمة للاستمرار في الدعوة، وكانت تعلم جيدًا أنَّ هذا الطريق سيكون صعبًا، وأنَّ هناك تحدياتٌ كثيرةٌ تنتظر النبي وأتباعه، ولكن إيمانها لم يهتزَّ قط، بل كانت دائمًا تزداد قوة وتصديقًا.

> **لم يكن إيمانها مجرد تصديق فكري، بل كان إيمانًا مشبعًا بالقلوب، وأظهرته في كل أفعالها وتضحياتها،**

بعد أن بدأ النبي محمد (صلى الله عليه وآله) في إعلان رسالته، بدأت الصعوبات التي تعرَّضَ لها في مكة، حيث واجه الكثير من المعارضة من قريش، التي كانت

تعتبر الدعوة الإسلامية تهديدًا لمصالحها الاقتصادية والاجتماعية، ولكن في تلك الأوقات الصعبة، كانت السيدة خديجة(عليها السلام) إلى جانبه بكل ما تملك، تدعمه بكل قوة، حتى في الأوقات التي تعرَّضَ فيها النبي (صلى الله عليه وآله) وأتباعه للحصار الاقتصادي في شعب أبي طالب، كانت السيدة خديجة(عليها السلام) تقدم كل ما تملك من مال لتوفير الطعام والماء للمسلمين الذين كانوا يعانون من الجوع والفقر.

> **كانت السيدة خديجة (عليها السلام) هي الحماية الحقيقية التي كان يمتلكها النبي (صلى الله عليه وآله)، وكان لها دور كبير في استمرار الدعوة الإسلامية.**

إنَّ إيمان السيدة خديجة (عليها السلام) كان مميزًا جدًا في تلك الفترة، فقد كانت هي الحافز الكبير لدعوة النبي (صلى الله عليه وآله)، وكانت تدعمه بكل ما تملك من مال وقوة معنوية، ولم يكن هذا الدعم ماديًا فقط، بل كان معنويًا وروحيًا، حيث كانت تشجِّعُ النبي (صلى الله عليه وآله) على الاستمرار في رسالته، وتدعم عزيمته في وقت كانت فيه قريش تحاول الضغط عليه بكل الوسائل.

بالإضافة إلى دعمها المالي والمعنوي، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) تساهم في حماية النبي (صلى الله عليه وآله) من الأذى، فعندما كانت قريش تضغط على النبي (صلى الله عليه وآله) وتهاجمه، كانت السيدة خديجة(عليها السلام) تقدم له الحماية والأمان داخل منزلها، وتستقبل أي من أتباعه الذين قد يتعرَّضون للأذى، وكانت تعرف جيدًا أنَّ الطريق الذي اختاره النبي (صلى الله عليه وآله) مليء بالمخاطر، ولكن إيمانها به كان لا يتزعزع وكان لقاء النبي (صلى الله عليه وآله) يثري إيمانها ويقوي قناعتها بصدق رسالته، ولم يكن التصديقُ برسالةِ النَّبيِّ محمَّدٍ (صلى الله عليه وآله) مجردَ تأثُّرٍ عاطفيٍّ أو لحظةٍ عابرةٍ، بل كان نتيجةٌ لعمليةِ تفكيرٍ عميقٍ ووعيٍ كاملٍ.

وكان تصديق السيدة خديجة (عليها السلام) برسالة النبي (صلى الله عليه وآله) نابعًا من قناعتها الشخصية في صدق ما تسمع عنه، وتفكيرها العقلاني في مدى انسجام سلوكه مع القيم الحقيقية التي كان يرغب المجتمع في إيجادها، ولكنَّهم لم يجدوا شخصًا يحقِّقُها بشكل كامل سوى النبي (صلى الله عليه وآله). ومن هنا أصبح التصديق بالنسبة لها ليس مجرد تصديق شخصي، بل كان أيضًا تصديقًا رساليًا لنبي الله محمد (صلى الله عليه وآله)، الذي كان يُحضّر لإعلان الرسالة التي ستغيّر مجرى التاريخ قبل أن يُبعث النبي (صلى الله عليه وآله) برسالة الإسلام إلى الناس، فكانت السيدة خديجة (عليها السلام) قد آمنت بأنَّ هذا الشخص الذي تعرفه والذي يثق به الجميع هو المرسل من الله، وكان تصديقها مبنيًا على فكرها العميق ورؤيتها المتكاملة للعالم والوجود، وهذا الإيمان لم يكن فقط تصديقًا بأنَّ النبي محمد (صلى الله عليه وآله) هو نبي، بل كان إيمانًا بالغرض السماوي الذي يحمله، وكان إيمانًا بصدق المهمة التي كان النبي مكلفًا بها، والتي ستنتقل من مكة إلى سائر أنحاء العالم.

> لقد أدركت السيدة خديجة(عليها السلام) بشكل عميق أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) لا يحكي عن نفسه فحسب، بل كان يحمل رسالة السماء، وكما كانت ترى في كلامه حقيقة لا يستطيع أيُّ إنسانٍ في مكة أن يصدقها إلا من كان صاحب قلب وعقل مخلص للبحث عن الحقيقة،

لقد كان التصديق قبل البعثة لدى السيدة خديجة (عليها السلام) عملية فكرية وروحية عميقة، فلم يكن إيمانها مجرد انعكاس لظروف اجتماعية أو عاطفية، بل كان نابعًا من فهم عميق للحقائق الإيمانية والأخلاقية، واختارت أن تدعم النبي محمد (صلى الله عليه وآله) إيمانًا منها بصدق رسالته ووحدانية الله.

في مرحلة (ما بعد البعثة،) كان التصديق والإيمان بالنسبة للسيدة خديجة (عليها السلام) ليس مجرد إيمان عاطفي، بل كان تأكيدًا عقليًا وروحيًا لما اختبرته وأدركته منذ البداية، فلقد تجاوز هذا الإيمان كل التوقعات، وتجاوز كل الحدود التي كانت ممكنة في تلك الحقبة التاريخية، وبعد أن أعلن النبي (صلى الله عليه وآله) عن البعثة، بدأت السيدة خديجة (عليها السلام) في تقديم دعمها الثابت له، وكانت أول من آمن به وأعطاه القوة النفسية والعاطفية للاستمرار في مهمته، وكما هو معروف، لقد شهدت السيدة خديجة(عليها السلام) مواقف صعبة في حياتها، فبدايةً من المحن التي تعرَّضَ لها النبي (صلى الله عليه وآله) بعد البعثة، فكانت السيدة خديجة (عليها السلام) حاضرة في كل اللحظات لتخفف من معاناته، ولا شكَّ أنَّ الدَّعم العاطفي والروحي الذي قدمته كان ضروريًا جدًا في تلك المرحلة، فكانت تعرف أنَّ المرحلة المقبلة ستكون مليئة بالتحديات، وكان إيمانها العميق بقوة رسالته وعظمة مهمته هو الذي دفعها للاستمرار في دعم النبي (صلى الله عليه وآله)، حتى في أوقات الشدائد.

> **لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) ليجد دعمًا من المجتمع في البداية؛ بل كان يواجه معارضة شديدة من قريش والمجتمع المحيط به، في تلك الأوقات العصيبة، كانت السيدة خديجة (عليها السلام) هي الملاذ الأول للنبي (صلى الله عليه وآله)، ولم تتوانَ عن تقديم الدعم الكامل له،**

إنَّ إيمان السيدة خديجة بعد البعثة كان يتجسَّدُ في أفعالها وليس فقط في كلماتها، وكانت تتعامل مع النبي (صلى الله عليه وآله) ليس كزوجة، بل كمؤمنة برسالته بشكل كامل، وكانت تشعر بأنَّ الرسالة التي جاء بها النبي (صلى الله عليه وآله) هي رسالة إنسانية تتجاوز حدود العرق والجنس، وكانت تشعر بمسؤولية كبيرة في أن تكون جزءًا من هذه الرسالة، وأن تدعم النبي (صلى الله عليه وآله) بكل ما

تستطيع، وإنَّ إيمانها لم يكن مجرد تأييد عاطفي له فقط، بل كان إيمانًا عميقًا بصدق ما جاء به، وكان تصديقها به يشمل كل جوانب حياتها.

ولم تكن تخشى من تصرفات قريش أو من ردود أفعال المجتمع، بل كانت تقف بثبات إلى جانب النبي (ﷺ)، فكان إيمانها يظهر في كل قرار كانت تتَّخذُه لتساعد النبي (ﷺ) في نشر رسالته، حتى في أحلك الأوقات كانت يزداد أهمية إيمان السيدة خديجة(عليها السلام) بعد البعثة عندما ننظر إلى ما كانت تمر به الدعوة من صعوبات، وقد قدمت السيدة خديجة(عليها السلام) جميع ما لديها من مال، وقوة، وزمن، وفكر من أجل أن تثبِّتَ قدم النبي (ﷺ) في ميدان الدعوة، فكانت تمثِّلُ نموذجًا فريدًا في التضحية والإيمان الثابت في الحقِّ، في وقت كان فيه الناس يبتعدون عن الصواب، ولقد كانت السيدة خديجة (عليها السلام) بمثابة الصخرة التي ارتكز عليها النبي (ﷺ) في بداية دعوته، وقد مثَّلَت نموذجًا للمرأة المسلمة التي تمتلك القوة والعزيمة من خلال دعمها للمشروع النبوي الذي غيّر وجه التاريخ، وقد قدمت درسًا عظيمًا في الإيمان، إذ أنَّ التصديق لا يكون بالكلمات فقط، بل بالأفعال التي تجسِّدُ الإيمان الحقيقي، وفي وقتٍ كان فيه الكثيرون يتردَّدُون أو يعارضون، كانت تقف بجانب النبي (ﷺ)، مدفوعةً بحبها لله ورسوله، وكان ذلك التصديق هو الذي شقَّ طريقًا جديدًا للبشرية.

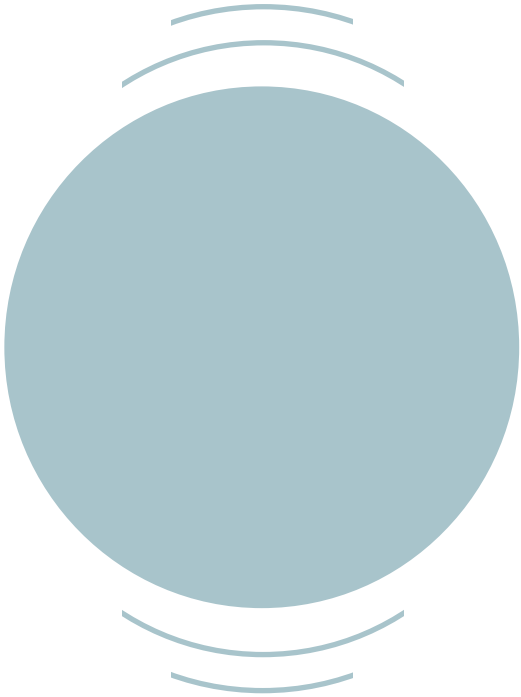

الدّعاء بين الصحيفة السجادية والباقرية
دراسة فنية موازنة

الأستاذ المساعد الدكتور ظاهر محسن جاسم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلق الله محمد وآله الطيبين الطاهرين وبعد؛ يعد الدعاء مخ العبادة وقد وردت الأحاديث عن النبي (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) في الحثِّ على الدعاء، لذا اخترنا هذا الموضوع لأهميته عند إمامين معصومين وهما الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية والإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في الصحيفة الباقرية لعقد موازنة بين ادعيتهم من حيث اللغة المستعملة في الدعاء، ومن حيث الأساليب الطلبية والإيقاع والصور، وعلى الرغم من اختلاف الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشها الإمامين فكان البحث في تمهيد عن الدعاء لغة واصطلاحًا وأثراً وثلاثة مباحث؛ المبحث الأول تناولت فيه: اللُّغة من أساليب طلبية خرجت مجازًا للدعاء من أمر ونهي واستفهام ونداء.....والثاني البناء الفني للدعاء من حيث الصور المجازية والاستعارية من تجسيم أو تجسيد....والمبحث الثالث درست فيه الإيقاع الداخلي من جناس وطباق وسجع وتكرار، ثم خاتمة بالنتائج التي توصل إليها البحث وقائمة بالمصادر والمراجع. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

أولاً: التمهيد: الدُّعاء لغة واصطلاحاً وأثراً:

الدُّعـاء في اللغـة: الرغبـة إلى الله سـبحانه وتعـالى، جـاء مـن الفعـل: دعـا، يدعـو، دعـاء[١].

وهـو طلـب يـأتي بمعنـى السـؤال[٢]، قـال تعـالى: (قَالُـواْ ادْعُ لَنَـا رَبَّـكَ يُبَـيِّن لَّنَـا مَـا هِـيَ إِنَّ الْبَقَـرَ تَشَـابَهَ عَلَيْنَـا وَإِنَّـآ إِن شَـاء اللهُ لَمُهْتَـدُون)[٣] ومـن مقاربـات الدعـاء القنـوت، وهـو الدعـاء في الصـلاة، قـال تعـالى: (أَمَّـنْ هُـوَ قَانِـتٌ آنَـاء اللَّيْـلِ سَـاجِدًا وَقَائِمًا يَحْـذَرُ الْآخِـرَةَ وَيَرْجُـو رَحْمَـةَ رَبِّـهِ قُـلْ هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِيـنَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِيـنَ لَا يَعْلَمُـونَ إِنَّـمَا يَتَذَكَّـرُ أُوْلُـوا الْأَلْبَـابِ)[٤] والقنـوت الطاعـة والإقـرار لله بالعبوديـة[٥].

من أحاديث النبي الأكرم (ﷺ) يحثُّ فيها على الدعاء:

- قـال (ﷺ): ((الدعـاء سـلاح المؤمـن وعمـود الديـن، ونـور السـماوات والأرض))[٦].

- قـال (ﷺ): ((إنَّ الدعـاء هـو العبـادة))[٧] قـال تعـالى: (وَقَـالَ رَبُّكُـمُ ادْعُـونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّذِيـنَ يَسْـتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَـادَتِي سَـيَدْخُلُونَ جَهَنَّـمَ دَاخِرِيـنَ)[٨].

١- تاج العروس، محمد الزبيدي: مادة (دعو).
٢- ينظر الكشاف، الزمخشري: ١/ ٦٨.
٣- سورة البقرة، من الآية ٧٠
٤- سورة الزمر، من الآية ٩
٥- لسان العرب، ابن منظور: مادة (قنت).
٦- أصول الكافي، الكليني: ٢/ ٧١٦.
٧- أصول الكافي، الكليني: ٢/ ٧١٥.
٨- سورة غافر، من الآية ٦٠.

– قال (ﷺ): ((الدعاء يرد القضاء وقد ابرم ابراماً). وكان النبي (ﷺ) يرفع يديه في الدُّعاء حتّى يُرى بياض إبطيه[٩].

– عن أبي عبد الله (عليه السلام): ((إنَّ العبد إذا دعا لم يزل الله تبارك وتعالى في حاجته ما لم يستعجل)) [١٠].

ثانياً: الابعاد النفسية (السيكولوجية) للدُّعاء:

هناك أبعاد نفسية (سيكولوجية) للدعاء منها [١١] :

١. الشعور بالطمأنينة النفسية، ذلك لأنَّ الدعاء وسيلة من وسائل بثِّ الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى والاعتماد عليه في النجاة من المكاره والمخاطر والأمراض.

٢. الاتِّزان النفسي؛ لأنَّ الدعاء يمنع الكبت والضغط النفسي، فيكون للعبد متنفس في إفراغ ما في نفسه من هموم، على حين أنَّ من لم يمارس الدعاء يلجأ إلى أساليب الانهزام أو القوة والتهور والقهر كالانتحار أو القتل.

٣. الشعور بالأمان من أي خطر جسيم، لأن الداعي توكَّل على الله وحسبه بذلك مغنماً.

٤. التسامي والعلو عن عالم الدنيا والشهوانية البغيضة والاتِّصال بعالم روحي.

٩- أصول الكافي، الكليني: ٢/ ٧١٧.
١٠- أصول الكافي، الكليني: ٢/ ٧٢٠.
١١- مقتبس من محاضرتي في مادة اللغة العربية لغير الاختصاص في قسم الفلسفة المحاضرة الثانية: ٤.

المبحث الأول: لغة الدعاء:

أولاً: أساليب الدُّعاء:

هناك أساليب طلبية تخرج عن الحقيقة إلى المجاز لغرض الدعاء منها:

١. الأمر: وهو طلب على سبيل التضرع؛ لأنَّه صادر من أقل مرتبة إلى أعلى مرتبة[١٢]، وهو من أكثر الأساليب الطلبية استعمالًا ورواجًا ومنه قول الإمام السجاد: ((اللهم اشدد بهم عضدي، وأقم بهم أودي، وكثر بهم عددي...)) [١٣]. وقول الإمام الباقر (عليه السلام): ((اللهم أعتق رقبتي من النار، وأوسع علي من رزقك الحلال، وادرأْ عني شر فسقة الجن والأنس))[١٤] فقد استعملَ الإمامانِ أفعالَ الأمرِ وهي اشدد، أقم، كثر، أعتق، أوسع، ادرأ.

٢. النهي ويكون صادرًا من أدنى رتبة إلى أعلى رتبة [١٥]، ومنه قول الإمام زين العابدين (عليه السلام) : ((وأسألُك بأنَّك الله لا إله الا أنت بأن تصلي على محمد وآل محمد أن تيسر لي أمري ولا تعسر...)) [١٦]. ومنه قول الإمام الباقر(عليه السلام): ((لا تجعل الدنيا علي سجناً، ولا تجعل فراقها علي حزناً)) [١٧].

٣. الاستفهام: حينما يكون تقريرًا أو انكارًا. كقول الإمام السجاد (عليه السلام): ((وَمَنْ يُؤْمِنُنِي مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي؟ وَمَن يساعِدُنِي وَأَنْتَ أَفْرَدْتَنِي؟ وَمَنْ يُقَوِّيْنِي وَأَنْتَ أَضْعَفْتَنِي؟)) [١٨].

١٢- ينظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب:١٢٤.
١٣- الصحيفة السجادية:١١٤.
١٤- الصحيفة الباقرية: ٢٢١.
١٥- ينظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب:١٢٨.
١٦- الصحيفة السجادية:٢٠١.
١٧- الصحيفة الباقرية: ٢٤.
١٨- الصحيفة السجادية:٩٦.

٤. النداء بصيغه المختلفة ومنها: يا ربِّ، يا الله، يا رحمنُ، اللهم... كقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): ((يامن يرحم من لا يرحمه العباد، ويامن يقبل من لا تقبله البلاد، ويامن لا يحتقر أهل الحاجة إليه...)) [١٩] إذ استعمل الإمام الـ(يا)، وغالبًا ما تأتي في نداءاته، لأنَّها تستعمل في جميع أنواع النداء فينادى بها (المتوسط والبعيد حقيقة أو حكمًا)[٢٠]، ومثله قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((يا سامع كل صوت، ويا جامع كل فوت، ويا بارئَ النُّفوسِ بعد الموت...)) [٢١].من ذلك نلحظ استعمال الإمام لحرف النداء في مقاطع متساوية، لكن أكثر ما يستعمل الإمامان لفظة (اللَّهُمَّ) يقول ابنُ عقيلٍ: ((والأكثر في نداء اسم الله تعالى (اللهمَّ) بميم مشددة معوضة عن حرف النداء))[٢٢]، ومنه قول الإمام السجاد (عليه السلام): ((اللهم لك الحمد رب العالمين، اللهم لك الحمد بديع السموات والأرض....)) [٢٣]، وقول الإمام الباقر (عليه السلام): ((اللهم لك الحمد حمد الشاكرين لك على مصابهم...)) [٢٤]

٥. الأخبار: وهو استعمال الجملة الخبرية لبيان حال العبد إلى الله سبحانه وتعالى، ضمن الأمور التي أُوصَى بها النبي تعين حاجة العبد، وأن كان الله سبحانه وتعالى عالم بها. كقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): ((اللَّهُمَّ ولِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ قَدْ قَصَّرَ عَنْهَا جُهْدِي)) [٢٥].

١٩- الصحيفة السجادية:٢٠١.
٢٠- ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب:٣/ ٣٢٦.
٢١- الصحيفة الباقرية:٦١٤.
٢٢- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:٣/ ٢١٨.
٢٣- الصحيفة السجادية: ٢٠٦.
٢٤- الصحيفة الباقرية:٧٧.
٢٥- الصحيفة السجادية:٦١.

ثانياً: الألفاظ:

إنَّ اختيار الألفاظ المناسبة في سياق الدعاء ليس بالأمر اليسر، لكنَّها تكون أيسر لمن حفظ القرآن وفهم آياته لذا نجد المفردات والألفاظ القرآنية حاضرة في أدعية الإمامين، ومن ذلك قول الإمام السجاد (عليه السلام): ((قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين)) [٢٦]. استوحاه من قوله تعالى: (لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [٢٧]، أو قوله أيضاً: ((وبيِّض به وجوهنا إذا سودت الأبشار)) [٢٨]، استوحاه من قوله تعالى: (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) [٢٩]، وإذا انتقلنا إلى أدعية الإمام الباقر (عليه السلام) نجد أغلب اقتباساته من القرآن بشكلٍ مباشرٍ كليٍّ منه قوله: ((سبحان الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد)) [٣٠] اقتبسها من سورة التوحيد. كذلك نجد تركيب الجملة عند الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) مختلف فهو يعيد ترتيب عناصرها لتولِّدَ أثراً عند تلاوتها من ذلك قوله: ((اللهم أنَّك من الضعف خلقتنا ومن الوهن بنيتنا، ومن ماء مهين ابتدأتنا)) [٣١] فقد قدم الجار والمجرور على الفعل والأصل خلقتنا من الضعف....فقدم الإمام الضعف والوهن والماء المهين للاهتمام والتَّذلل لله سبحانه وتعالى.

٢٦- الصحيفة السجادية:١٩.
٢٧- سورة الانعام:١٠٣.
٢٨- الصحيفة السجادية:٢٢.
٢٩- سورة آل عمران:١٠٦.
٣٠- الصحيفة الباقرية: ٥٨٤،٥٨٥.
٣١- الصحيفة السجادية: ٥١.

المبحث الثاني: البناء الفني للدُّعاء عند الإمامين السجاد والباقر(عليهما السلام):

إنَّ ما يميِّزُ أدبُ الإمامِ السَّجادِ (عليه السلام) في أدعيته أن كل دعاء يتضمن بعدًا موضوعياً يدور حوله الدعاء فهو يستهل به ويتخلل وسطه ثم يختم به، ومنها الدعاء لنفسه ولأهل بيته، ولجيرانه، ولأهل الثغور وفي مكارم الأخلاق فضلًا عن المناجاة، أمَّا أدعية الإمام الباقر (عليه السلام) فهي مقطوعات قصيرة ربما لم تصل لنا كاملة فضلًا عن الفنون النثرية الأخرى من خطبة أو كلمة مؤثرة أو حديث[٣٢].

أولاً: الصور المجازية والأخيلة: لا يخفل الدعاء على صور كثيرة؛ لأنَّه خطاب موجَّه من العبد إلى الله سبحانه وتعالى بتذلل وإجلال وتعظيم، لكنَّا قد نجد تلك الصور التي تجسِّدُ تذلل العبد وندمه على اقتراف الذُّنوب هنا وهناك في ثنايا بعض الأدعية ومنه:

قول الإمام السجاد (عليه السلام): ((أللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَهَوِّنْ بِالْقُرْآنِ عِنْدَ الْمَوْتِ عَلَى أَنْفُسِنَا كَرْبَ السِّيَاقِ، وَجَهْدَ الانِينِ، وَتَرادُفَ الْحَشَارِجِ إِذَا بَلَغَتِ ألنُّفُوسُ التَّراقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاق وَتَجَلَّى مَلَكُ الْمَوْتِ لِقَبْضِهَا مِنْ حُجُبِ الْغُيُوبِ، وَرَمَاهَا عَنْ قَوْسِ الْمَنَايَا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الْفِرَاقِ، وَدَافَ لَهَا مِنْ ذُعَافِ الْمَوْتِ كَأْساً مَسْمُومَةَ الْمَذَاقِ...)) [٣٣] فقد استعارة حاسة الذوق ليجسم الموت، وكأنَّه كأس مسمومة المذاق وهذا وارد في القرآن الكريم قال تعالى: (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) [٣٤] ومثل ذلك قوله : ((إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك)) [٣٥] استعار لفظة (ذاق) لحلاوة الايمان بجامع التلذذ والرغبة.

٣٢- أدب الشريعة الإسلامية، البستاني: ٢٤٢ وما بعدها.
٣٣- الصحيفة السجادية:١٧٤.
٣٤- سورة العنكبوت: ١٦.
٣٥- الصحيفة السجادية: ٣١٢.

ومن النصوص الدعائية التي تبرز فيها الصورة بشكل مكثف قول الإمام السجاد (عليه السلام) : ((أللَهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مَنْ نَار تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَتَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ، وَمِنْ نَار نورُهَا ظُلْمَة وَهَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَبَعِيدُهَا قَرِيبٌ، وَمِنْ نَار يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضٌ، وَيَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْض، وَمِنْ نَار تَذَرُ الْعِظَامَ رَمِيماً، وَتَسْقِي أَهْلَهَا حَمِيماً، وَمِنْ نَار لاَ تُبْقِي عَلَى مَنْ تَضَرَّعَ إلَيْهَا، وَلاَ تَرْحَمُ مَنِ اسْتَعْطَفَهَا...)) [٣٦]، وصف الإمام النار وصفًا دقيقًا تخللته الصور المجازية تجسد النار وكأنَّها إنسان عاقل لا ترحم ولا تعطف، وقد استطاع الإمام الجمع بين المتضادات (نورها ظلمة) و(وهينها أليم) و (بعيدها قريب) يؤازرُ ذلك الموسيقى من طباق وجناس في أسلوب قل نظيره.

كذلك يمكن أن نلاحظَ أنَّ الصُّور تأتي في المناجاة أكثر من أدعية طلب الحاجات الدنيوية، ويعلِّلُ الدكتور البستاني ذلك: لكون المناجاة (تواصلاً) و(وجداً) و(معاناة) و(توحّداً) على حين أنَّ الدعاء الاعتيادي لا يُعنى فيه إلَّا بالتعبير المباشر بعكس المناجاة التي يتعمَّقُ فيها الشخص وينفعل [٣٧].

يقول الإمام السجاد في إحدى مناجاته: ((إلهِي فَاجْعَلْنا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَتْ أَشْجارُ الشَّوقِ إلَيْكَ فِي حَدآئِقِ صُدُورِهِمْ، وَأَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجامِعِ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ إلَى أَوْكارِ الأَفْكارِ يَأْوُونَ، وَفِي رِياضِ الْقُرْبِ وَالْمُكاشَفَةِ يَرْتَعُونَ، وَمِنْ حِياضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلاطَفَةِ يَكْرَعُونَ، وَشَرايعَ الْمُصافاةِ يَرِدُونَ)) [٣٨] فالإمام في هذه المناجاة جسَّمَ المشاعر فجعل الشوق أشجارًا في قلوبهم التي أصبحت حدائق لهذا الأشجار، أما لوعة المحبة

٣٦- الصحيفة السجادية: ١٤٨،١٤٩.
٣٧- ينظر: أدب الشريعة الإسلامية، محمود البستاني: ٢٧٦.
٣٨- الصحيفة السجادية: ٣١٩،٣٢٠.

فإنَّها أخذت بمجاميع قلوبهم فهم يتأمَّلونها فيأوون إلى أعشاش الأفكار وهكذا أصبحت المشاعر والأفكار أجسام ملموسة. وفي بعض الأحيان يجسد الأمور إذ يقول: ((إلهي أَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتِي...)) فالخطايا تلبس وكأنَّها إنسان أدمي ولكن ماذا تلبس؟ تلبس ثوب الذلة، وهذا مستوحى من القرآن قال تعالى: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ)[٣٩] وربما تأتي الصورة على نقيض (ألبس) كقوله: ((ولا تعرني من جميل صفحك وسترك، إلهي ظلل على ذنوبي غمام رحمتك، وأرسل على عيوبي سحاب رأفتك))[٤٠].

أما الصُّورة في أدعية الإمام الباقر (عليه السلام) فهي أقل حضورًا ومنها قوله : ((اللهم صل على محمد وآله واجعل لي قلبًا طاهرًا ولسانًا صادقًا)) [٤١] وهو مجاز مرسل علاقته تسمية الشيء باسم آلته[٤٢] وهو مستوحى من القرآن قال تعالى: (وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ) [٤٣]. ومن ذلك أيضاً قوله (عليه السلام) : ((اللهم أعتق رقبتي من النار)) [٤٤] والمقصود بالرقبة عتقه هو، لكنَّها صورة مجازية علاقتها الجزئية، وهي أن يذكر الجزء ويراد به الكل[٤٥].

٣٩- سورة النحل، الآية: ١١٢.
٤٠- الصحيفة السجادية: ٢٩٢.
٤١- الصحيفة الباقرية: ٦٥.
٤٢- ينظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب:٣٢٤.
٤٣- سورة الشعراء، الآية ٨٤.
٤٤- الصحيفة الباقرية: ١٠٨.
٤٥- ينظر: البلاغة والتطبيق، أحمد مطلوب:٣٢٣.

ثانيا الإيقاع والموسيقى الداخلية:

يعد الإيقاع من أهم عناصر بناء الدعاء؛ لأنَّ الدُّعاء يقترن بالتلاوة، وليس بالقراءة الصامتة، لذا فهو يتطلب إيقاعا يتناسب مع وحداته الصوتية التي تنتظم في فواصل متجانسة [٤٦] يشدُّ أزرَها الأساليب البديعية من جناس وطباق وسجع وتكرار وهو ما سندرسه في هذا المطلب:

١. الجناس:

وهو من أهم مظاهر التنويع الموسيقي في إطار تحقيق مبدأ التناظر والتماثل، معتمداً على عاملي التشابه في الوزن والصوت وعلى التناغم الصوتي في تكرار الحروف وحدّه ((أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى)) [٤٧] و يتألف الجناس مما يأتي:

الجناس التام: ((وهو أن تتفق الكلمتان في لفظهما ووزنهما وحركتهما ولا يختلفان إلا من جهة المعنى)) [٤٨] وهو جناس يثير انتباه المتلقي لتطابق الصورة الصوتية للفظتين، فيحمل المتلقي أن يركز على اختلاف المعنى، ومثال ذلك يظهر في قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((اللهم لا تفتني، وآثرني بعقلي من تولى عقلي)) [٤٩] فقد جانس الإمام بين كلمتي (عقلي) الأولى وتعني التعقل و (عقلي) الثانية تعني العقل الربط أو الشد مع اتفاق الكلمتين في الحروف واختلافهما بالمعنى. وهذا النوع من الجناس قليل في الدُّعاء؛ ربما لأنَّه متكلف به.

٤٦- ينظر: أدب الشريعة الاسلامية، البستاني: ٢٦٣.
٤٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق: ١ / ٢٨٣.
٤٨- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، ليحيى بن حمزة العلوي اليمني (ت٧٤٩هـ)، تحقيق: سيد بن علي المرصفي، مطبعة المقتطف، مصر ١٩١٤م: ٢/ ٣٥٦، ينظر: المثل السائر: ١/ ٢٤١.
٤٩- الصحيفة الباقرية: ١٦.

الجناس اللاحق: وهو ما كان الحرفان المختلفان متباعدين في مخرجهما سواء أكان في أول الكلمتين أم في وسطهما أو في آخرهما[٥٠] يقول الإمام زين العابدين ﷺ: ((وخطرات الوسواس حارسًا، ولأقدامنا عن المعاصي حابساً)) [٥١] فقد جانس بين كلمتي (حارسا) و(حابسا) ومع اختلاف حرفي الراء والباء في مخرجهما. ونجد ذلك في دعاء الإمام الباقر ـ ﷺ ـ إذ يقول:

((وأن تعينني به على آخرتي في القبر، وفي النشر والحشر وعند الميزان وعلى الصراط يا حنان يا منان)) [٥٢] فقد جانس الإمام بين مفردتي (النشر والحشر) و(حنان ومنان) مع اختلاف الحرف الأول النون والحاء في الكلمة الأولى والحاء والميم في الكلمة الثانية وهما حرفان من مخرجين مختلفين.

الطباق:

((وهو الجمع بين الشيء وضده))[٥٣] وعلى الرغم من أنَّ الطباق من المحسنات المعنوية إلا أنَّه ((يتضمن أمورا تتصل اتصالا وثيقا ببحث موسيقى الألفاظ))[٥٤]، التي تكمن في إشباع حاسة تداعي التضاد وهي تقابل تداعي المشابهة[٥٥].

٥٠- ينظر: الطراز، العلوي: ٢/ ٣٦٦، ٣٦٧، معجم المصطلحات البلاغة، أحمد مطلوب: ٢/ ٩٢، ٩٣.
٥١- الصحيفة السجادية: ١٧٣.
٥٢- الصحيفة الباقرية: ١٦.
٥٣- كتاب الصناعتين، لأبي هلال العسكري: ٣٣٩.
٥٤- موسيقى الشعر، ابراهيم أنيس: ٤٤.
٥٥- ينظر: شعر السيد رضا الهندي، دراسة في الموضوع والفن، ظاهر محسن جاسم: ٢٤٩، ٢٥٠.

ويمكن تقسيم استعمال الإمامين للطباق على وفق التقسيم الآتي:

أ . طباق الإيجاب وهو على نوعين: منه ما كان بين اسمين كقول الإمام السجاد (عليه السلام): ((اللهم أسئلك بي الطريقة المثلى، واجعلني على ملتك أموت وأحيا)) [٥٦] أو قوله: ((في سراء كنت أو ضراء أو شدة أو رخاء أو عافية أو بلاء، أو بؤس أو نعماء...)) فقد جاء الطباق عن طريق المقابلة بين أكثر من كلمتين، ومنه قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((إنَّهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا)). فقد طابق بين كلمتي بعيد وقريب وهو مقتبس من القرآن الكريم من سورة المعارج.

ب . طباق السلب: وهو أن يجمع بين لفظين متضادين أحدهم مثبت والأخر منفي، ومنه وقول الإمام زين العابدين (عليه السلام): ((ويامن يستغنى به ولا يستغنى عنه)) [٥٧] طباق سلب، إذ طابق الإمام بين الإثبات (يستغنى) و النفي (لا يستغنى) ، أو كقول الإمام الباقر (عليه السلام): ((لا شفاءَ إلا شفاؤُك شفاءٌ لا يغادرُ سقمًا)) [٥٨] .

السجع:

يعدُّ السَّجع أحد الأضرب البديعية التي تولِّدُ موسيقى في النص الشعري والنثري على السواء ولاسيما في الدعاء حين يقرأ بصوت شجي فإنَّه يولد الخشوع في قلب السامع وهو على أنواع منها:

٥٦- الصحيفة الباقرية: ٢٥٧.
٥٧- الصحيفة السجادية: ٦٠.
٥٨- الآيتان: ٦،٧.

السجع المرصع:

السجع المرصع:"وهو مقابلة كلّ لفظة بلفظة على وزنها ورويها"[٥٩]، و((إذا سلم من الاستكراه فهو أحسن وجوه السجع))[٦٠]، وأفضلها لما يحقِّقه من موسيقى إيقاعية من خلال التقابلات ما بين الألفاظ بالوزن والروي، فالمتلقِّي حينما يسمع الأول من العبارة في النص تألف نفسه إلى أن تكون التي بعدها على الصيغة نفسها التي وردت بها الأولى. ومنه قول الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) في دعاء مكارم الاخلاق: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ مَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِ الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَ سلامَةَ الْمِرْصَادِ))[٦١] أو قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((يا سابق الفوت، ويا سامع الصوت، ويا كاسي العظام لحماً بعد الموت))[٦٢].وهو كثير في أدعية الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) من غير تكلُّفٍ، ومنه قوله في دعاء ختم القرآن: ((اللهم صلِّ على محمد وآل محمد وجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنسًا، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوسواس حارسًا، ولأقدامنا عن المعاصي حابساً))[٦٣].

السجع المطرّف:

وهو أن يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها بأسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن تكون روي القافية، وهذا "يعني اختلاف الفاصلتين وزناً واتفاقها في حرف السجع"[٦٤]. كقول

٥٩- البلاغة العربية، أحمد مطلوب: ٢٧٥.
٦٠- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري(ت٣٩٥هـ): ٢٣٥.
٦١- الصحيفة السجادية: ٩٢،٩٣.
٦٢- الصحيفة الباقرية: ٦١٤.
٦٣- الصحيفة السجادية:١٧٣.
٦٤- البلاغة العربية، (المعاني والبيان والبديع)، أحمد مطلوب: ٢٧٤.

الإمـام زيـن العابديـن (عليه السلام) في دعـاء يـوم الأحـد و هـو مـن أدعيـة الأيـام: ((بسـم الله الـذي لا أرجـو إلا فضلـه، ولا أخشـى إلَّا عدلـه، ولا أعتمـد إلَّا قولـه، ولا أتمسـك إلَّا بحبلـه...)) [٦٥] . كذلـك مـا دعـا بـه الإمـام الباقـر (عليه السلام): ((أنـت يـا إلهـي مفـرج كل بلـوى، أنـت يـا إلهـي في كل عظيمـة تدعـى، وأنـت يـا ذخـري لـكل شـدة ترجـى)) [٦٦] فقـد جـاءت الكلـمات في دعـاء الإمـام زيـن العابديـن (عليه السلام) مسـجوعة في حـرف الـروي (فضلـه....عدلـه....قولـه.... بحبلـه) ممَّـا وفَّـرَ قيمـة صوتيـة تسـاعد عـلى التـلاوة، كذلـك في دعـاء الإمـام الباقـر(عليه السلام) (بلوى....تدعى....ترجـى).

نلاحـظ اسـتعمال الإمامـين (عليهما السلام) السـجع لمـا فيـه مـن قيمـة صوتيـة تضفـي عـلى الدعـاء جرسًـا موسـيقيًّا فضـلًا عـن القيمـة الدَّلاليـة.

التكرار:

يعـد التكـرار ظاهـرة فنيـة بـارزة شـهدتها أدعيـة الإمـام السـجاد (عليه السلام) وهـي مـن الوسـائل الموسـيقية التـي تسـهم في ترسـيخ المعنـى الأدائـي وتعمقـه، عنـد إلحـاح الداعـي عـلى جهـة في العبـارة يعنـي بهـا أكثـر مـن عنايتـه بسـواها لأجـل التأكيـد [٦٧]، وقـد شـغل التكـرار مسـاحة واسـعة في أدعيـة الإمـام السـجاد أكثـر عـما هـو عليـه في أدعيـة الإمـام الباقـر (عليه السلام) وهـو عـلى ضروب أهمهـا:

أ . تكـرار الحـرف: إذ كثـيراً مـا يتكـرر حـرف مفـرد في مقطـع يطـول أو يقصـر في الدعـاء عـن غـير قصـد بـل يـأتي عفـو الخاطـر فيكـون لـه جرسًـا موسـيقيًّا ومنـه قـول الإمـام السـجاد في دعـاء ختـم القـرآن: ((اللهـم صـلِّ عـلى محمـد

٦٥- الصحيفة السجادية: ٢٧٧.
٦٦- الصحيفة الباقرية: ٢٢٢.
٦٧- ينظر: قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة: ٢٤٠.

وآل محمد وجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مؤنسًا، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوسواس حارسًا، ولأقدامنا عن المعاصي حابساً))[٦٨] إذ تكرَّرَ حرف السين خمس مرات. كذلك قول الإمام الباقر (عليه السلام): ((اللهم أنِّي أسالك باسمك وبركاتك، ودعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك))[٦٩] نلاحظ تكرر حرف الكاف سبع مرات في هذا المقطع القصير. ولعلَّ هذا التكرار يوحي بإثارة جوّ الوحشة والقلق، والخوف من لقاء الله سبحانه وتعالى وعالم الموت وما بعده؛ لأنَّه عالم مجهول للإنسان، ولأنَّ هذه الدعاء غير مخصوص بالإمام المعصوم فقط بل أعدَّه عليه السلام لكلِّ إنسانٍ يخاف لقاء الله تعالى.

ب. تكرارُ اللَّفظِ المفردِ سواءٌ أكان اسماً أم فعلاً أم حرفاً، ومنه تكرار كلمة (مولاي) في دعاء الإمام زين العابدين (عليه السلام) في (التذّلل) إذ يقول: ((مولاي مولاي أنت المولى وأنا العبد، وهل يرحم العبد إلا المولى. مولاي مولاي أنت العزيز وأنا الذليل، وهل يرحم الذليل إلا العزيز. مولاي مولاي...)) [٧٠]. أما تكرار المفاعيل فنجده يكرر جملة منها كالمفعول المطلق (سبحانك) في قوله: ((سبحانك اللهم وحنانيك. سبحانك اللهم وتعاليت. سبحانك اللهم والعزة إزارك...)) [٧١] أما تكرار الحرف فلو أخذنا تكرار حرف النداء (يا) في قوله: ((يا من يرحم من لا يرحمه العباد، و يا من يقبل من لا تقبله البلاد، ومن لا يحتقر أهل الحاجة إليه...)) [٧٢] على حين نجد تكرار الفعل (لا تجعل) في دعاء الإمام الباقر (عليه السلام): ((ولا

٦٨- الصحيفة السجادية:١٧٣.
٦٩- الصحيفة الباقرية:٢٧٥.
٧٠- الصحيفة السجادية:٣٥٩.
٧١- المصدر نفسه :٢٦٣،٢٦٤.
٧٢- الصحيفة السجادية:٢٠١.

تجعل الدنيا عليّ سجناً، ولا تجعل فراقها عليّ حزناً.... واجعل عملي فيها مقبولًا...)) [٧٣]

ت. تكرار الجملة: الذي نلاحظه في أدعية الإمام زين العابدين (عليه السلام) تكراره لجملة (اللهم صل على محمد وآل محمد)، فإنَّها تكررت في أكثر من موضع لو أحصيناها في دعاء مكارم الأخلاق فقط لوجدناها تكررت سبع عشرة مرة، يقول في افتتاحه: ((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ بَلِّغْ بِإِيمَانِي أَكْمَلَ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ...)) [٧٤] أما الإمام الباقر (عليه السلام) فيكرر جملة النداء في: ((يا الله يا الله يا الله، يا رحمن يا رحمن يا رحمن، يا رحيم يا رحيم يا رحيم...)) [٧٥] فالتكرار يولد إيقاعًا ينظم تلاوة الدعاء، ثم إنَّه يؤكِّدُ الدعاء والإلحاح في الدعاء من الأمور التي أوصى بها النبي وأهل بيته، قال النبي (صلى الله عليه وآله): ((رحم الله عبداً طلب من الله عزّ وجلّ حاجةً فألحَّ في الدُّعاء لها)) [٧٦] .

٧٣- الصحيفة الباقرية :٢٤.
٧٤- الصحيفة السجادية:٨٥.
٧٥- الصحيفة الباقرية :٢٤٥.
٧٦- أصول الكافي، الكليني : ٢/ ٧٢١.

الخاتمة:

تميز البناء الفني لأدعية الإمامين ـ عليهما السلام ـ بما يأتي:

١. استعمل الإمامان السجاد والباقر (عليهما السلام) الأساليب الطلبية التي تخرج للدعاء من أمر ونهي واستفهام ونداء.

٢. استوحى الإمامان ألفاظهما من القرآن الكريم، ويظهر ذلك أكثر في الصحيفة السجادية.

٣. امتازت أدعية الإمام السجاد بالتكامل بالبناء إذ يبدأ الدعاء بالافتتاح ثم العرض ثم النهاية أو الخاتمة.

٤. تضمَّنَ دعاؤُهما إيقاعا إذ يقترن الدعاء بالتلاوة التي تتطلب إيقاعًا يتناسب مع الوحدات الصوتية للدُّعاء التي تنتظم في فواصل وحروف متجانسة.

٥. احتواء أدعيتهما على صور فنية تأتي كعنصر ثانويٍّ بعد الإيقاع، لكنَّ الإمام السجاد استعمل التجسيم والتجسيد في أدعيته.

٦. استعمل الإمامان الإيقاع الداخلي من جناس وطباق وسجع وتكرار في أدعيتهما.

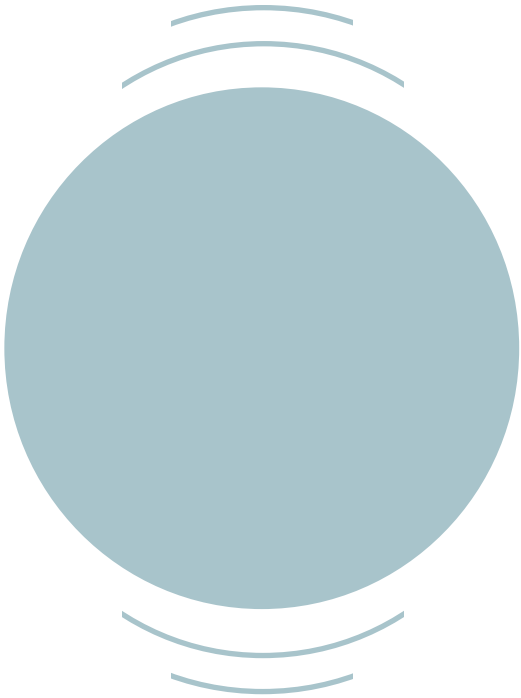

فقه الإصلاح .. مبانيه وأدواته ومراحل

سماحة السيد منير الخباز (دام توفيقه)

انطلاقًا من مقولة الإمام الحسين (عليه السلام): (إنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر)[1]، قبل الدخول في البحث هناك مدخل يتضمن ثلاث نقاط:

النّقطة الأولى: تحديد مفهوم الصَّلاح والإصلاح الذي يتألّف من عناصر ثلاثة؛ الأوَّل: اعتدال القوى في شخصيّة الإنسان، القوّة العقليّة والقوّة الشَّهويّة والقوّة الغضبيّة.

العنصر الثاني: توافق الظَّاهر والباطن في شخصيّة الإنسان.

العنصر الثالث: استمرار هذا التَّوافق بحيث يصبح ملكة متميّزة في شخصية الإنسان.

فإذا توفَّرت هذه العناصر الثلاثة صدق عنوان الصّلاح بالنسبة للإنسان، ودخل تحت هذا العنوان الذي نوّه به القرآن الكريم بقوله: (فَأُولَئِكَ مَعَ الذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النبِيينَ وَالصديقِينَ وَالشهَدَاءِ وَالصالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)[2].

١- بحار الأنوار: ج ٤٤/ ص٣٢٩.
٢- سورة النساء: ٦٩.

النُّقطة الثَّانية: الإصلاح في القرآن الكريم؛ لقد تحدَّث القرآن الكريم عن مفردة الإصلاح في أكثر من ست عشرة آية وهو ما يرشدنا إلى أنَّ مشروع الإصلاح مشروع سماويّ ارتبط بالأرض منذ نزول أوّل إنسان عليها، ففي حوار الباري تبارك وتعالى مع الملائكة عن دور الخليفة في الأرض تجاه مشروع الإصلاح وتساؤل الملائكة: (أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدمَاءَ)[٣]، وجوابه: (إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)[٤].

هذا الحوار يبرز لنا أنَّ لمشروع الإصلاح في القرآن الكريم عدّة معالم:

المعلم الأوّل: العلاقة الجوهرية بين صلاح الأرض وانبثاق الإصلاح عن الحجّة المعصوم في الأرض كما في قوله تعالى: ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ))[٥].

والمعلم الثاني: تنوّع الإصلاح إلى الإصلاح العام، والإصلاح الخاص، والإصلاح الأخص.

والمعلم الثالث: ارتباط الصّلاح الاقتصادي في عدّة آيات من القرآن بهذه القوانين السّماويّة التي وضعها القرآن الكريم لتحديد مسيرة الإصلاح.

النّقطة الثالثة: إنَّ فلسفة التشريع انبثقت من الرّؤية الإصلاحية في القرآن الكريم حيث إنَّ محور التشريع الفقهي يرتكز على الربط بين صلاح الظاهر والباطن، وصلاح الفرد والمجتمع، ضمن نظامٍ دقيقٍ يقتضي تحوّل الصّلاح إلى ملكة في الفرد وحضارة في المجتمع.

٣- سورة البقرة: ٣٠.
٤- سورة البقرة: ٣٠-٣١.
٥- سورة الحديد: ٢٥.

انطلاقًا من هذه الفلسفة المتكاملة، تنوّع الفقه إلى الفقه الفردي والفقه الاجتماعي، فالفقه الفردي ما كان محوره الإنسان من حيث سلوكه وعلاقته بالله أو علاقته بالطَّبيعة، والفقه الاجتماعي ما كان محوره العلاقة بين طرفين سواء كانت علاقة تكليفية أو علاقة وضعيّة، وينقسم الفقه الاجتماعي على أربعة أقسام:

الأوَّل: الفقه الولايتي، وهو عبارة عمّا تقوم به السّلطة التشريعية المتمثّلة بالمعصوم أو نائبه بالقوانين العامّة في حقّ المجتمع لملء منطقة الفراغ بما يسهم في تحقيق العدالة العامّة.

الثاني: الفقه المعاملي، وهو ما كان محوره المعاملة بين شخصين أو جهتين أو شخص وجهة.

الثالث: الفقه الجزائي، وهو ما كان محوره المفردة الجزائية نتيجة سلوك غير مشروع تجاه الآخر عمدًا أو خطأ.

الرابع: الفقه الإصلاحي، وهو ما كان محوره ردم منافذ الفساد في العلاقات الاجتماعية من خلال وضع طرق وقائيّة وأساليب علاجيّة، وله ثلاثة أصول أو أصناف:

الصّنف الأوّل: الإصلاح التَّمهيدي المتمثّل في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

والإصلاح الرّدعي: وهو عبارة عن فقه القضاء الذي يتخلّص في فضِّ الخصومات والمنازعات وردِّ الحقوق إلى أهلها.

والفقه الإصلاحي الثالث: الفقه الحقوقي بأقسامه المتنوّعة.

وللفقه الإصلاحي في صنفه الأوّل وهو بالأمر بالمعروف والنهي عن المكر عدّة محاور:

المحور الأوّل: هو وجوب الإصلاح، هل هو وجوب عقلي أو وجوب شرعيّ تحدَّثتُ عن أدلة الوجوب العقلي كما ذكرها المحقّق العراقي (قدّس سرّه) في شرح التبصرة، وتحدَّثتُ عن الوجوب الشرعي أيضًا من خلال الأدلّة التي تعرّض لها الأعلام في كتبهم الفقهيّة منها قوله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ)[٦]، وإنَّ هذه الآية هل هي من التّبعيضيّة أم من البيانية.

والآية الثانية: (يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ)[٧] هل أنَّ سياق هذه الآية هو سياق الإلزام أو سياق الموعظة.

الوجه الثالث: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ)[٨] فهل المقارنة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تؤكِّد أهمّيّة الأمر بالعروف والنهي عن المنكر؛ كونه فقهًا إصلاحيًّا ضروريًّا.

الوجه الرابع: ما يستفاد من تمام الرّوايات الواردة عن آل بيت العصمة -عليهم السلام- وقسمتها إلى طوائف يستفاد من مجموعها هذا الوجوب.

المحور الثاني: إنَّ هذا الوجوب أهو عيني أم كفائي، وتحدّثتُ عمّا تعرَّض له الأعلام من الأدلة في هذا المجال مع مناقشتها، كما ذكرت رأي سماحة الأستاذ السيد علي السيستاني (دام ظله الوارف) الذي تعرّض له في منهاج

٦- سورة آل عمران: ١٠٤.
٧- سورة لقمان: ١٧.
٨- سورة آل عمران: ١١٠.

الصالحين بقوله: حتى لو بيّنّا أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوب كفائيّ إلا أنَّ إظهار الكراهة أمام فاعل المنكر وجوب عينيّ، ولا يدخل تحت هذا الوجوب الكفائي لمجاملات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المختلفة.

المحور الثالث: تحدَّثتُ عن مفهوم المعروف والمنكر وأنَّ المعروف ما كان حسنًا عقلاً أو شرعًا بهذه السعة يشمل القضايا العبادية والمعاملية وكل مناحي الحياة الدخيلة في حفظ النظام: كالقضايا الاقتصادية في مجالاتها المختلفة.

المحور الرابع: تحدَّثتُ عن مقوّمات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي ذكرت في كلمات الفقهاء منها: معرفة المعروف ومعرفة المنكر، واحتمال التأثير بالمعنى السلبي لا بالمعنى الإيجابي، وكون الفاعل مصرًّا على المعصية.

> والمورد الآخر في الفرق بين الرفع والدفع، تعرَّضتُ هنا للمقارنة بين رأي السّيّد الإمام الخميني (قدس سره) وبين رأي السيد الخوئي (قدس سره) حيث ذهب السيد الخميني إلى وجوب الدفع والسيد الخوئي خصّ الوجوب بالرفع، بحيث لا يشمل الدفع، وتعرّضتُ للمقارنة بين هذين الرأيين، وترجيح أحدهما على الآخر.

من شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عدم ورود ضرر على الآمر والناهي نفسًا أو عرضًا أو مالاً بنحوٍ يُعتَدّ به، وكما تعرّضتُ إلى اتجاهات فقهية ثلاثة:

هل أنَّ دليلنا ضرر ودليلنا حرج حاكم حتى مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أم أنَّه يدخل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ترتب الضرر في موارد التزاحم فيلاحظ أهمّيّة أحدهما على الآخر.

تعرضت أيضًا في الشرط الخامس وهو ألّا يكون الآمر والناهي مؤتمرًا بما يأمر به ومنتهيًا عمّا ينهى عنه.

وتعرَّضتُ أيضًا لمراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن وصلتُ إلى مرتبة استخدام اليد، ومعنى استخدام اليد هو القيام بعمليّة التغيير وليس استخدام القوّة، وهنا تعرضتُ إلى ثلاثة اتجاهات فقهيّة:

اتجاه صاحب الجواهر (رحمه الله) من أنَّ المفهوم والمتبادر من سياق أدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحقيق المعروف ومحو المنكر.

أمّا الاتجاه الثاني فهو اتجاه السّيّد صاحب المستمسك (قدس سره) من المنساق من أدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إيجاد الدَّاعي وغرس الزّاجر وليس المنساق منها تحقيق المعروف خارجًا أو محو المنكر خارجًا.

الاتجاه الثَّالث: ما ذكره المرحوم الأستاذ السيد تقي القمي في بيان المنهاج من أنَّ المنساق من الأدلة مجرّد أن يكون المؤمن آمرًا أو ناهيًا لا أكثر من ذلك، وقارنته بين هذه الاتجاهات الثلاثة بحسب أدلّتها.

فتوى الدفاع الكفائي في المُعطيات الشرعيّة والمحليّة والدوليّة

القاضي الشيخ محمد كنعان

في المعطى الشرعيّ أنّ الفتوى المباركة صدرت وهي لا تحمل توقيع سماحة السيد (دام ظلّه) بل تحمل توقيع النجف الحاضرة الموغلة في العلم والتاريخ، توقيع النجف بكلّ الآيات القرآنية التي تأذن بالقتال الدفاعيّ ضمن ضوابطه، وبكلّ أحاديث الجهاد والدفاع من رسول الله(ﷺ) إلى آخر المعصومين(عليهم السلام).

وفي المعطى العراقي عندما يكون المعصوم (عليه السلام) حاضراً ويده مبسوطة على الأقلّ في وظيفته التبليغيّة فإنّ العلاقة معه دائماً تُتّخذ، ويجب أن يُتّخذ طابع الإلزام فيها فيما هو شأن السماء، فللّه سبحانه الحجّة البالغة التي تكون حكماً واقعياً بيد المعصوم ليصل إلى الناس، وكلّ ردٍّ على المعصوم هو ردٌّ على الله تعالى، وهذه العلاقة لا يمكن إلّا أن تكون هي التسلسل العامودي من الله إلى المعصوم إلى العالم إلى غير العالم، ليحيا من يحيا عن بيّنة ويهلك من يهلك عن بيّنة، وعلى المستوى الأممي أنّ العراق منذ القدم بشكلٍ إقليميّ له خصوصيّاته وعاداته وتقاليده، وقد جاءَ الإسلامُ مبقيًّا على هذه الخصوصية وحافظ على التسمية، وحين أقرّت الحدود للدول مطلع القرن الماضي بقي العراق إلى حدّ كبير منسجماً من حدوده مع ذلك المرسم الجغرافي التاريخي له، وأصبح دولةً معترفٌ بها ضمن الأمم، ومن بديهيات هذه الاتّفاقيات ما بين الأمم أن تقوم بالتصدّي لكلّ ما من شأنه أن يخلّ بالنظام العام فيه، إرهاباً كان أو انفصالاً أو تخريباً، ومن واجبات تلك الاتّفاقيات ما بين الأمم أن ترفده بكلّ الدعم لأجل ذلك.

بين المسيرة الحسينية والفتوى التي رسخت نهج وحماية الأمة

الشيخ عبد الحليم محمد حسن شرارة

العنوان الأول: المسيرة الحسينية نموذج الخلود: ويهدف إلى بيان أنَّ المسيرة الحسينية حركة بحجم التاريخ بل هي أشمل وهي بحجم الحضارة الإنسانية بل هي أسمى وأكمل .

العنوان الثاني: واقعية المسيرة الحسينية: ويهدف إلى بيان مناشئ الواقعية وسبل تحصيلها .

العنوان الثالث: إنسانية الأهداف والسمو الحضاري: ويهدف إلى بيان أنَّ الواقعية التي أسهمت في تحقيق الاستمرارية التاريخية تعزّزت بإنسانية الأهداف التي حقَّقت الاستمرارية الحضارية.

العنوان الرابع: المسيرة الحسينية ونهج السياسة الاجتماعية:

> هذا العنوان يسلّط الضوء على بعد من أهم أبعاد هذه المسيرة هو البعد السياسي، حيث تجلّت هذه المسيرة على الصعيد السياسي أنّها مشروع لبناء الأمة خارج دائرة السلطة. إنَّ الاجتماع السياسي الإسلامي ينبني في الأصل على ركيزتين هما الإمامة والأمة، إلّا أنَّ مخالفة الأمة لهذا التّشريع أدَّت بحكم الضّرورة إلى ارتكاز الاجتماع السّياسي خلافًا للأصل على ثلاثة ركائز هي الإمامة والأمة والسلطة

بهذا أصبحت السلطةُ والعملُ من أجلِها حكمًا ومعارضةُ أحدِ خطَّا الحركةِ السياسيةِ في الأمَّةِ، ويقابلها الحركة السياسية الاجتماعية المتجذّرة في الأمة من خلال نواظمها التاريخية تحت سقف نظام الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر الذي يحقّق للأمة خيريّتها وصبغتها الحضارية، وتنقسم العملية السّياسيّة بذلك إلى سياسة سلطويّة دائرتها الحكم والمعارضة الهادفة إلى السلطة، وسياسة اجتماعية دائرتها القيادة الدِّينيّة والهيئات المدنيّة والنّخب المتخصّصة العلمية باعتبارها إدارة ورقابة وعند الاقتضاء معارضة اجتماعية تهدف إلى حماية الأمة ونظمها خارج دائرة السلطة، ويتطابق الخطّان في السلطة المعصومة، ويتقاطعان أو يتنافران بنسبة ما تُمثّل السلطة اللامعصومة من العدل الاجتماعي والحفاظ على الاستمرارية التاريخية للأمة.

> **لقد انطلق الجهاد الحسينيّ في ظروف استثنائية من المخاطر السياسية والثقافية المهدّدة للأمّة، واجتمع في شخصيّة المجاهدين أعلى مراتب التقوى والصّلاح، وفي القيادة أرقى شروط القائد التي ترقى إلى العصمة، وأمكن من خلال هذه المسيرة الجهادية تحقيق هدف أقصى باستنقاذ الأمة من الانهيار، وتحقيق المؤمّن التاريخي للاستمرار.**

ففي أجواء التّفكّك والتشرذم، وانعدام المقاومة والممانعة واستفحال إرهاب السلطة أصيبت الأمة في مضمونها العقائدي والقيمي والتشريعي بما هدَّد مقوّماتها الوجودية والحضارية، وبرز النّهج التبريري الذي ساهم في تكريس النّهج السّياسي السّلطوي وتمكينه من اجتياح مواقع الأمة والإمامة، وممارسة إسقاطات رؤيويه أدَّت إلى انحسار النّموذج السياسي الذي حاول بعد استشهاد الرسول الكريم (ﷺ) الحفاظ على سلامة الأمة

ووحدتها واستمراريتها خارج دائرة السلطة، والذي تَمَثَّل بالسّيرة العلوية قبل خلافة الإمام علي (عليه السلام)، والسيرة الحسنية بعد خلافة علي (عليه السلام).

و"إنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليَّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين". ففي الفقرة الأولى نفى -صلوات الله عليه- أيّ هدفٍ دنيويٍّ وسلطويّ، وحدّد في الثّانية الهدف بالإصلاح، وترجم في الثّالثة عملية الإصلاح بإرساء نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأعاد في الرّابعة الاعتبار إلى السّنّة الشريفة، وربط بالخامسة الأمّة بربِّها، وكرّس في السادسة حاكميّة الله وألمح فيها إلى نتيجة المواجهة، وهكذا شكّل هذا البيان العناصر الأساسية لتوحيد الأمة، وإعادة إنتاج النموذج وتفعيل دوره السياسي من خلال تكريس النّهج السياسي الاجتماعيّ بموازاة السّياسي السّلطوي، من خلال علاقة تفاعلية متوازنة مستندة إلى القناعة المشتركة وحرّيّة الخيار وقد بَلَغَ الحسين (عليه السلام) الذروة في تكريسه قيمَتي القناعة المشتركة وحرّيّة الخيار حينما خَيّرَ (عليه السلام) أصحابه فيما هم مقدمون عليه إلى حدٍّ جعلهم في حِلٍّ من أيّ إلزامٍ أو التزام اتجاهه في أكثر من مورد.

> "هنا انطلق المشروع الكربلائي ليدعو الأمة إلى صلاحها، ويعيد إليها توحّدها وتماسكها، ويحثّها على أخذ وتفعيل دورها السياسيّ بتكريس النّهج السياسيّ الاجتماعيّ الحافظ لسلامة الأمة واستمراريتها خارج دائرة السّلطة عندها أعلن الحسين ((عليه السلام)) بيانه الشهير ليخترق به حدود الزَّمان والمكان، ويحوّل المستحيل إلى إمكان،"

لقد شكّلت نبوءة الشهادة ميزة استثنائية في شخصية الإمام الحجة (عجل الله فرجه) لتُمهّد لموقفٍ استثنائيّ هو التضحية ببعض النّموذج، بل بقمة من قمم النموذج المتمثلة بشخصه (عليه السلام) وآل بيته، وخيرة المسلمين من أصحابه من أجل الحفاظ على بقيّة النموذج واستمراريّته التاريخية والحضارية، وقد تمكّن المسلمون الشيعة من التزام النّهج السّياسيّ الاجتماعي، نهج الإصلاح الحسينيّ الذي يجد شاهدًا للمواقف المتنوّعة للمعصومين (عليهم السلام)، وهكذا أنتجوا من خلال هذه المنهجية، وتجاربهم التاريخية بدائل للسلطة أمَّنت الحفاظ على النظام العام وحماية شبكة العلاقات والمصالح الداخلية والخارجية خارج دائرة السلطة، كما أمَّنت الاستمرارية التاريخية على مدى القرون في نموذجٍ حضاريٍّ فريد، وكانت أبرز هذه البدائل المرجعية الدينية بِبُعديها التشريعي والسياسي الاجتماعي، التي شكّلت الناظم الرئيسيّ للمجتمع الإسلامي الشّيعيّ خارج دائرة السلطة والتي تمثّلت بالأئمة المعصومين (عليهم السلام) وامتدادهم عبر الأصحاب في زمن الحضور وبمراجع التقليد وامتدادهم عبر وكلائهم في زمن الغيبة.

> وقد ساهمت نبوءة الشهادة التي حملها الحسين (عليه السلام) في كيانه ووعاها المسلمون عن جدّه وأبيه وأمّه وأخيه في تحقيق مزيدٍ من النقاء والشفافية للمشروع الكربلائي وتأكيد نزاهة أهدافه عن المنافسة السّياسيّة السلطوية، وتجلّى المشروع الكربلائيّ على الصّعيد السّياسيّ باعتباره حصرًا مشروع إعادة تكوين الأمّة سياسيًّا خارج دائرة السلطة.

العنوان الخامس: المرجعية الدينية في زمن الغيبة: وتمكّنت المرجعية الدينية في زمن الغيبة من إدارة العملية السياسية بدقّة عالية ساعدتها على

حماية الاستمرارية التاريخية والتفاعل الحضاريّ من خلال منهجيّة تاريخية موضوعية .

في بعض حالات التداخل والمشاركة الاستثنائية جعلها في موقعٍ بعيدٍ عن الاتهام والرّيبة مما أكسبها ثقةً عاليةً في الوجدان الإسلاميّ الشّيعيّ، كما أنَّ قيادة العملية السياسية خارج دائرة السلطة جعلت المرجعية الدينية في منأى عن المنافسة السياسية السلطوية والمخاطر الناجمة عنها، ومكّنتها من الاستمرارية عبر القرون حيث تراجع البعض وانتهى آخرون ممن امتلك القوة والنّفوذ من خلال السلطة، وجعلت من هذه الاستمرارية أوضح شاهدٍ على أصالة المضمون الحضاري للأطروحة الإسلاميّة الشّيعيّة وقدرتها على التفاعل الحضاري من خلال التّكامل والممانعة، وهكذا تمكّنت المرجعية من الحفاظ على استمراريّتها في نهج الإمامة المعصومة، وتكريس حضورها كعنصرٍ فاعلٍ في نظام الحُجيّة .

> **إنَّ الجذور الشرعية والحكمة في قيادة العملية السياسية الاجتماعية أكسبت المرجعية الدينية في زمن الغيبة موقعًا مقدّسًا في الوجدان الإسلامي الشيعي، وأنتجت علاقة روحية نموذجية انعكست انضباطًا سلوكيًّا في الحركة السياسية الاجتماعية على مر القرون كما أنَّ انتهاج المرجعية الدينية قيادة العملية السياسية الاجتماعية خارج دائرة السلطة في معظم المراحل التاريخية وحفاظها على تمايزها القيادي**

إنَّ التزام المرجعية الدينية في زمن الغيبة باستراتيجية التمايز بين السياسة السّلطويّة والسّياسة الاجتماعية، واقتناع المجتمع السّياسيّ الشّيعيّ بها، وعمله عليها شكّلا الحصن الحصين للاستمرارية الحضارية للطائفة

والمذهب، حيث حصل التّساهل في الانضباط السّياسيّ على أساس هذه الاستراتيجية كانت الطّائفة عُرضة لمزيد من الأخطار والأضرار وهو ما جعل الذّاكرة الشّيعيّة تستعيد في مثل هذه الحالات الاستثنائية النّصوص الدّينية الصّادرة عن المعصومين (عليهم السلام) للتحذير من التّعامل العشوائي مع قضية السّلطة سلبًا أو إيجابًا، وما يمكن أن يجرّه ذلك من البلاء والفتن.

العنوان السادس: تمايز الخطاب السّيستاني واستثنائيته

لقد جاءت الفتوى السيستانية لتشكّل انسيابية رائعة لحركة المرجعية الدينية خارج دائرة السلطة، والطَّريف في هذا المجال أنَّ العراق العريق بتاريخه وحضارته أنتج في مرحلته التاريخية الأخيرة نموذجين تطبيقيَّين يُثبتان رسوخ النّهج السّياسيّ الاجتماعي بقيادته الأبرز المتمثّلة بالمرجعية الدينية، ومدى قدرة هذا النهج على حفظ الأمة خارج دائرة السلطة، أولاهما: عند سقوط نظام الطاغية، وانهيار السلطة، وحصول فراغ سلطوي استمرَّ فترة لا يُستهَان بها، لقد كان ملاذ المجتمع وموئله في هذا الفراغ السلطوي هو المرجعية الدينية وإرشاداتها التي خاطبت كوامن الناس والتزاماتهم الدّينية والأخلاقية بما فعّلت العصب الاجتماعي وشكّل ناظمًا بديلاً للسلطة في حفظ النظام العام ريثما أمكن إعادة إنتاجها، بل لقد أظهرت التجربة أنَّ هذا النّهج السياسي الاجتماعي كان أكثر حضاريّة وقدرة على حماية المجتمع أقدر من السّلطة

> **إنَّ ما تقدّم يكشف عن ضرورة اعتبار الانتماء إلى النّهج السّياسيّ الاجتماعي شرط في تحقّق وصف المرجعية الدينية، وبالتالي في تحديد شخصيّتها، والتفاعل معها، باعتبارها قيادة تتموضع في مواقع الأمّة لا في مواقع السلطة، فتستبطن العلاقة معها مستوى من التّعذير والتنجيز .**

على حماية المجتمع، السلطة التي ما زالت تُعاني الفوضى والارتباك والفساد الذي يهدّد استقرارها باستمرار، حيث ما زالت المرجعية الدينية تُشكّل الركن الثابت الذي يحمي المجتمع من خلال النّهج السياسي الاجتماعي في مواجهة ما تنتجه السلطة من حالات الفوضى والعجز والفساد، وثانيهما:

عن أن تكون الضّامن لحماية الأمة ومقدّساتها، لقد جاءت هذه الفتوى منسجمة مع سياق المبادئ والقيم الإنسانية والاجتماعية والسّياسية التي اعتمدتها وأنتجتها المسيرة الحسينية، وتجلّت تطبيقًا نموذجيًّا يُشكّل استمرارًا لحركة المرجعية الدينية عِبر التاريخِ على نهج السّياسة الاجتماعية، فكانت ترسيخًا جديدًا لهذا النّهج الحسينيّ في مرحلةٍ تاريخيّة حفلت بالصّراع السّلطويّ الذي بلغ مستوىً فتنويًّا خطيرًا جعل الأمّة أوثق بمرجعيّتها الدينية ونهجها السّياسيّ الاجتماعي من السّلطة ونهجها السّياسي المتعثّر، ومن هذا الواقع الرّؤيويّ والوجدانيّ الذي استند إلى علاقة التكامل بين الأمّة ومرجعيّتها الدينية ببعديها الشرعيّ والقياديّ انبثق المارد الجبار من قمقمه مستضيئًا بنور العلم والحُجّة، معبّرًا عن قناعته وخياره بخوض الاختبار؛ ليصنع أروع ملحمة في التاريخ المعاصر، ويسقط كلَّ المعادلات التي تحكم السّلطة وتُعجِّزها أمام وهن قوّتها وأمام الصّراعات الإقليمية والمؤامرات الدولية، وكان ما سُمّي بالحشد الشعبي مفاجأة كبرى للإرهابيين وكلّ الدّوائر العالميّة الدّاعمة لهم

> **هذه الفتوى السّيستانية المباركة التي شكّلت خطابًا أطلق كوامن الأمة، وأفسح لقناعاتها وخياراتها في مواجهة الإرهاب التّكفيريّ أن تأخذ دورها في حماية الأمّة من هذا الخطر الدّاهم بعد أن عجزت السلطة المحكومة بضروراتها وبثغراتها وعيوبها**

ولمشروعهم التّدميريّ الرَّامي إلى تفتيت الأمّة والسيطرة على مُقدَّراتها.

لقد وضعت هذه الفتوى السيستانية الأمّة في مسارها التاريخي؛ لتقوم بدورها في مسيرتها الحضارية، وهكذا كان حين حقّق الحشد الشّعبي إنجازاتٍ حيّرت صُنّاع السّياسة والأمن، وما زالوا عاجزين عن تقييم هذا القائد المعاصر الذي جعل من نفسه خلف الأضواء جسرًا لربط الأمّة بقائدها الأصيل المعصوم ومثالها الأعلى الذي رسم لها نهجها منذ قرون، أظنّ أنَّ أقصى ما وصلوا إليه في بحثهم عن هذا القائد أنَّ اسمه السيد السيستاني وحسب؛ ذلك لأنَّهم أعجز عن إدراك العمق المعرفيّ والرّؤيويّ والرّوحيّ الذي يُصدر عنه أمثال هؤلاء الكبار الذين يكونون دائمًا حيث يجب أن يكونوا في مفاصل التاريخ؛ ليصنعوا أعظم وأجمل المفاجآت والانعطافات، ومع ذلك وبالرّغم من تنامي مشاعر العزّة والكرامة فإنَّ هنالك بعض الحذر الذي يشف عن خشية كامنة من أن تستهدف المؤامرات المعادية والإرادات الصّديقة هذا الكيان الشريف الذي ولّدته الحركة السيستانية لتجذبه وتُخرجه عن موقعه التاريخي ودوره الحضاريّ الذي يتموضع فيه خارج دائرة السلطة وفي إطار النّهج السّياسيّ والاجتماعيّ الذي تقوده المرجعية على نهج الإمامة المعصومة.

> **إنَّ القيمة الكبرى للفتوى السيستانية من بين قيمها أنَّها أطلقت الجهاد في إطار نهج سياسيٍّ تاريخيٍّ حضاريٍّ يبني الأمّة ويحميها خارج دائرة السلطة؛ لتُشكّل خطوة في الاستمرارية التاريخية لهذا النهج الذي انبثق من المسيرة الحسينية، وتجلّى في المفاصل التاريخية وما زال وسيبقى مستمرًّا حتى بلوغ الذروة باتصاله بالطلعة الحميدة.**

إنَّ إغـراء الحشـد الشـعبي بالاندمـاج بالسـلطة يسـتبطن عـن قصـدٍ أو غير قصـد فتنـة تهـدّد بخسـارة نمـوذجٍ حضـاريٍّ في وقـتٍ مازالـت الأمـة في حاضرهـا ومسـتقبلها بحاجـة إلى نموذجيّتـه ليُتابـع الإنجـازات في حمايـة الأمّـة، وليُدلِّـلَ على رسـوخ النّهـج فيما يـأتي مـن مفاصـل حركـة التاريـخ الواثبـة نحـو الـذّروة، ولهـذا وفي الختـام نـعبّر عـن الأمـل العميـق الـذي يجعلنـا نبتهـل إلى الله -عـزَّ وجـلَّ- فندعـوه ونرجـوه أن يمُـنَّ على آيـة الله العظمـى السـيد علي السيسـتاني-دام ظلـه- بمزيـد القـدرة، والتأييـد، والتوفيـق، والتسـديد، وفي العمـر المديـد؛ ليسـتمر في قيـادة الأمـة على هـذا النهـج السـياسي الاجتماعـي الحافـظ للأمّـة خـارج دائـرة السّـلطة لتكـون فتـواه الاسـتثنائية خطـوة مميّـزة مـن خطواتـه المباركـة في ترسـيخ هـذا النّهـج الحسـيني وفي حمايـة الأمّـة مـن خلال النمـوذج المجسـد لهـذا النَّهـج.

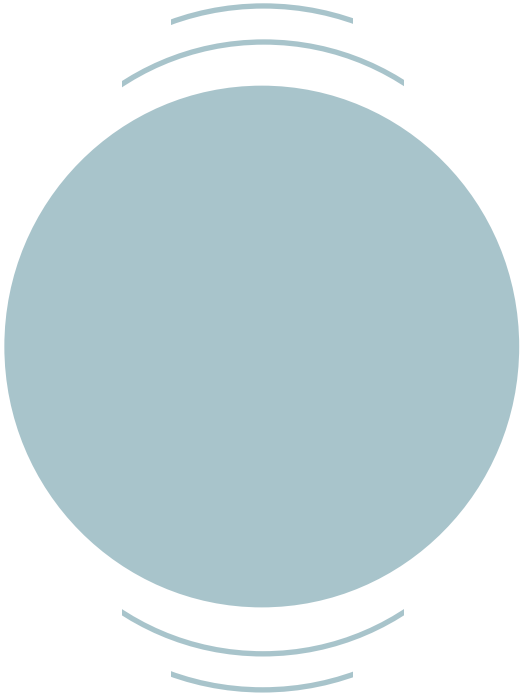

القانون الإلهي والفتوى المباركة

الشيخ فضيل الجزائري

سأل فرعون موسى مَنْ هذا الربّ الذي تدّعي الوصل به وتمثّله؟ أجاب موسى(عليه السلام) بعبارةٍ جميلة جدّاً وهي أساس هذا الكون والوجود: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ)، في عمليّة الخلق هناك لا توجد إرادة لا للإنسان ولا للملائكة ولا لغيرهم، فشأن الإله محض، وهو الخالق، ولم يكن هناك إنسان حتى تكون له إرادة في هذا الخلق، فعمليّة الخلق هي شأن الإله المحض، والآية تقول (ثمّ هدى)، العودة للكمال في قوس الهداية وقوس الشريعة وقوس القانون، هناك يتجلّى القانون الإلهي، وهنا المجال لا يتّسع لبيان خصوصيّات القانون الإلهي، به يُدير الله تعالى هذا الكون خلقاً وتكميلاً، والقانون الإلهيّ نابعٌ من حكمته البالغة، فالله تعالى لا يخضع للقانون ومصدر القانون، وأئمّتنا (عليهم السلام) هم متنُ القانونِ، صراطٌ مستقيم، حقّقوا (عليهم السلام) جميع مقتضيات القانون، أمّا أنا وأنت نخضع للقانون، وقد نتمرّد أو نلتزم، فالقانون دائماً يكون في قوس الهداية، قوس التكامل وقوس العودة إلى الله تعالى.

القانون متى يتعيّن؟ إذا كان هناك وعي وإدراك واختيار، إنَّ معنى أن يتعيّن القانون، إلّا إذا كان مدركًا واعياً لهذا القانون، فاهم هذا القانون وله اختيار، قد يتمرّد وقد يلتزم، وهنا تكمن كرامته بالوعي وبتفعيل اختياره، والله تعالى لا يريد من الإنسان أن يكون مضطرّاً في الكمال والتكامل، بل

يتحرّك بوعيٍ واختيارٍ فهنا تكمن كرامته، وهذه المسائل بُنيت في علم الأصول تحت قاعدة (قبح العقاب بلا بيان)، ثمّ يأتي الإلزام والتكليف واختيارك وتحريك إرادتك نحو الخير، هذا القانون الإلهي في الأمور التكوينيّة الفاقدة للوعي، يرافق دليل الواعي، فالشمس وهي تتحرّك في مسارها ليس لها وعيٌ وليس لها اختيار في أن يصدق عليها القانون، فهي هداية قهريّة (هداية تكوينيّة).

القانون الطبيعي هو نورٌ يضعه الله تعالى بحكمته في قلب الإنسان، يدرك به الخير ويدرك به الشرّ، ويُدرك به الحسن ويُدرك به القبح، وفي هذه الجهة لا يحتاج إلى الأنبياء، وإن احتاج إلى الأنبياء فمن باب إثارة دفائن العقول، الأنبياء والأولياء يُثيرون هذه الإضاءة في قلب الإنسان فيعي بتكليفه على مستوى القانون، وهذا القانون الطبيعي له دراسات معمّقة جداً في الغرب، حيث دُرِسَ دينيّاً ودُرِسَ حدثيّاً، والدراسة الحدثيّة غير صحيحة في كثير من تجلّياتها؛ لأنَّ القانون الطبيعي الحدثي يبني المسائل على عصاة الإنسان، والدراسات الدينيّة في الغرب قاربت القانون الطبيعي بمحورية الله تعالى وكانت بحوثها تُطابق مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تقريبًا بحدود ٩٥٪.

> وإذا أطلق على القوانين الفيزيائيّة أو الفلكية اسم القانون فتسامحًا، فالقانون عادةً يُفعّل في دائرة الوعي والاختيار، هذا القانون الإلهي إذا استقرّ في الحقيقة الإنسانيّة يتعيّن بطريقتين، الأوّل: هو القانون الطّبيعي، والثاني: هو القانون التّشريعيّ.

> إذن القانون الطبيعي نور يودعه الله تعالى في قلب الإنسان وأصل الإنسان بغضّ الطرف عن انتماءاته السماوية أو الأرضية، ويتجلّى القانون الإلهي في القانون التشريعي، والقانون التشريعي هو الذي يصل إلينا عن طريق الأنبياء، ولا طريق إلينا لهذه الأحكام إلّا المعصوم.

الغـرب يسـعى يوميّـاً إلى التقـرّب مـن القانـون الطبيعـي -الـذي يُمثّـل الحكمـة الإلهيّـة- والقانـون الإلهـي، فـكلّما اقترب القانـون الإلهـي في الغـرب إلى القانـون الطبيعـي تناغـم مـع القانـون التشريعـي، فالقانـون الوضعـي أساسـه القانـون الطبيعـي، المُشـكل في مقاربـة القانـون الطبيعـي إذا قاربنـاه بأصالـة الإنسـان هنـا مصيبـة، وإذا قاربنـاه بأصالـة الله تعـالى، ومحوريـة الله تعـالى، فالقانـون الطبيعـي يُقـرّب القانـون الوضعـي والقانـون التشريعـي، فالتجلّيـات السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعيـة والقانونيـة كلّهـا تبنـى على القانـون الطبيعـي، ولـولا القانـون الطبيعـي لا يُمكـن أن تتأسّـس: السياسـة، والاقتصـاد، والاجـتماع.

أبـداً نـورٌ أودعـه الله- تعـالى- في قلبـه يدركـه ويشـاهده ويتحـرّك، وقـد يستشـهد وقـد يعيـش كـريماً عزيـزاً في وطنـه، وإنّ الفتـوى جـاءت ووضعتـه في الصراط المسـتقيم وحـدّدت لـه الغايـة القدسـيّة مـن تحرّكـه، فالفتوى تقـول لـه القانـون في قلبـك مـودع في الحكمـة الإلهيّـة، وغايـة الأمـر أنـا أبيّن لـك الصراع وأبيّن لـك الغايـة، فـإذا حصلـت الشـهادة وتعيـش بعـزّة وكرامـة في العـراق العظيـم والجميـل، وأنـت تحمـل الـسّلاح في المعركـة قـد تُخطـئ لكـن الفتـوى ترشـدك، وتحـدّد لـك الغايـة بـأن تنـال الشـهادة وهـذه الكرامـة العظيمـة، قـد يكـون القانـون الطبيعـي في قلـب الإنسـان فاتـراً لتلوّثـه بثقافـات

> **نـأتي الآن إلى الفتـوى المباركـة، هـل هـذه الفتـوى التـي حرّكـت شـبابنا -وأنـا جلسـت مـع شريحـة منهـم وتعلّمـت الكثير منهـم، وأنـا أمشي بين النجـف وكربـلاء في زيـارة الأربعـين-، هـل هـذه الفتـوى أوجـدت شـيئاً جديـداً في قلـوب شـبابنا؟ هـل الشـابّ العراقـيّ ينتظـر الفتـوى حتّـى يقـوم بالدفـاع عـن مقدّسـاته وعـن شرفـه وعـن دينـه؟**

منحرفة، تأتي الفتوى وتحييه من جديد في قلب هذا الشاب وفي قلب أمّ ووالد هذا الشاب، فيدفعان بابنيهما إلى المعركة، إذن الفتوى الشرعيّة تنتمي إلى القانون الإلهي، وتجلّي من تجلّيات القانون الإلهي.

فنحن نفتخر بهذا الحشد ونفتخر بهذه الفتوى العظيمة ونفتخر بصاحبها السيد علي السيستاني (دام ظله) فالمجد والخلود للعراق العزيز ولشهدائنا الأبرار.

البقيع الغرقد..ظلامة ومظلومية

أحمد نعمة الخفاجي

في كل عام يتجدد الذكر لجريمة هدم قبور أئمة البقيع(عليهم السلام)، ما زال هَول تلك الفاجعة يحفر عميقًا في الوجدان الإسلامي خصوصًا والإنساني عمومًا، ذلك أنَّ الاعتداء على أئمة أهل البيت (عليهم السلام). إنَّما هو اعتداء على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأيضًا هو اعتداء على حرمات الله، وحياض قدسه، ولا شكَّ أنَّ حرمةَ الأئمةِ (عليهم السلام) أحياءً كحرمتهم أمواتا، شأنهم في ذلك شأن جدهم المصطفى (صلى الله عليه وآله). والذي يرصد تلك المرحلة من التاريخ العاثر، ويدرك أنَّ هذه العصابة لم تبقِ لهما حرمة حيث طالت بعبثها قبور الصحابة والتابعين، وآثار المسلمين الأولين وبقايا دورهم وأمكنة تواجدهم، وكل ما بقي من خيوط تربطنا بماضيهم. فهدموا المقابر في مكة والمدينة والطائف وغيرها بحجة التصدي للقبوريين، وكأنَّ العالمَ الإسلاميِّ كلُّه كان على مدى قرون متطاولة كان تحت خط الغَيّ والظلام.

وبعثهم الله ليخرجوا الناس إلى الهدى والصلاح في قوله تعالى (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ)[1]، كانت الجريمة بذروتها، وعظيم ما وصلت إليه أن هدموا القباب والقبور التي كانت مبنية على أضرحة الأئمة المعصومين الأربعة (زين العابدين والباقر والصادق)، ومن قبلهم عمهم الحسن الزكي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وقد تحرك العالم الإسلامي في المستويات كافة دون جدوى، ودون أن يعيره أحد منهم أذن صاغية، وقد تسترروا بفتاوى مستفقهي السلطة، أو بعض الذين خدعوا بشعاراتها أو آخرون قطعوا خوفًا من سطوتها تحت المزيف من فتاواها.

١- البقرة: ١٣

وقد كثر الحديث والتنظير عن المبررات التي ساقوها من وراء فعلهم، فهم مرة يقولون إنَّ هذا هو مبنى فقهي، وإنما طبَّقُوه عندما بسطت يد مذهبهم لديهم. ومن حق كل امرئ يصل إلى السلطة الدينية، كانت أم علمانية، أن يطبِّقَ برنامجه الديني أو الحياتي، وهؤلاء قد فعلوا ذلك واستندوا إلى فتاوى علمائهم، وقضاة مذهبهم، ولهذا الكلام ردود متعددة.

أولها أنَّ المبنى الفقهي الذي استندوا إليه، قد ناقشه حتى أهل السنة أنفسهم، واستفاضوا في النِقاش. وكانت قبة الرسول (ﷺ) وقبابه وقبور الكثيرين من صحابته، فضلا عن أهل بيته (عليهم السلام) موجودة، فهل كان المسلمون الأوائل على غير الملة طيلة قرون ممتدة، ثم ظهرت لهم الحقيقة على لسان ابن تيمية الحراني الذي تبعه محمد بن عبد الوهاب قالوا: إنَّهم أرادوا القضاء على بدعة زيارة القبور، والتبرك بها، خوفاً بان تتنامى وتتكاثر، وتخرج عن السيطرة.

> (والعمري لقد زار المسلمون وتبركوا، وبنوا القباب على قبور الأولياء والصالحين، وما وجدنا أحدا منهم عبد قبرا أو أشرك بالله طرفة عين، وإنَّما كان لهم برسولهم أسوة حسنة الذي لطالما زار القبور في أحد والبقيع وغيرهم،ولهم في قرآنهم أسوة أخرى).

حين قال المسلمون الصالحون الذين غلبوا على أمر الآخرين في واقعة أهل الكهف ما جاء به سبحانه وتعالى: ((وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا))[٢]، ولو أنَّ الله

٢- الكهف: ٢١

تعالى كان مستنكرًا لذلك لأوضح لنا في سياق الآيات. أمَّا ما نقلوه عن رسول الله (ﷺ)، فهو أولًا ليس موضع إجماع لدى المسلمين، وكذلك ليس موضعُ فهمٍ مشتركٍ لمن يعتقد بصحة تلك الأحاديث، ولمن أراد التوسع فعليه أن يراجع الردود الكثيفة التي صدرت منذ أن ابتليت الأمة بابن تيمية الحراني، وتابعه ابن عبد الوهاب.

ومن ثم من حمل لواءهم ونهض بأجنحتهم، فلا يكاد أن يخلو شهر من الشهور إلا ونجد من يستنكر عليهم هذه الأفعال الشنيعة، سواء من الناحية الفقهية أم من النواحي الأخرى، ثم لو أنَّ كلَّ مذهبٍ من المذاهبِ عملَ وفقَ رأيِه في التراث المشترك لما بقي للإسلام رسم ولا للقرآن هديٌ، فالمسألة ليست فتوى تصدر، ربما من أشوه أخرق، وعلى النظام السياسي أن يبادر إلى تطبيقها، كما هو الحال لدى البعض، بل إن ذلك يجب أن يُراعَى مصلحة المسلمين العليا وكلمتهم المشتركة الجامعة. وإلا فقد يظهر من يقول إن النقطة في المصحف حرام وبدعة، ويبادر إلى حرق جميع المصاحف الموجودة بين أيدي الناس دون أن يدرك أن ما يقدم على تلفه فيه حقّان واضحان: حق لله تعالى في صيانة واحترام مصحف قرآنه، وحق للمسلمين وغيرهم ممن قد يتبصر في كتاب الله؛ لأنَّ الكتاب مشترك بين الجميع، وليس لأحد أن يفرضه بالرسم الذي يريده على الاخرين، إلا بإجماع منهم.

وقد رحلَ نبيُّنا (ﷺ) تاركًا فينا الثقلين: كتاب الله، وعترته أهل بيته، والاعتداء على حرمات أهل بيته من خلال قبورهم كالاعتداء على كتاب الله عز وجل؛ إذ هما القرينان في خطاب رسول الله (ﷺ)، وقد أباح هؤلاء القوم بجهالة منهم، وسوء تدبير، بل وحماقة. أن تمدَّ المدارس داخل الأزقة برقابها إلى لجان الفتوى وانطلق القوم، وكل قد ألقى الحبل على الغارب،

يستعملون ما تيسر لهم من آلات القتل والتدمير والقمع، ثم ما لبث الأمر أن يرتدَّ عليهم ليجعل منهم عدة فرقاء، يكفر بعضهم البعض الآخر.

الحالة الأولى: ما رواه صاحب كتاب السبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد الصالحين؛ عندما تتحدث عن مسير قريش إلى قتال أحد، ثم كفاهم الله تعالى عن ذلك، وقد خفف بعبارته من نقل الواقعة كما هي إذ يروي أبو الوليد الأزرقي عن هشام بن عاصم الأسلمي قال: لما خرجت قريش إلى النبي (ﷺ) في غزوة أحد فنزلوا بالأبواء قالت هند بنت عتبة لأبي سفيان: لو بحثْتُم قبرَ أمِّ محمَّدٍ فإنَّها بالأبواء، فإن أسرَ أحدٌ منكم فديتم كل إنسان بإرب من آرابها، فذكر ذلك لقريش وقال: هذا الرأي. فقالت قريش: لا تفتح هذا الباب، لألّا تفتح بنو بكر موتانا، ونجد ذلك أيضاً في كتاب (الرحيق المختوم)[٣]، وهو مصدر معتمد لدى القوم، نجد فيه ما نصّه: وتابع جيش مكة سيره على الطريق الغربية الرئيسية المعتادة. ولما وصل إلى الأبواء اقترحت هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بنبش قبر أمِّ رسول الله (ﷺ)، بيد أنَّ قادة الجيش رفضوا هذا الطلب، وحذروا من العواقب الوخيمة التي تلحقهم في حال فتح هذا الباب.

> فقد علمتنا السنن أنَّ من يرفض وضع يده في يد علي(عليه السلام) ليبايعه في بيعة حق سيضعها ذات يوم على قدم الحجاج بن يوسف الثقفي في بيعة باطل وتلك الأيام نداولها بين الناس، وإذا ما رجعنا القهقرة مع التاريخ لوجدنا أنَّ للقوم آباء وعصباً قد استهوى نفوسهم نبش القبور وهدمها بل والسطو على الرفات التي فيها ونذكر من التاريخ نتفًا منها ما هو قبل الإسلام، ومنها ما كان بعد الإسلام

٣- صفي الرحمن المباركفوري، السيرة النبوية محمد (ﷺ)

هنا تتَّضح الصورة: إذ نجد أنَّ الاقتراحَ أبويٌّ جاهليٌّ بامتيازٍ، وكادت قريش أن تنساق خلفه، لولا خشيتها من بني بكر أحلاف النبي (ﷺ) أن ينبشوا قبور موتاهم، هذا هو المانع الوحيد الذي صد قريش عن هذا الفعل الشنيع. وهذا يدل على نفسيات القوم التي عشعش الإجرام في قلوبها وأفرخ اللُّؤم بين ضلوعها، وبعض شؤمٍ في النفوس والعقول.

> **هؤلاء بنفسياتهم، هم الذين قاتلهم رسول الله (ﷺ) يوم أحد، بحيث تبقي وحيدا إلا من قلة رأسها علي (عليه السلام).**

فأخفى علي عليه السلام قبر بضعة المختار فاطمة الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وقد هدَّدَ القومُ بنبشه علانية لولا أن لمسُوا خطَّي أحمرَ لدى الوصيِّ وأيقنوا من خلاله أنَّه ها هنا؛ وهاهنا فقط: هو مأمور بتجريد السيف، وإن جُرِدَ سيفُ عليٍّ (عليه السلام) فلن يُغمَدَ إلا على شدخ آنافهم.

استمرَّت المأساة حين أخفى الحسنان (عليهما السلام) قبر أبيهما إدراكًا منهما، أنَّ النبشَ والتتبعَ للقبورِ عادة أموية تتناقلها الجينات الوراثية يحملها من الجاهلية إلى الإسلام. ولو استمرَّ امرؤ بالسرد؟ لأدرك معه السامعون والمتتبعون أنَّ (زيد بن علي بن الحسين عليه السلام)[٤]، على سبيل المثال: صُلِبَ وبعد الصلبِ بسنوات أُحرِقَ جسدُه وذُرَّ رماده في الهواء والتراب والماء، يقول الوالي الأموي المتغطرس: (والله يا أهل الكوفة لأطعمنكم زيداً في زرعكم، ولاسقينكم إيَّاه في مياهكم) هذا هو منتهى الإيغال في الإخلاد إلى الأرض، إذ يتتبع النظام الفقهي أو السياسي القبور والرمم و الأجساد الميتة نبشا وصلبا وحرقا، وتفظيعا بما يندى له جبين الدين، بل جبين المرؤة، والسماحة، والعرف العالمي.

٤- الاحتجاج - الشيخ الطبرسي - ج ٢ - الصفحة ١٣٤

النقطة الثانية: لا يخفى ما كان يمثله الحسين (عليه السلام) من مركزية فكرية إصلاحية في قلب الأمة، وبقي دمه المبارك الذي سكن الخلد، يقدُّ مضاجع كل أولئك المتغطرسين الطغاة، ولا يزال يشكل النقيض الحضاري لكل فروع الظلم، فكان العدل متمثلا فيه، وفي نهضته المباركة، وكانت الحركة باتجاه قبره كثيفة، فقد منع الأمويون زيارتهم. مع تهديم قبره الشريف مرات عديدة أغمض التاريخ عن ذكرها وتفلَّتَتْ بعض المرويات التي تَشي بذلك لكل من يتدبر ويمحص بين السطور، ثم حمل راية الظلال العباسيون، وأول من فعلها موسى بن عيسى عم السفاح والمنصور. ثم تكرر تهديمهم للقبرِ مع كل خليفة منهم، إلَّا القليل ففعلها هارون وكررها المتوكل مرات أربع خلال ولايته، وتلاحقت هذه المحاولات إلى زمن ليس ببعيد، حين دخل البدو أنفسهم إلى كربلاء خلال دولتهم الأولى، فهدموا ونهبوا وأحرقوا.

هناك جملة أمور:

الأمر الأول: إن المسألة قديمة بقدم تاريخ القوم، لم يشذبْها الإسلام، ولم يكبح جماحها دين، بل صنعوا من الدين وسيلة للنفاذِ إلى تلك الغايات التي تدل على عدم إمكانية هذا الفكر أن يتعايش مع بقية المسلمين فضلًا عن بقية العالم؛ لأنَّ الذي تُبنَى ثقافته على إزالة قبر وتهديمه، فلا يقبل الضريح للميت فكيف تتخيل أن يتعايش مع الأحياء؟ و هذا الأمر بالتحديد يجعل من أصحاب هذا الفكر القميء، أي غيرُ مؤهلين لإدارة الأماكن الدينية العامة التي يتشارك وفيها جميع المسلمين، ولهم حق مطلق فيها.

أذن كيف نبرر هدم قبور الأئمة والصحابة والأولياء؟ وتبقى حصون كعب ابن الأشرف من يهود الحجاز، وتسجل وتدرج على لائحة التراث العالمي، الإجابة على هكذا سؤال تحتاج إلى ساعات وساعات ولن يأتوا بشيء. الأمر الثاني: وهو أنَّ أئمتنا (عليهم السلام) ليسوا ملكًا للشيعة فحسب، بل هم لله أولًا، ولرسوله ثانياً، وللعالمين ثالثًا، لأنَّهم يشكِّلون بشخوصِهم وحضورِهم تراثًا، نورانيًّا، ملكوتيًّا وسطًا، وإنَّ جريمة بهذا الحجم غير قابلة للطي أو النسيان، وليست مما يعلكها الزمن، ولا تتساقط بكرور الأيام واللَّيالي. وقد أشار إليه بعض الفحول من الشعراء وقال: كناطح صخرة يوما لي وهنها فلم يضرها، وأوراق قرنه الوعل[٥]. هنا تكمن الإشكالية التي تلطخ الصورة باكملها، سياسية كانت أم أمر شرعي.

ومن خلال ذلك تترتب النتائج في التقييم العالمي لهذه الشرذمة، ويغلب على الظنِّ أنَّ الكثيرين في العالم قد وصلوا إلى نهايات الأمور معها، بيد أنَّ مقادير الأمور هي أولًا وأخيرًا بيد الله سبحانه، الذي جعل لكل شيء أمدًا لكنَّه دائمًا هو الغلاب في أمره جلَّ وعلا.

> **إلى المولى صاحب الزمان، نشكو بثنا وحزننا الذي لا يمثل شيئًا أمام ما يعتلج في صدره الشريف حول هذه الواقعة الأليمة**

هل يمكن أن نعتبر هدم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) امتدادًا لسلسلة الاعتداءات التي شهدها التاريخ على المقدسات والشخصيات الدينية وما مرت به الأمة ؟

٥- شرح ابن عقيل – ابن عقيل الهمداني – ج ٢ – الصفحة ١٠٩

ما فعل بقبور أئمتنا لم يكن بفتوى جلية؛ إنَّما كان بأمرٍ سياسي يستبطن حقدًا، وبفتوى تراكميَّة مثل: تفجيرُ قبةِ العسكريين جرت بفتوى، فإنَّ الخطورة جرت بمراكمة الفتاوى وهذه الفتوى؟ كانت على مقاس السلطة.

> ويمكن اعتبار هدم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) امتدادًا لسلسلة من الاعتداءات التي شهدها التاريخ على المقدسات والشخصيات الدينية، وهو جزء من نمط متكرر من التعديات التي استهدفت الرموز الدينية والمواقع المقدسة في مختلف العصور.

أولاً: الهدم كجزء من الصراع الفكري والديني

الهدم الذي طال قبور أئمة البقيع، مثل الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام زين العابدين (عليه السلام) وغيرهم من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، يعكس جانبًا من الصراع الفكري والديني بين مختلف التيارات داخل العالم الإسلامي. هذه الحادثة لم تكن مجرد عمل مادي يهدف إلى إزالة أبنية أو قبور، بل كانت تهدف إلى مسح ذاكرة تاريخية وثقافية متعلقة بأهل البيت (عليهم السلام).

الهدم جاء في سياق رؤية فكرية معينة تتبنى رفض التقديس المبالغ فيه للقبور والمقامات، وهو تفسير يعكس الاختلاف العميق في الفهم الديني بين المدارس الإسلامية المختلفة. ومن هنا يصبح الهدم جزءًا من صراع طويل حول فهم وتفسير العقيدة والشريعة.

ثانيًا: تاريخ الاعتداءات على المقدسات

الاعتداء على المقدسات والرموز الدينية ليس حادثة معزولة. على مر التاريخ، شهدت الأمة الإسلامية والديانات الأخرى محاولات مستمرة للاعتداء على المقدسات بهدف إضعاف الروابط الروحية والثقافية بين المجتمعات وأصولها الدينية. على سبيل المثال:

- حادثة هدم الكعبة في فترة القرامطة، عندما قاموا بالاعتداء على الحجاج وسرقة الحجر الأسود.

- الاعتداءات الصليبية على المقدسات الإسلامية في القدس خلال الحروب الصليبية.

- هجمات الاستعمار على المساجد والمقامات في محاولات لإضعاف الهوية الإسلامية.

هذا التاريخ من الاعتداءات يعكس استهدافًا رمزيًا للمقدسات باعتبارها محورًا لهوية الأمة وقوتها الروحية. والهجوم على قبور أئمة البقيع يأتي ضمن هذا السياق من محاولات محو الذاكرة الجماعية وإضعاف الرابطة الروحية بين المسلمين وتاريخهم.

ثالثًا: ما مرت به الأمة من انقسامات

هدم قبور البقيع يجب أن يُفهَمَ أيضًا في سياق الانقسامات التي مرت بها الأمة الإسلامية، وخاصة الخلافات الطائفية والمذهبية. هذه الخلافات كانت في كثير من الأحيان مصدرًا للصراع والاعتداءات على الرموز والمقدسات التي تمثل الطرف الآخر.

أئمة البقيع (عليهم السلام) يمثلون رموزًا دينية مهمة، وخاصة أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، والهجوم على قبورهم لا ينفصل عن محاولات تاريخية سابقة لإقصاء أو تهميش هذا المذهب.

رابعًا: الجانب الرمزي والثقافي للهدم

الهدم ليس فقط عملًا ماديًا، بل هو اعتداء على الذاكرة التاريخية والرمزية لأئمة البقيع، الذين يمثلون قيمًا دينية وثقافية مثل العدالة، الزهد، والإيمان. ومن ثم، فإنَّ هذا الهدم يمثل جهدًا لمحو هذه القيم من الوعي الجماعي للأمة.

> فان أمر تهديم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) جرى بمراكمة الفتاوى والتي كانت على مقاس السلطان

وعندما تدعي فئة أنَّها قيّمةٌ على حرم الله وحرم رسوله؛ فيكون الأمر غير مقبول فلا بدَّ من مراعاة الأمور التالية:

أولاً: التكيف مع جميع المسلمين بما لهم وبما عليهم من خلال استقطاب الأمة كضيوف لله ولرسوله، مع الحفاظ على الآدابِ العامَّةِ للإسلام والمسلمين.

ثانيا: لايفرض على الضيوف فتوى مأخوذة من السلطة والتي تصل إلى هدم قبة ما أو قبر للأئمة الأطهار فإنَّها مُلك لعموم المسلمين والتي تعدُّ هذه القبور رمز ديني ومذهبي وثقافي.

فالهجوم على المقدسات هو جزء من صراع أيديولوجيٍّ واسع بين مختلف التيارات الدينية والسياسية في العالم الإسلامي، وهدم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) يُعبِّرُ عن خلافات عقائدية تتعلق بطريقة التعامل مع الرموز الدينية، وتقديس شخصيات التاريخية من نسل سبط الرسول (صلى الله عليه وآله) وهناك تيارات ترى أن بناء القبور وتقديسها يتعارض مع مفهوم التوحيد، في حين ترى أخرى أنَّ هذه القبور تمثِّلُ رموزًا للإيمان وتاريخًا مقدسًا يجب احترامه، يمكن القول إنَّ هدمَ قبورِ أئمةِ البقيعِ هو جزءٌ من نمط متكرِّرٍ من الاعتداءات التي طالت المقدسات والشخصيات الدينية عبر التاريخ الإسلامي، وهذه الاعتداءات تمثل جانبًا من صراع أوسع يتداخل فيه الدين والسياسة، ويهدف في كثير من الأحيان إلى إعادة تشكيل هوية الأمة وذاكرتها الجمعية.

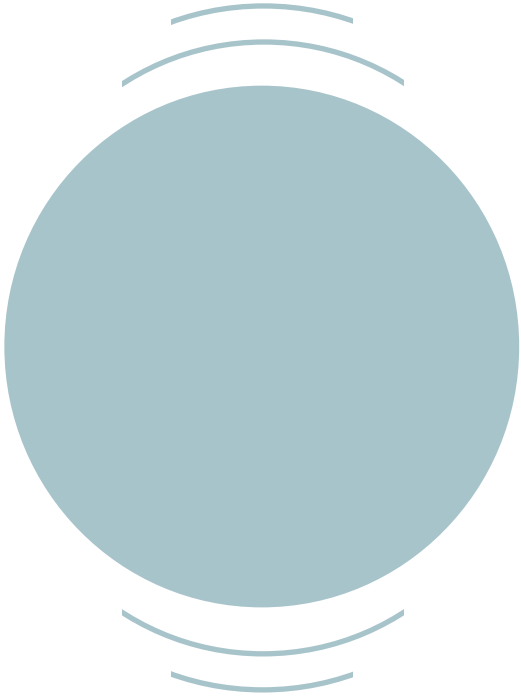

روايات فضائل الإمام الحسين (عليه السلام) عن الأئمّة الأطهار

الشيخ عصام العماد

نجد القرآن الكريم يتحدَّث عن نعم الله في كثير من الآيات القرآنية، ثمَّ يبيّن أنَّنا لو عددنا هذه النّعم لن نحصيها، ثم يُبيّن حقيقة قرآنيّة وهي أنَّ النّعم تختزن في الولاية، (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[1]، هذه النّعم سيدتها نعمة الولاية، وهي تستحق الشكر، الله يشكر فكيف لا نشكر، وفي الحديث النبوي المذكور والموجود في صحيح الألباني في كتب السلفية وفي كتب أهل السّنّة وفي كتب كلِّ المسلمين، " لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ "[2] .

> اذا كان شكر الله على الأمور المادية التي ليس لها تأثير معنوي هو أمر محمود فكيف بشكرنا لله تعالى على نعمة الهداية إلى نور الإمام الحسين (عليه السلام) التي غيرت مجرى حياة الكثير من الناس.

كانت قضية روايات الإمام الحسين (عليه السلام) وفضائل الإمام الحسين (عليه السلام) بالنسبة لي معقدة، فكيف أستطيع أن أسلّم بروايات جاءت في كامل الزيارات أو غيرها من الكتب التي تحدّثت عن فضائل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فبدأت في بقراءة معجم رجال الحديث لسماحة السيد الخوئي، فقرأته من البداية وأنا أريد أن أصل، هل فعلاً أنَّ هذه الأحاديث موجودة ومتواترة وصحيحة؟

١- [المائدة:٣]

٢- [رَوَاهُ أَحْمَدُ (٧٧٥٥)، وَأَبُو دَاوُد (٤١٩٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ- صحيح الجامع (١٩٢٦) وصححه الألباني].

حينها ما كنت أستطيع أن أحضر زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) أو أحضر مجالس الحسين(عليه السلام)؛ لأنّي كنت أرى أنَّ هذه بدعة وربما دخيلة على المذهب، وأريد أن أتأكّد هل هذا كلام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام)، وبعد أن اطمأننت أنَّه ليس كذبًا بل هو صادق وهو من الأئمة الاثني عشر، بقيت مشكلة في الرّواة فبدأت أقرأ معجم رجال السّيّد الخوئي بتأثّر، ثمّ قرأت كتاب رجال النجاشي بشكلٍ مستقلٍّ، ورجال الطّوسي، ثم قاموس الرجال للمحقّق التّستري، ثم بشكلٍ مطلق في تعليقات على المامقاني، وبعد ذلك بدأت أبحث عن روايات الإمام الصادق (عليه السلام) بشكلٍ عام في كتب المسلمين إلى أن وصلت إلى نتيجة أنَّ الإمام الصادق(عليه السلام) كان منبعًا للروايات العقدية والفقهية، وأنَّه الإمام الوحيد من الأئمّة الاثني عشر الذي نقلت الأمّة بأجمعها عنه، ومن خلال تتبّع رواياته عند الشافعية والسلفية والحنبلية والمالكية وجدت أنَّهم نقلوا رواياته ليس في مجال العقيدة فحسب بل في مجالات شتَّى، بل وحتى الفرق الصوفية اعتمدت عليه في مسألة الرّوايات، وحينما نأتي في مجال الفقه الإسلامي نجد كثيرًا من رواياته (عليه السلام) في أبواب الصلاة والطهارة، وهكذا الأبواب الأخر في مجال العقيدة والأخلاق والآداب.

والأمر الملفت أنَّ الفرق الإسلامية نقلت كثيرًا عن الإمام الصادق (عليه السلام) في مجالات إسلامية متعددة، لكن لم أجد رواياته (عليه السلام) في مجال فضائل زيارة الإمام الحسين(عليه السلام)، وهذا الشيء كان يثير تساؤلاً بالنسبة لي؛ ومن هنا بدأت أتساءل إذا كان التراث السني نقل روايات الإمام جعفر الصادق بوصفه مدرسة مفتوحة على جميع المذاهب فلماذا لم تنقل فضائل الإمام الحسين (عليه السلام)؟

وصلت إلى نتيجة، وكانت البداية مع كتاب الصّواعق المحرقة، يقول: وهو مع أنَّه شخصية معتدلة ولم يكن شخصيّة متطرّفة بل كان من أكثر الذين ردّوا على ابن تيمية وكان قريبًا من عصره وجدته يقول: حرَّم العلماء ذكر الحسين.

فبدأت أبحث فوجدتُ فتاوى كثيرة كانت في العصور القديمة وفي عصر الإمام الصادق (عليه السلام) وما بعده تُحرِّم ذكر كربلاء وذكر الإمام الحسين(عليه السلام)، وبدأت أفهم وجود مواجهة لأفكار الإمام الصادق (عليه السلام) عندما كان يتحدّث عن فضل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، بل كان يواجه طبقة ممن يحرّمون ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) ويحرّمون زيارته، وكانت هذه القضية بالنسبة لهم قضية مصيرية ترتبط بمستقبل الحكّام.

لقد كانت نصوص الإمام الصادق (عليه السلام) أوّلاً تهتمّ بمعالجة مشكلة التّحريم، فقد كان هناك مخطط لمحاولة دفن قضية كربلاء، وجعل الناس ينسونها للأبد، وأنا شخصيًّا مررت بتجربة ما عرفت قضية كربلاء إلَّا بعد فترة طويلة من حياتي، وبعد أن أكملت الجامعة بدأنا نعرف قضية كربلاء، انظروا مفتي حلب الشيخ أحمد بدر الدين حسون يقول: (عشت عشرات السنين وأنا عند كبار علماء دمشق وكبار علماء سوريا ولم أعرف أنَّ الحسين قتل).

إذًا كان هناك تعتيم إعلاميّ وما بدأ الناس يعرفون هذه القضية إلّا نتيجة هذه الثورة المعلوماتية والقنوات والمجالس الحسينيّة والمسيرات العاشورائية ومسيرة الأربعين وإلّا كانت القضيّة غير معروفة، وكانت قضية يعرفها فقط المتخصّصون في الرّدّ على الرّافضة، وكثير من السّلفيين والوهّابيين ما كانوا يعرفون أنَّ قضية عاشوراء حصلت إلّا بعد أن يأتون لمواجهة الرّافضة فقط أمّا هو نفسه لا يعرف ماذا حدث.

بعد البحث وجدت الأمور التالية:

أوّلاً: وجود روايات فضائل الإمام الحسين (عليه السلام) وبشكلٍ متواتر في الكتب القديمة، والأصول الرّوائيّة، وإنَّ القضية متواترة وثابتة والتواتر في نفسه حجّة في الدّوائر الثلاث للتواتر المعروفة عند العلماء سواء كان التواتر في دائرة واسعة أو في دائرة متوسّطة أو في دائرة محدودة، وحتى لو كان التواتر موجودًا في دائرة الإمامية فهو حجّة فإنَّ التواتر حجّة وإلا سنقع في مشكلة، وكيف نواجه النصارى واليهود عندما نقول إنَّ قضية نبوة الإمام الأعظم متواترة عند المسلمين وحدهم وليس متواترة عند غيرهم، لكن نحن نحتجّ عليهم بالتواتر الموجود عند المسلمين.

> أردت أن أبين في بعض مؤلفاتي أنَّ المسألة لها أصل وما دام أنَّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة أنَّ الأجدر به أن يُقدَمَ، إذ الإمام الصادق(عليه السلام) أعظم شخصية إسلامية كما يوجب العلم ذلك، ومن قصر النظر وظلم الحقيقة، أن تدرس حياته كرئيس مذهب، وإمام طائفة فحسب، بل الواقع يلزمنا أن ندرسه إماماً للجميع، وموجّهًا للأُمة الإسلامية، وعميدًا لأعظم مدرسة فكرية في الإسلام، فهو مقدّم على الجميع بكلِّ ما يقتضي التّقديم.

إذًا الأدلّة الرّوائية الحديثة حتى على حسب الاحتمال وتراكم الاحتمالات وتعدّد المصادر والرواة وتعدد أماكنهم ورجالهم وتراجمهم يعطي للإنسان حتى لغير الشيعي اطمئنانًا كاملاً بالأدلّة اليقينية الحتمية أنَّ ما سُطِّرَ في فضائل زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) هي روايات متواترة حسب المنهج العلمي القائم على علم الرجال المتعارف به حتى عند أشدّ الطرق الرجالية في المنهج السلفي، وأنا حاولت في بحثي أن أبيّن في منطق التشدد السلفي الوهابي مباني العلماء السلفية أنَّ الروايات الموجودة في فضائل زيارة الإمام الحسين(عليه السلام) هي رواياتٌ ثابتةٌ علمياً.

الولادة والشهادة وخصوصية المكان في حياة الإمام الرضا (عليه السلام)

علي هاشم الحسيني

في زمن الإمام الرضا (عليه السلام) كانت الأحداث التأريخية كثيرة جدًا، والتي غيرت الكثير من تأريخ الإسلام والمسلمين. حيث إن المأمون العباسي غير من تاريخ الإسلام بجلبه العلوم اليونانية وغيرها من علوم الأديان، وعلوم الرياضيات.. .

ولم يستتب حكم المأمون إلّا بجلب الإمام الرضا (عليه السلام) من المدينة إلى خراسان، وإخضاع الإمام (عليه السلام) تحت حكمه. فالإمام كان لزامًا عليه أن يذعن لهذه الظروف الكثيرة، ويستغلها لصالح الإسلام والمسلمين، فكانت هناك بيعة من المأمون والإمام قبلها بشروط سنذكرها تباعًا. وكذلك الإمام (عليه السلام) استثمر وجوده في خراسان عندما التقى بعلماء المذاهب الأخرى وحاورهم وناقشهم، وبعد أن تغلب عليهم أذعنوا له وأقروا له بكل شيء، وهذه هي الفائدة الكبرى التي حرص الإمام الرضا (عليه السلام) باستغلالها وجعلها في منفعة الإسلام والمسلمين.

ظروف البيعة وأسبابها

كانت ظروف المأمون في الحكم تزداد سوءًا يومًا بعد يوم.. وإلى أن كان لا بد للمأمون من التحرك، والعمل بسرعة، شرط أن لا تزيد الفتن اتساعًا، والطين بلة. وأن يستعمل كل ما لديه من حنكة ودهاء، في سبيل إنقاذ نفسه، ونظام حكمه، وخلافة العباسيين بشكل عام.. .

وكان المأمون يدرك: إنَّ إنقاذ الموقف يتوقف على:

١ - إخماد ثورات العلويين: الذين كانوا يتمتعون بالاحترام والتقدير، ولهم نفوذ واسع في جميع الفئات والطبقات..

٢ - أن يحصل من العلويين على اعتراف بشرعية خلافة العباسيين؛ ويكون بذلك قد أفقدهم سلاحًا قويًا، لن يقر له قرار.

٣ - استئصال هذا العطف، وذلك التقدير والاحترام الذي كانوا يتمتعون به، وكان يزداد يومًا بعد يوم في نفوس الناس استئصالًا نهائيًا، والعمل على تشويههم أمام الرأي العام، وبالطرق، والأساليب التي لا تثير الكثير من الشكوك والشبهات، حتى لا يقدمون بعد ذلك على أي تحرك، ولا يجدون المؤيدين لأية دعوة لهم، وليكون القضاء عليهم بعد ذلك نهائيا سهلًا وميسورًا..

٤ - اكتساب ثقة العرب ومحبتهم..

٥ - استمرار تأييد الخراسانيين، وعامة الإيرانيين له.

٦ - إرضاء العباسيين، والمتشيعين لهم، من أعداء العلويين.

٧ - تعزيز ثقة الناس بشخص المأمون، الذي كان لقتل أخيه أثرٌ سيءٌ على سمعته وثقة الناس به.

٨ - وأخيرًا أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده من تلك الشخصية الفذة، التي كانت تملأ جوانبه فزعًا، ورعبًا.. وأن يتحاشى الصدام المسلح معها؛ ألا وهي شخصية الإمام الرضا (عليه السلام)، وأن يمهد الطريق للتخلص منها، والقضاء عليها، قضاء مبرمًا ونهائيًا.

وبعد هذا فإنَّ من الواضح أنَّ المأمون كان يعلم قبل كل أحد، أنَّه:

لم يكن يستطيع أن يستعين في مواجهة تلك المشاكل بالعباسيين، بني أبيه، بعد أن كانوا ينقمون عليه، قتله أخاه العزيز عليهم، وعلى العرب، وبعد مواقفه، التي تقدم بيان جانب منها تجاههم.. وبعد أن كانوا لا يثقون به، ولا يأمنون جانبه، بسبب موقفهم السابق منه، والأهم من ذلك أنَّه لم يكن فيهم الرجال الكفاة، الذين يستطيع أن يعتمد عليهم.

> وإذا كان لا يستطيع أن يستعين ببني أبيه العباسيين، فبالأحرى لا يستطيع أن يستعين على حل مشاكله بالعلويين، والمتشيعين لهم، بعد أن كانوا هم أساس البلاء والعناء له، والذين يخلقون له أعظم المشاكل، ويضعون في طريق حكمه أشق العقبات.

وأما العرب: فهو أعرف الناس بحقيقة موقفهم منه.

والخراسانيون: لا يستطيع أن يعتمد على ثقتهم به طويلا، بعد أن كشف لهم عن حقيقته وواقعه الأناني البشع، بقتله أخاه، وإبعاده طاهرًا بن الحسين، مشيد أركان حكمه، عن مسرح السياسة: " ولقد ذكره الرضا بذلك؛ عندما استعرض معه حقيقة الوضع القائم آنذاك. " .

أي الأساليب أنجع:

وبعد ذلك.. فإنَّ من الواضح أنَّه لم يكن لينقذ الموقف بالقسوة والعنف، وهو الذي يعاني المأمون من نتائجه السيئة ما يعاني.

ولا المنطق الحجاج؛ لأنَّ العلويين بناءً على ما شاع عند الأمة، من أن السبب في استحقاق الخلافة، هو القربى النسبية من النبي (ﷺ)، وإنَّ

العلويين بناءً على هذا: أقوى حجة من العباسيين، لأنَّهم يمتلكون اعترافًا صريحًا منهم بأنَّ المستحق للخلافة هو الأقرب نسبًا إلى النبي (ﷺ).

نرى ويرى المأمون: أنَّه لم يكن لينقذ الموقف أيًّا من تلك الأساليب، ولا غيرها من الطرق الملتوية، واللاإنسانية، التي اتبعها أسلافه من قبل.

فإذًا لا بد وأن يعود السؤال ماذا يمكن للمأمون أن يفعل؟! وكيف يقوي من دعائم حكمه، الذي هو بالنسبة إليه كل شيء، وحتى لا يطمع فيه طامع، ولا تزعزعه العواصف، ولا تنال منه الأنواء، مهما كانت هوجاء وعاتية؟

خطة المأمون:

وكان أن اتبع المأمون من أجل إنقاذ موقفه أسلوبًا جديدًا، لم يكن مألوفًا، ولا معروفًا من قبل، ولم يتوصل إليه إلا بعد تفكير طويل، وتقييم عام وشامل للوضع الذي كان يعيشه، والمشاكل التي كان يواجهها؛ لقد كانت خطته غريبة وفريدة من نوعها، وكانت في غاية الإتقان، والإحكام في نظره.

أهداف المأمون من ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام):

الهدف الأول:

أن يأمن الخطر الذي كان يتهدده من قبل تلك الشخصية الفذة، شخصية الإمام الرضا (عليه السلام) الذي كانت كتبه تنفذ في المشرق والمغرب، وحتى لا يكون باستطاعة الإمام (عليه السلام) أن يدعو الناس إلى الثورة ولا أن يأتي بأية حركة ضد الحكم، بعد أن يصبح هو ولي للعهد. وسوف لا ينظر الناس إلى أية بادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها نكران للجميل، ولا مبرر لها، ولا منطق يدعمها.

وقد أشار المأمون إلى ذلك، عندما صرح بأنَّه: خشي إن ترك الإمام على حاله أن ينفتق عليه منه ما لا يسده، ويأتي منه عليه ما لا يطيقه فأراد أن يجعله ولي عهده ليكون دعاؤه له.

الهدف الثاني:

أن يجعل هذه الشخصية تحت المراقبة الدقيقة، والواعية عن قرب، من الداخل والخارج، وليمهد الطريق ومن ثم القضاء عليها بأساليبه الخاصة. وقد أشرنا فيما سبق، إلى أنَّنا لا نستبعد أن يكون من جملة ما كان يهدف إليه من وراء تزويجه الإمام بابنته، هو أن يجعل عليه رقيبًا داخليًا موثوقًا عنده، ويطمئن إليه الإمام نفسه.

الهدف الثالث:

أن يجعل الإمام (عليه السلام) قريبًا منه، ليتمكن من عزله عن الحياة الاجتماعية، وإبعاده عن الناس، وإبعاد الناس عنه، حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية، وبما منحه الله من العلم، والعقل، والحكمة. ويريد أن يحد من ذلك النفوذ له، الذي كان يتزايد باستمرار، سواء في خراسان، أو في غيرها.

الهدف الرابع:

إنَّ المأمون في نفس الوقت الذي يريد فيه أن يتخذ من الإمام مجنا يتقي به سخط الناس على بني العباس، ويحوط نفسه من نقمة الجمهور؛ يريد أيضًا، أن يستغل عاطفة الناس ومحبتهم لأهل البيت، والتي زادت ونمت بعد الحالة التي خلفتها الحرب بينه وبين أخيه، ويوظف ذلك في صالحه هو، وصالح الحكم العباسي بشكل عام.

الهدف الخامس:

نستطيع أن نقول أيضًا: إنَّه كان يريد أن يقوي من دعائم حكمه، حيث قد أصبح الحكم يمتلك شخصية تعنو لها الجباه بالرضا والتسليم، ولقد كان الحكم بأمس الحاجة إلى شخصية من هذا القبيل؛ في مقابل أولئك المتزلفين القاصرين، الذين كانوا يتجمعون حول الحكم العباسي، طلبًا للشهرة، وطمعًا بالمال، والذين لم يعد يخفى على أحد حالهم ومآلهم وعلى الأخص بعد أن رأى فشلهم في صد حملات علماء الملل الأخرى، الذين كانوا قد ضاعفوا نشاطاتهم، عندما رأوا ضعف الدولة، وتمزقها، وتفرقها إلى جماعات وأحزاب.

الهدف السادس:

ولعلَّ من الأهمية بمكان بالنسبة إليه، أنَّه يكون في تلك الفترة المليئة بالقلاقل والثورات، قد أتى الأمة بمفاجئة مثيرة، من شأنها أن تصرف أنظار الناس عن حقيقة ما يجري، وما يحدث، وعن واقع المشاكل التي كان يعاني الحكم والأُمة منها، وما أكثرها.

الهدف السابع:

وطبيعي بعد هذا أنَّه قد أصبح يستطيع أن يدعي، بل قد

ادعى بالفعل – على ما في وثيقة العهد – : أن جميع تصرفاته، وأعماله،

لم يكن يهدف من ورائها، إلا الخير للأمة، ومصلحة المسلمين، وحتى قتله أخاه، لم يكن من أجل الحكم، والرياسة، بقدر ما كان من أجل خير المسلمين، والمصلحة العامة.

الهدف الثامن:

لقد كان من نتائج اختياره الإمام، والبيعة له بولاية العهد - التي كان يتوقعها - : أن يخمد ثورات العلويين في جميع الولايات والأمصار، ولعلَّه لم تقم أية ثورة علوية ضد المأمون - بعد البيعة للرضا، سوى ثورة عبد الرحمان بن أحمد في اليمن. وكان سببها - باتفاق المؤرخين - هو فقط: ظلم الولاة وجورهم، وقد رجع إلى الطاعة بمجرد الوعد بتلبية مطالبه.

الهدف التاسع:

كما أنَّه ببيعته للإمام الرضا (عليه السلام) بولاية العهد، وقبول الإمام (عليه السلام) بذلك يكون قد حصل على اعتراف من العلويين، على أعلى مستوى بشرعية الخلافة العباسية، ولقد صرح المأمون بأن ذلك، كان من جملة أهدافه، حيث قال: " .. فَأَرَدْنَا أَنْ نَجْعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِنَا لِيَكُونَ دُعَاؤُهُ لَنَا، وَلِيَعْتَرِفَ بِالْمُلْكِ وَالْخِلَافَةِ لَنَا.. "[1] .

الهدف العاشر:

يضاف إلى ذلك أنَّه يكون قد حصل على اعتراف ضمني من الإمام بشرعية تصرفاته، طيلة فترة ولاية العهد، وليعطي الناس الصورة التي يريدها عن الحكم والحاكم، وليؤكد للملأ أجمع: أنَّ الحاكم هذا هو سلوكه، وهذه هي تصرفاته: من كان، ومهما كان، وإذن فليس لهم بعد حق في أن يتطلعوا إلى حكومة أحد على أن بها شيئًا جديدا، ولا أن ينظروا إلى جهة على أنَّها يمكن أن يكون بها المنقذ لهم، والمخرج من الظلمات إلى النور، حتى ولو كانت تلك الجهة هي آل بيت نبيهم، فإنَّه من الطبيعي

١ - عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٧٠.

أن يتبع السياسيون أساليب، ويتكلموا بأشياء كثيرة، ينسبونها بمجرد وصولهم إلى الحكم، وتسلمهم لازمة السلطة، فإن تلك لا تعدو كونها تكتيكات، ووعودًا انتخابية، يحتاجون إليها في ظروف معينة، ثم يستغنون عنها، كما كانت الحال في وعود المأمون، التي أشرنا إليها فيما تقدم.

الهدف الحادي عشر:

أن يكون المأمون قد حصل على كل ما قدمناه، وحقن دماء العباسيين، واستوثقت له الممالك، ولم يعد هناك ما يعكر صفو حياته، وقوي مركزه، وارتفع بالخلافة من الحضيض المهين، الذي أوصلها إليه أسلافه إلى أوج العظمة، والتمكن والمجد.

سؤال وجواب:

قد يدور بخلد القارئ أن ما ذكرناه هنا فيما يتعلق بالفارق الكبير بالسن، ينافي ما تقدم من أن المأمون كان يريد الحصول على قاعدة شعبية، والارتفاع بالخلافة من الحضيض الخ.

ولكن الحقيقة هي: أنَّه لا منافاة هناك ويمكن للمأمون أن يقصد كل ذلك من البيعة، لأن مقدار التفاوت بالسن بين الإمام (عليه السلام) والمأمون، لم يكن مما يعرفه الكثيرون، ولا مما يلتفت إليه عوام الناس في بادئ الأمر، لأنهم يأخذون الأمور على ظواهرها، ولا يتنبهون إلى مثل ذلك، إلا بعد تنبيه وتذكير، فللوهلة الأولى تجوز عليهم الخدعة، ويقدرون خطوة المأمون هذه، وتنتعش الآمال في نفوسهم بالحياة الهنيئة السعيدة، تحت ظلم حكم بدا أنَّه يتخذ العدل ديدنًا، والإنصاف طريقة . . .

> ثم وبعد أن يجند المأمون أجهزة إعلامه، من أجل تسميم الأفكار، يجد أن نفوس الناس مهيأة ومستعدة لتقبل ما يلقى إليها.

العلويون يدركون نوايا المأمون:

إنَّ نوايا المأمون تجاه العلويين، ومحاولاته لإسقاطهم اجتماعيًا، وابتزازهم سياسيًا، حتى إذا أخفق في ذلك راح يختالهم واحدًا فواحدًا، كلما واتاه الظرف، وسنحت له الفرصة ولم يكن العلويون يجهلونها، بل كانوا يدركونها كل الإدراك، ولم تكن تخدعهم تلك الشعارات والأساليب المبهرجة. وحسبنا هنا أن نذكر في مقام التدليل على هذا: أنَّ المأمون كتب لعبد الله بن موسى، بعد وفاة الرضا، يعده بأنه يجعله ولي عهده، ويقول له: " ما ظننت أن أحدًا من آل أبي طالب يخافني بعد ما عملته بالرضا "[٢] .

فأجابه عبد الله يقول: " وصل إليَّ كتابك، وفهمته، تختلني فيه عن نفسي مثل القانص، وتحتال عليَّ حيلة المغتال، القاصد لسفك دمي، وعجبت من بذلك العهد، ولايته لي بعدك، كأنَّك تظن: أنَّه لم يبلغني ما فعلته بالرضا؟ ففي أي شيءٍ ظننت أنِّي أرغب من ذلك؟ أفي الملك الذي غرتك حلاوته؟ إلى أن يقول: أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا؟ "[٣] .

ويقول له أيضا – والظاهر أنَّه نص آخر للرسالة – : " هبني لا ثأر لي عندك، وعند آبائك المستحلين لدمائنا الآخذين حقنا، الذين جاهروا في أمرنا، فحذرناهم، وكنت ألطف حيلة منهم، بما استعملته من الرضا بنا، والتستر لمحننا، تختل واحدًا فواحدًا منا الخ.. "[٤] .

> **فالنتيجة تكون: أنَّ الخليفة الفعلي يكون آخر من يتهم في ولي العهد، إذا ما راح ضحية التآمر والاغتيال، وعرف الناس ذلك، وهذا بلا شك من جملة ما كان يريده المأمون، ويسعى إليه.**

٢ – مقاتل الطالبيين: ص٤١٦.
٣ – مقاتل الطالبيين: ص٤١٦.
٤ – نفس المصدر: ص٤١٥.

موقف الإمام في مواجهة مؤامرات المأمون:

لقد رأينا كيف أن المأمون أراد من لعبته تلك، التغلب على المشاكل التي كان يواجهها، والاستفادة في تقوية دعائم خلافته، وخلافة العباسيين بشكل عام؛ والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما هو موقف الإمام (عليه السلام) نفسه من لعبة المأمون تلك، وخططه، وأهدافه؟ وهل أفسح المجال للمأمون ليحقق كل ما يريد تحقيقه، ويصل إلى ما كان يريد الوصول إليه؟

الحقيقة هي: أنَّ الإمام (عليه السلام) قد استطاع، بما اتبعه من خطة حكيمة، وسلوك مثالي أن يضيع على المأمون كافة الفرص، ويجعله يبوء بالخيبة والخسران، ويمنى بالفشل الذريع، حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك، وبدا الارتباك واضحًا في كل تصرفاته، وأقواله، وأفعاله أن يضع المأمون في قفص الاتهام، وهكذا.. وبعد أن اتضحت الأسباب الحقيقية للبيعة، وبعد أن عرفنا بعض الظروف والملابسات، التي أحاطت بهذا الحدث الهام، فإننا نستطيع أن نضع المأمون، ونواياه وأهدافه في قفص الاتهام، ولا يمكن أن نصدق – بعد هذا – أبدًا، أي ادعاء سطحي، يحاول أن يصور لنا حسن نية المأمون من البيعة، سيما ونحن نرى كتابه للعباسيين في بغداد فور وفاة الرضا، وكذلك سلوكه المشبوه مع الرضا (عليه السلام) من أول يوم طلب منه فيه الدخول في هذا الأمر، وحتى إلى ما بعد وفاته خاصة كتابه لعبد الله بن موسى المتقدم.

والأدهى من ذلك كله رسالته للسري، عامله على مصر، التي " يخبره فيها بوفاة الرضا، ويأمره بأن تغسل المنابر، التي دعي عليها لعلي بن موسى، فغسلت. " . وكذلك لا يمكن أن نصدق بحسن نيته بالنسبة لأي واحد من العلويين الآخرين.

إذًا النتيجة من كل هذا البحث هو أنَّ حياة الإمام الرضا كانت مليئة بالصعوبات والأحداث التي كان يواجهها من العلويين الذين كانوا يثورون على المأمون مما سبب للإمام بأن يقبل بولاية العهد للحفاظ عليهم، وكذلك نشر علوم آل الرسول في خراسان وغيرها، وتفويت الفرصة على المأمون وغيره من اللعب والضحك على الأمة وتشويه سمعة آل البيت (عليهم السلام)؛ فلذلك تحمل الإمام الرضا (عليه السلام) كل هذا في سبيل نشر دعوة الإسلام وإفهام الناس بمخططات العدو التي كان يظهرها بأنَّها هي الدولة الوحيدة ولا سبيل لهم في غيرها؛ فالإمام أبطل هذا كله.

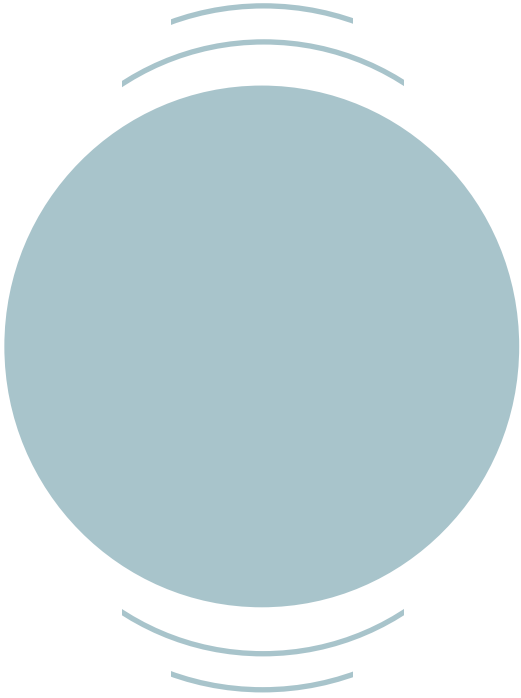

عيد الغدير وصلته بالمسلمين

الشيخ الأميني

إنَّ الذي يتجلى للباحث حول تلك الصفة لعيد الغدير أمران:

الأول: أنَّه ليس صلة هذا العيد بالشيعة فحسب، وإن كانت لهم به علاقة خاصة، وإنَّما اشترك معهم في التعيد به غيرهم من فرق المسلمين:

فقد عده البيروني في الآثار الباقية في القرون الخالية: مما استعمله أهل الإسلام من الأعياد.

وفي مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: يوم غدير خم، ذكره (أمير المؤمنين) في شعره، وصار ذلك اليوم عيدًا وموسمًا، لكونه كان وقتًا نصه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه المنزلة العلية، وشرفه بها دون الناس كلهم.

وقال: وكل معنى أمكن إثباته مما دل عليه لفظ المولى لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد جعله لعلي، وهي مرتبة سامية، ومنزلة سامقة، ودرجة علية، ومكانة رفيعة، خصصه بها دون غيره، فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد وموسم سرور لأوليائه.

> تفيدنا هذه الكلمة اشتراك المسلمين قاطبة في التعيد بذلك اليوم، سواء رجع الضمير في (أوليائه) إلى النبي أو الوصي صلى الله عليهما وآلهما.

أما على الأول: فواضح.

وأما على الثاني: فكل المسلمين يوالون أمير المؤمنين عليا شرعًا، سواء في ذلك من يواليه بما هو خليفة الرسول بلا فصل، ومن يراه رابع الخلفاء، فلن تجد في المسلمين من ينصب له العداء، إلا شذاذ من الخوارج مرقوا عن الدين الحنيف.

وتقرئنا كتب التاريخ دروسًا من هذا العيد، وتسالم الأمة الإسلامية عليه في الشرق والغرب، واعتناء المصريين والمغاربة والعراقيين بشأنه في القرون المتقادمة، وكونه عندهم يومًا مشهودًا للصلاة والدعاء والخطبة وإنشاد الشعر على ما فصل في المعاجم.

ويظهر من غير مورد من الوفيات لابن خلكان التسالم على تسمية هذا اليوم عيدًا:

ففي ترجمة المستعلي ابن المستنصر: فبويع في يوم عيد غدير خم، وهو الثامن عشر من ذي الحجة سُنة.

وقال في ترجمة المستنصر بالله العبيدي:

ليلة الثامن عشر من ذي الحجة هو عيد غدير خُمٍّ - بضم الخاء وتشديد الميم - رأيت جماعة كثيرة يسألون عن هذه الليلة متى كانت من ذي الحجة، وهذا المكان بين مكة والمدينة، وفيه غدير ماء ويقال: إنَّه غيضة هناك، ولما رجع النبي (صلى الله عليه وآله) من مكة شرفها الله تعالى عام حجة الوداع ووصل إلى هذا المكان وآخى علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: على مني كهارون من موسى، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وللشيعة به تعلق كبير.

وقال الحازمي: وهو واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير عنده خطب النبي (ﷺ)، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة وشدة الحر.

وهذا الذي يذكره ابن خلكان من كبر تعلق الشيعة بهذا اليوم هو الذي يعنيه المسعودي في التنبيه والإشراف: بعد ذكر حديث الغدير بقوله: وولد علي (عليه السلام) وشيعته يعظمون هذا اليوم.

ونحوه الثعالبي في ثمار القلوب - بعد أن عد ليلة الغدير من الليالي المضافات المشهورة عند الأمة – بقوله : وهي الليلة التي خطب رسول الله (ﷺ) في غدها بغدير خم على أقتاب الإبل، فقال في خطبته: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، فالشيعة يعظمون هذه الليلة ويحيونها قيامًا.

وذلك لاعتقادهم وقوع النص على الخلافة بلا فصل فيه، وهم وإن انفردوا عن غيرهم بهذه العقيدة، لكنهم لم يبرحوا مشاطرين مع الأمة التي لم تزل ليلة الغدير عندهم من الليالي المضافة المشهورة، وليست شهرة هذه الإضافة إلا لاعتقاد خطر عظيم، وفضيلة بارزة في صبيحتها، ذلك الذي جعله يومًا مشهودًا أو عيدًا مباركًا. ومن جراء هذا الاعتقاد في فضيلة يوم الغدير وليلته وقع التشبيه بهما في الحسن والبهجة.

قال تميم بن المعز صاحب الديار المصرية من قصيدة له ذكرها الباخرزي في دمية القصر:

تروح علينا بأحداقها حسان حكتهن من نشر هنه

نواعم لا يستطعن النهوض إذا قمن من ثقل أردافهنه

حسن كحسن ليالي الغدير وجئن ببهجة أيامهنه

ومما يدل على ذلك: التهنئة لأمير المؤمنين (عليه السلام) من الشيخين وأمهات المؤمنين وغيرهم من الصحابة بأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والتهنئة من خواص الأعياد والأفراح.

مبدأ عيد الغدير

الأمر الثاني: إنَّ عهد هذا العيد يمتد إلى أمد قديم متواصل بالدور النبوي، فكانت البدأة به يوم الغدير من حجة الوداع بعد أن أصحر نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) بمرتكز خلافته الكبرى، وأبان للملا الديني مستقر إمرته من الوجهة الدينية والدنيوية، وحدد لهم مستوى أمر دينه الشامخ، فكان يومًا مشهودًا يسر موقعه كل معتنق للإسلام، حيث وضح له فيه منتجع الشريعة، ومنبثق أنوار أحكامها، فلا تلويه من بعده الأهواء يمينًا وشمالًا، ولا يسف به الجهل إلى هوة السفاسف وأي يوم يكون أعظم منه؟ وقد لاح فيه لاحب السنن، وبان جدد الطريق، وأكمل فيه الدين، وتمت فيه النعمة، ونوه بذلك القرآن الكريم.

> فيوم استقرت فيه الملوكية الإسلامية والولاية الدينية العظمى لمن جاء النص به من الصادع بالدين الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، أولى أن يتخذ عيدًا يحتفل به بكل حفاوة وتبجيل، وبما أنَّه من الأعياد الدينية يجب أن يزاد فيه على ذلك بما يقرب إلى الله زلفى من صوم وصلاة ودعاء وغيرها من وجوه البر.

وإن كان حقًا اتخاذ يوم تسنم فيه الملوك عرش السلطنة عيدًا يحتفل به بالمسرة والتنوير وعقد المجتمعات وإلقاء الخطب وسرد القريض وبسط الموائد كما جرت به العادات بين الأمم والأجيال،

ولذلك كله أمر رسول الله (ﷺ) من حضر المشهد من أمته، ومنهم الشيخان ومشيخة قريش ووجوه الأنصار، كما أمر أمهات المؤمنين، بالدخول على أمير المؤمنين (عليه السلام) وتهنئته على تلك الحظوة الكبيرة بإشغاله منصة الولاية ومرتبع الأمر والنهي في دين الله.

حديث التهنئة:

أخرج الإمام الطبري محمد بن جرير في كتاب الولاية حديثا بإسناده عن زيد بن أرقم قال:

معاشر الناس، قولوا: أعطيناك على ذلك عهدًا عن أنفسنا وميثاقًا بألسنتنا وصفقة بأيدينا نؤديه إلى أولادنا وأهالينا لا نبغي بذلك بدلًا وأنت شهيد علينا وكفى بالله شهيدًا، قولوا ما قلت لكم، وسلموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا:

(الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) فإن الله يعلم كل صوت وخائنة كل نفس، (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيما)، قولوا ما يرضي الله عنكم ف (إن تكفروا فإن الله غني عنكم).

قال زيد بن أرقم: فعند ذلك بادر الناس بقولهم: نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله ورسوله بقلوبنا، وكان أول من صافق النبي (ﷺ) وعليًا: أبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس، إلى أن صلى الظهرين في وقت واحد، وامتد ذلك إلى أن صلى العشاءين في وقت واحد، وأوصلوا البيعة والمصافقة ثلاثًا[1].

١ الغدير: الأميني، ج١، ص٢٨٩.

ورواه أحمد بن محمد الطبري الشهير بالخليلي في كتاب مناقب علي بن أبي طالب، المؤلف سنة ٤١١ بالقاهرة، من طريق شيخه محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن، وفيه:

فتبادر الناس إلى بيعته وقالوا: سمعنا وأطعنا لما أمرنا الله ورسوله بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وجميع جوارحنا، ثم انكبوا على رسول الله وعلى علي بأيديهم، وكان أول من صافق رسول الله أبو بكر وعمر وطلحة والزبير ثم باقي المهاجرين والناس على طبقاتهم ومقدار منازلهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد والمغرب والعشاء الآخرة في وقت واحد، ولم يزالوا يتواصلون البيعة والمصافقة ثلاثًا، ورسول الله كلما بايعه فوج بعد فوج يقول: الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين، وصارت المصافقة سُنة ورسمًا، واستعملها من ليس له حق فيها[٢].

وفي كتاب النشر والطي:

فبادر الناس بنعم نعم سمعنا وأطعنا أمر الله وأمر رسوله آمنا به بقلوبنا، وتداكوا على رسول الله وعلي بأيديهم، إلى أن صليت الظهر والعصر في وقت واحد وباقي ذلك اليوم إلى أن صليت العشاءان في وقت واحد، ورسول الله كان يقول كلما أتى فوج: الحمد لله الذي فضلنا على العالمين.

وقال المولوي ولي الله اللكهنوي في مرآة المؤمنين في ذكر حديث الغدير ما معربه:

فلقيه عمر بعد ذلك فقال له: هنيئًا يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وكان يهنئ أمير المؤمنين كل صحابي لاقاه[٣].

٢ الغدير: الأميني، ج١، ص٢٨٩-٢٩٠.
٣ عيد الغدير في الإسلام: الأميني، ص٢٢.

وقال المؤرخ ابن خاوند شاه في روضة الصفا في الجزء الثاني بعد ذكر حديث الغدير ما ترجمته:

ثم جلس رسول الله في خيمة، وأمر أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) أن يجلس في خيمة أخرى، وأمر أطباق الناس بأن يهنئوا عليا في خيمته، ولما فرغ الناس عن التهنئة له أمر رسول الله أمهات المؤمنين بأن يسرن إليه ويهنئنه ففعلن، وممن هنأه من الصحابة عمر بن الخطاب فقال: هنيئا لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى جميع المؤمنين والمؤمنات[٤].

وقال المؤرخ غياث الدين في حبيب السير في الجزء الثالث من ما معربه: ثم جلس أمير المؤمنين بأمر من النبي (صلى الله عليه وآله) في خيمة يزوره الناس ويهنئونه وفيهم عمر بن الخطاب، فقال: بخ بخ يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ثم أمر النبي أمهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين والتهنئة له[٥].

> وخصوص حديث تهنئة الشيخين رواه من أئمة الحديث والتفسير والتاريخ من رجال السنة كثير لا يستهان بعدتهم، بين راوٍ مرسلا له إرسال المسلم، وبين راوٍ إياه بمسانيد صحاح برجال ثقات تنتهي إلى غير واحد من الصحابة: كابن عباس، وأبي هريرة، والبراء بن عازب، وزيد بن أرقم.

فممن رواه:

١ - الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، أخرج بإسناده في المصنف، عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت شجرة فصلى الظهر، فأخذ بيد علي فقال: ألستم تعلمون أنّي أولى بكل مؤمن من

٤ الغدير: الأميني، ج١، ص٢٩٠.
٥ المصدر نفسه: ج١، ص٢٩٠-٢٩١.

نفسه؟ قالوا: بلى، فأخذ بيد علي فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقيه عمر بعد ذلك فقال: هنيئا لك يا بن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[٦].

٢ - الحافظ أبو العباس الشيباني النسوي، قال: حدثنا هدبة، ثنا حماد بن سلمة، عن زيد، وأبو هارون عن عدي بن ثابت عن البراء قال: كنا مع رسول الله (ﷺ) في حجة الوداع، فلما أتينا على غدير خم كسح لرسول الله تحت شجرتين ونودي في الناس الصلاة جامعة، ودعا رسول الله عليا وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال: ألست أولى بكل امرئ من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقيه عمر بن الخطاب فقال: هنيئا لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[٧].

٣ - الحافظ أحمد بن عقدة الكوفي: أخرج في كتاب الولاية - وهو أول الكتاب - عن شيخه إبراهيم بن الوليد عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعد بن أبي وقاص: إنِّي أريد أن أسألك عن شئ وإنِّي أتقيك، قال: سل عما بدا لك فإنما أنا عمك، قال:

قلت: مقام رسول الله (ﷺ) فيكم يوم غدير خم، قال : نعم، قام فينا بالظهيرة فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، قال: فقال أبو بكر وعمر: أمسيت يا بن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة[٨].

---

٦ الغدير: الأميني، ج١، ص٢٩١.
٧ المصدر نفسه: ج١، ص٢٩١.
٨ الغدير: الأميني، ج١، ص٢٩٢.

٤ – الحافظ أبو سعيد الخركوشي النيسابوري، رواه في تأليفه شرف المصطفى، بإسناده عن البراء بن عازب بلفظ أحمد بن حنبل، وبإسناد آخر عن أبي سعيد الخدري ولفظه: ثم قال النبي (ﷺ): هنئوني هنئوني، إنَّ الله تعالى خصني بالنبوة وخص أهل بيتي بالإمامة، فلقي عمر بن الخطاب أمير المؤمنين فقال: طوبى لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة[٩].

٥ – الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي في كتاب المناقب قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن طاوان، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله القصاب البيع الواسطي مما أذن لي في روايته أنَّه قال: حدثني حميد الطويل، عن أنس في حديث: ...فأخذ بيده وأرقاه المنبر فقال : اللهم هذا مني وأنا منه إلا أنَّه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه، قال: فانصرف علي قرير العين، فاتبعه عمر بن الخطاب فقال: بخ بخ يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم[١٠].

عيد الغدير عند العترة الطاهرة

إنَّ هذه التهنئة المشفوعة بأمر من مصدر النبوة، والمصافقة بالبيعة المذكورة مع ابتهاج النبي بها بقوله: الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين، على ما عرفته من نزول الآية الكريمة في هذا اليوم المشهود، الناصة بإكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب فيما وقع فيه.

وقد عرف ذلك طارق بن شهاب الكتابي الذي حضر مجلس عمر بن الخطاب، فقال: لو نزلت فينا هذه الآية لاتخذنا يوم نزولها عيدًا، ولم

٩ المصدر نفسه: ج١، ص٢٩٣.
١٠ المصدر نفسه: ج١، ص٢٩٤.

ينكرها عليه أحد من الحضور، وصدر من عمر ما يشبه التقرير لكلامه، وذلك بعد نزول آية التبليغ، وفيها ما يشبه التهديد إن تأخر عن تبليغ ذلك النص الجلي، حذار بوادر الدهماء من الأمة.

وقد نوه به رسول الله فيما رواه فرات بن إبراهيم الكوفي في القرن الثالث، عن محمد بن ظهير، عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن آبائه قال: قال رسول الله (ﷺ): يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره بنصب أخي علي بن أبي طالب علمًا لأمتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام دينا.

> كل هذه لا محالة قد أكسب هذا اليوم منعة وبذخًا ورفعة وشموخًا، سر موقعها صاحب الرسالة الخاتمة وأئمة الهدى ومن اقتص أثرهم من المؤمنين، وهذا هو الذي نعنيه من التعيد به.

كما يعرب عنه قوله (ﷺ) في حديث أخرجه الحافظ الخركوشي كما مر: هنئوني هنئوني.

واقتفى أثر النبي الأعظم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نفسه، فاتخذه عيدًا، وخطب فيه سنة اتفق فيها الجمعة والغدير، ومن خطبته قوله:

إنَّ الله عز وجل جمع لكم معشر المؤمنين في هذا اليوم عيدين عظيمين كبيرين، ولا يقوم أحدهما إلا بصاحبه، ليكمل عندكم جميل صنعه، ويقفكم على طريق رشده، ويقفو بكم آثار المستضيئين بنور هدايته، ويسلككم

منهاج قصده، ويوفر عليكم هنئ رفده، فجعل الجمعة مجمعًا ندب إليه لتطهير ما كان قبله، وغسل ما أوقعته مكاسب السوء من مثله إلى مثله، وذكرى للمؤمنين، وتبيان خشية المتقين، ووهب من ثواب الأعمال فيه أضعاف ما وهب لأهل طاعته في الأيام قبله، وجعله لا يتم إلا بالائتمار لما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه، والبخوع بطاعته فيما حث عليه وندب إليه، فلا يقبل توحيده إلا بالاعتراف لنبيه (ﷺ) بنبوته، ولا يقبل دينًا إلا بولاية من أمر بولايته، ولا تنتظم أسباب طاعته إلا بالتمسك بعصمه وعصم أهل ولايته، فأنزل على نبيه (ﷺ) في يوم الدوح ما بيَّن به عن إرادته في خلصائه وذوي اجتبائه، وأمره بالبلاغ وترك الحفل بأهل الزيغ والنفاق، وضمن له عصمته منهم.

إلى أن قال:

عودوا رحمكم الله بعد انقضاء مجمعكم بالتوسعة على عيالكم، وبالبر بإخوانكم، والشكر لله عز وجل على ما منحكم، وأجمعوا يجمع الله شملكم، وتباروا يصل الله ألفتكم، وتهادوا نعمة الله كما منكم بالثواب فيه على أضعاف الأعياد قبله أو بعده إلا في مثله، والبر فيه يثمر المال ويزيد في العمر، والتعاطف فيه يقتضي رحمة الله وعطفه، وهيئوا لإخوانكم وعيالكم عن فضله بالجهد من وجودكم، وبما تناله القدرة من استطاعتكم، وأظهروا البشر فيما بينكم والسرور في ملاقاتكم..[11].

١١ بحار الأنوار: المجلسي، ج٩٤، ص١١٤-١١٧.

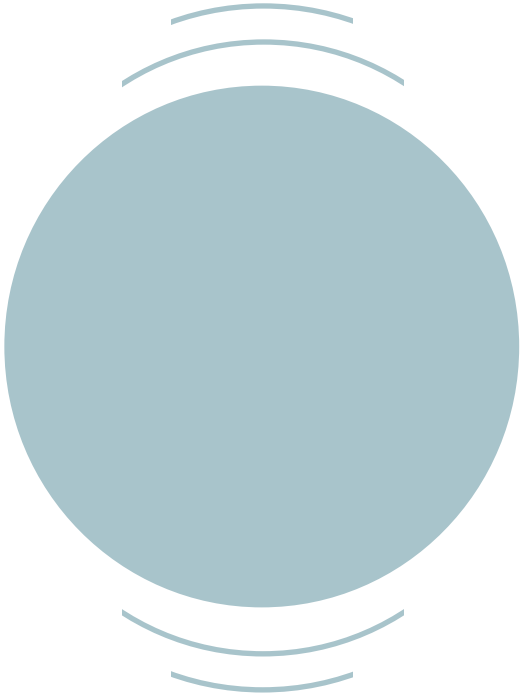

قراءةٌ جديدة لروايات التحريف

الشيخ الدكتور حيدر مسجدي

منذ سنوات يخالجني بحث حول القرآن الكريم وصيانته عن التَّحريف، وقد قرأت العديد من المؤلفات في هذا المجال فوجدت أنَّ الأبحاث الموجودة بشأن الروايات الموهمة للتحريف تتّسم بأحد طابعين؛ إمَّا أن تكون دراسات رجالية للروايات ومن خلال البحث السندي نطرح الروايات، وأما أن نقوم بتأويل الروايات؛ كي نتخلّص من شبهة التحريف على أنَّ النهج الأوّل قال به بعض العلماء والباحثين أمثال سماحة المرجع الديني السيد الخوئي -أعلى الله مقامه الشريف- في مقدّمة كتابه البيان، فقد أشار إلى أنَّ هذه الروايات على الرغم من ضعفها سندًا إلَّا أنَّها متواترة معنويًّا فلا يمكن ردّها.

في بحثي هذا درست هذه الروايات من زاوية علوم الحديث، ومن زاوية فقه الحديث، ونقد الحديث، وكانت البداية مقدّمة طرحت بعض النقاط المقتضبة، ثم أشرت إلى بعض النماذج، والذي يراجع روايات أهل البيت (عليهم السلام) يجد اهتمامًا بالغًا بالقرآن الكريم في شتَّى المجالات، ولو أخذنا كتاب الكافي كنموذج نجد أنَّ الشيخ الكليني -أعلى الله مقامه- عقد بابًا بعنوان كتاب فضل القرآن الكريم، وأورد فيه ثلاثة عشر بابًا، وأورد في بابين آخرين بعنوان باب الدّعاء عند قراءة القرآن، وباب الدعاء في حفظ القرآن، وأورد بابًا أيضاً ضمن أبواب الصلاة باب قراءة القرآن، مضافاً إلى الرّوايات المفرقة في ثنايا الكتاب.

هـذا مثـال في كتـاب واحـد كتـاب روائـي يكشـف عـن أهمّيّـة القـرآن مـن منظـار أهـل البيـت (عليهم السلام).

إذًا كيـف نؤمـن بـأنَّ هـذه الروايـات دالّـة عـلى تحريـف القـرآن الكريـم، فـإذا كان القـرآن محرّفًـا لا يولونـه هـذا الاهتـمام البالغ.

النُّقطـة الثانيـة التـي أود أن أشـير إليهـا، أنَّنـا إذا تناولنـا روايـة مـن الرّوايـات بالدراسـة فالنهـج العلمـيّ في دراسـة الروايـات أن نـدرس صـدور الرّوايـة، والمـراد بهـا ليـس مجـرّد سـند الروايـة، فسـندها أحـد مجـالات مصـادر الرّوايـة، ومـا يمكـن أن يؤيّـد الروايـة أو يردهـا نجـد بعـض الرّوايـات عـلى الرّغـم مـن صحّتهـا سـنداً، إلّا أنَّهـا مخالفـة للمسـلّمات في الطـرف المقابـل، كـما نجـد بعـض الرّوايـات التـي هـي قـد تكـون ضعيفـة سـندًا لكـن هـي مدعومـة بروايـات عديـدة، وآيـات كريمـة، ومـما لا يمكـن أن نردّهـا.

> قبـل البحـث في هـذه الرّوايـات، وهـل هـي دالّـة عـلى تحريـف القـرآن أم لا؟ يجـب أن تـدرس الرّوايـات ضمـن هـذا الإطـار الـذي ذكرتـه سـابقًا

حيـنما تعرّضـت لدراسـة الرّوايـات أخـذت بنهـج القدمـاء في دراسـة الرّوايـات مـن نواحـي مختلفـة مـن الناحيـة السـندية، والمصـادر، ومـن ناحيـة القرائـن ومـا إلى ذلـك ممـا يمكننـا مـن خلالـه الوثـوق بصـدور النّـص أو بعـدم صـدوره، وإذا ثبـت صـدور الرّوايـة يجـب أن نبحـث هـل هـذا النّـص دقيـق أم لا؟

لقد انتقل التراث الحديثي من كتاب إلى آخر، ومن نسخة إلى أخرى خلال القرون السابقة، وتعرّض للتصحيف وللتقطيع وللنقل بالمعنى إلى غير ذلك من الأمور التي تفقدنا الثّقة بالنّص، ولذلك بعد أن نحرز هذين الجانبين؛ نأتي لدراسة الدّلالة كما هو مبيّن في كتب فقه الحديث.

لذلك ينبغي أن تكون الدِّراسة ضمن ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: دلالة المفردات.

المحور الثاني: دلالة التركيب.

المحور الثالث: القرائن.

إنَّ كثيراً من الألفاظ كان لها في العصور السالفة معاني أخر، وكثير من المفردات لها معاني عديدة، لكن اليوم لا تفهم إلَّا بمعنى واحد، وكمثال على ذلك مفردة الوضوء، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: "يا أبا حمزة الوضوء قبل الطعام وبعده يذهبان الفقر قلت: بأبي أنت وأمي يذهبان بالفقر؟ فقال: نعم، يذهبان به".[1] ، والقصد من ذلك غسل اليدين، لكن الآن كثير ممن يسمع هذا الحديث يفهم منه أنَّ الوضوء الشرعي في حين أنَّ المراد من الوضوء هو اللُّغويُّ أي غسل اليدين قبل الطعام وبعده ينفيان الفقر.

> حينما نراجع بعض الأبحاث التي تعرّضت لموضوع قضيّة التحريف نجد أنَّ دراسة النصوص لا تخضع لدلالة المفردات، والتركيب، والقرائن، وإنَّما يتفرّع لفهم النص وفق ما له من معنى في هذا العصر.

في القرآن الكريم كثير من المفردات استخدمت بمعاني غير المعاني

١- الكافي - ج ٦ - ص ٢٩٠.

المعاصرة، مع أنَّ القرآن الكريم واضح الدلالة، ومع ذلك نجد أنَّ هذه المفردات لم تفهم بالشّكل الصّحيح، وزيادة للتوضيح أذكر مثالاً؛ مفردة النسيان (نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ)[٢] لو راجعنا العلماء في معنى الآية لوجدنا من يحاول أن يؤوّل على أنَّ الله تعالى لا ينسى، فيقولون يعاملهم معاملة الناسي في حين أنَّ الذي يراجع كتب اللغة يجد أنَّ النسيان له معنيين أحدهما الترك، والآخر النسيان، لكن الذي نفهمه هذا اليوم الغياب عن الذهن، في عيون الأخبار بإسناده إلى عبد العزيز بن مسلم قال: سألت الرضا (عليه السلام) عن قول الله تعالى: "نسوا الله فنسيهم" فقال: "إنَّ الله لا يسهو ولا ينسى، وإنَّما ينسى ويسهو المخلوق والمحدث، ألا تسمعه عزّ وجلّ يقول: " وما كان ربّك نسيّا " وإنَّما يجازي من نسيه ونسي لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم. كما قال تعالى: "وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" وقال عز وجل: "فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا" أي نتركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا[٣].

وفي كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث طويل يقول فيه (عليه السلام): وقد سأله رجل عما اشتبه عليه من آيات الكتاب: أمّا قوله: " نسوا الله فنسيهم " إنَّما يعني نسوا الله في دار الدنيا لم يعملوا بطاعته فنسيهم في الآخرة، أي لم يجعل لهم في ثوابه شيئا، فصاروا منسيين من الخير، وقد يقول العرب في باب النسيان قد نسينا فلان فلا يذكرنا، أي أنَّه لم يأمر لهم بخير ولا يذكرهم به.[٤]

٢- سورة التوبة: ٦٧.
٣- تفسير نور الثقلين - ج ٢ - ص ٢٣٩.
٤- تفسير نور الثقلين - ج ٢ - ص ٢٣٩.

وهكـذا مفـردات كـثيرة في القـرآن الكريـم وكذلـك في الحديـث الشريـف لا نفهـم مفرداتهـا وفـق مـا لها مـن معـاني في زمـان صدورهـا مـن المعصـوم – صلـوات الله عليـه–.

النقطـة الأخـرى: إنَّ القرائـن لهـا دور مهـم وأساسيّ في فهـم الـكلام، وهـذا لا يخـص الحديـث في المحـاورات العرفيـة السّـائدة بـين أبنـاء المجتمـع، فنحـن نعتمـد عـلى القرائـن بكثـرة في كثـير مـن الأحيـان، ومـن خـلال القرائـن يفهـم المـراد مـن خلالهـا، وهـذا أمـر واضـح وليـس خفيًّـا، والقرائـن متنوّعـة؛ بعضهـا لفظيـة، وبعضهـا قرائـن مقاميـة وحاليـة، ومـن القرائـن المهمّـة لفهـم النصـوص فهـم أجـواء الصـدور، ومـا كان في المجتمـع مـن عـادات وتقاليـد وأمـور لهـا دور في فهـم النـص.

مـن جملـة الأمـور التـي رأيتهـا في هـذه الروايـات والتـي أدَّعـي أنَّهـا دالّـة عـلى التحريـف، وجـود ألفـاظ وعبـارات ليسـت مـن الآيـة فلذلـك يقـال إنَّهـا تحريـف، في حـين أنَّ هـذا النهـج مـن التفسـير والمسـمّى بالتفسـير المزجـي كان رائجًـا في القـرن الثـاني، وقبـل القرن الثـاني في القـرن الأوّل، وقـد أوردت بعض النمـاذج مـن تفسـير الصحابـة والتابعـين وكبـار المفسّريـن مثـل ابـن عبّـاس عـلى نفـس هـذا النهـج، والملفـت للنظـر أنَّ الطبعـات الحديثـة لهـذه الكتـب ليسـت مـن كتـب الشـيعة، وإنَّـما مـن كتـب أهـل السـنة، وقـد أشـاروا أنَّ الطبعـات الحديثـة لهـذه الكتـب في هامـش بعـض هـذه النّصـوص إلى أنَّ الآيـة محرّفـة، وهـذا خطـأ فاحـش، فالآيـة ليسـت محرَّفـة وإنَّـما هـذا تفسـير مزجـي.

النّقطـة الأخـرى المهمّـة في الموضـوع، أنَّنـا حينـما نتكلّـم نسـتخدم اللَّحـن في الـكلام، فنسـتطيع أن نوصـل المـراد إلى المخاطـب مـن خـلال هـذا الأمـر.

في دراستي جمعت النّصوص الواردة في آية واحدة، وهو ما يسمّى بتشكيل الأسرة الحديثيّة، ومن خلال الأسرة الحديثية يتّضح أنَّ الإمام الصادق أو الإمام الباقر ليس في مقام بيان أنَّ الآية محرَّفة، بل الإمام الباقر(عليه السلام) نفسه، يستند إلى هذه الآيات في مواطن أخر كما هي في المصحف، فالمشكلة لدى البعض أنَّه فقد القرينة.

> نحن -وللأسف الشديد- لا نفهم هذه الروايات ضمن أجواء صدورها، وضمن المحيط الذي صدرت فيه، وإنَّما نفهمها وفق ما نفهمه هذا اليوم والمرتكزات الذهنية السائدة في هذا العصر، وهذا الفهم هو قطعًا فهم خاطئ وليس فهمًا صحيحًا.

إنَّ جملة من الباحثين ومن الكتّاب من المذاهب الإسلامية المختلفة -لا أخص مذهبًا دون آخر- أخذوا يترامون شبهة التحريف وينسبونها إلى المذاهب الأخرى وهم غافلون عن أنَّ هذا الجهد يطعن في القرآن الكريم قبل أن يطعن في المذهب الآخر.

إنَّ بعض النصوص في المذاهب الأخر نقلت عن كبار الصحابة وكبار التابعين وبالأسلوب نفسه ولكن ليس المراد منها تحريف القرآن الكريم وإنَّما المراد منها تفسير القرآن تفسيرًا مزجيًّا.

روى الشيخ الكليني في الكافي بسند صحيح عن أَبي عَبد الله (عليه السلام) قَالَ: "إنَّ القرآنَ الَّذي جَاءَ به جَبرَئيل (عليه السلام) إلَى محَمَّد (صلى الله عليه وآله) سَبعَةَ عَشَرَ أَلفَ آيَة"٥.

٥- الكافي - ج ٢ - ص ٦٣٤.

وحينما تعرّضت لدراسة الرواية من عدة جوانب لاحظت أكثر من معنى، وأشير إلى المعاني المذكورة بشأن هذه الرواية بصورة مختصرة:

المعنى الأوّل: اعتقادنا أنَّ القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد (ﷺ) هو ما بين الدفتين، وهو ما في أيدي الناس، ليس بأكثر من ذلك، ومبلغ سوره عند الناس مائة وأربع عشرة سورة.

وعندنا أنَّ (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(لإيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة.

وما روي من ثواب قراءة كل سورة من القرآن، وثواب من ختم القرآن كله، وجواز قراءة سورتين في ركعة نافلة، والنهي عن القرآن بين سورتين في ركعة فريضة، تصديق لما قلناه في أمر القرآن وأنَّ مبلغه ما في أيدي الناس.

وكذلك ما روي من النهي عن قراءة القرآن كله في ليلة واحدة، وأنَّه لا يجوز أن يختم في أقل من ثلاثة أيام، تصديق لما قلناه أيضًا بل نقول: إنّه قد نزل الوحي الذي ليس بقرآن، ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية.[٦]

يقول إنَّ المراد بسبعة عشر ألف آية ليس هو النّصوص القرآنية فقط وإنَّما الوحي النازل.

المعنى الثاني: الذي أشار له أحد الباحثين وهو الشيخ محمد أنَّ القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد (ﷺ) هو سبعة عشر ألف آية هو عدد

٦- الاعتقادات في دين الإمامية - ص ٨٥.

الآيات التي نزل بها جبرائيل من دون حذف المكرر منها وذلك أنَّ بعض الآيات نزلت أكثر من مرّة كما صرّح به السيوطي، وذكر عبارة السيوطي هذا المعنى يريد أن يوجّه الرّواية من خلال تعدّد نزول بعض الآيات، ولكن هذا مستبعد.

المعنى الثالث: ما ذكره أحد الباحثين وهو كريم بارجباف دولتي من أنَّ المراد بالآية في اللُّغة والروايات عدّة معاني، والمتبادر من لفظ الآية هو الآية بمعناها الاصطلاحي، أي العبارة الدّالّة على معنى تام ومن خلال استقصاء نماذج مختلفة من أوّل القرآن وأوسطه وآخره سبع عشرة صفحة من مواطن القرآن حاول أن يدعم قوله، وإنَّ هذه الصفحات تضمّنت مثلاً في كلّ صفحة سبع وعشرون عبارة مستقلة، ويقول إنَّ المراد بالآية هو العبارة التّامّة.

المعنى الرَّابع: إنَّ المراد بالآية العلامة والحجّة والدليل، وقد تتبعت لفظ الآية في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، والملفت للنظر أنَّ أغلب المواطن لم يستخدم بمعناه الاصطلاحي، وإنَّما استخدم بمعناه اللغوي؛ أي الحجّة والبرهان والدّليل وهذا المعنى إذا طبّقناه على الرواية، الإمام يقول إنَّ القرآن الذي نزل به جبرائيل على النبي (ﷺ) سبعة عشر ألف دليل وكفى به.

> بالنسبة لي أقرب المعاني إلى الرواية هو المعنى الرابع، وإن كان المعنى الثالث أيضاً مقبول، لكن المعاني الأولى لا أردّها، ولكن لا أراها بمنزلة المعنى الرابع والمعنى الثالث.

على أيّ حال إنَّنا حين نريد دراسة رواية معيّنة في باب معيّن يجب أن ندرس المفردات أوَّلاً، وبعد ذلك التركيب ثانياً، ونلحظ القرائن ولا نغفل عنها.

إنَّ الغفلة عن دلالة المفردات المتعدّدة والمعاني المتعدّدة للمفردات يوقعنا في الخطأ جزماً، وفي مثل هذه الدراسات يجب أن تدرس الروايات وكذلك الآيات الكريمة، والذي انتهيت إليه من خلال بحثي هو أنَّ هذه الطائفة من الروايات التي أُدُّعِيتْ دلالتُها إلى التحريف لا تمتُّ إلى التحريف بصلة وإنَّما هي روايات تفسيرية...

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

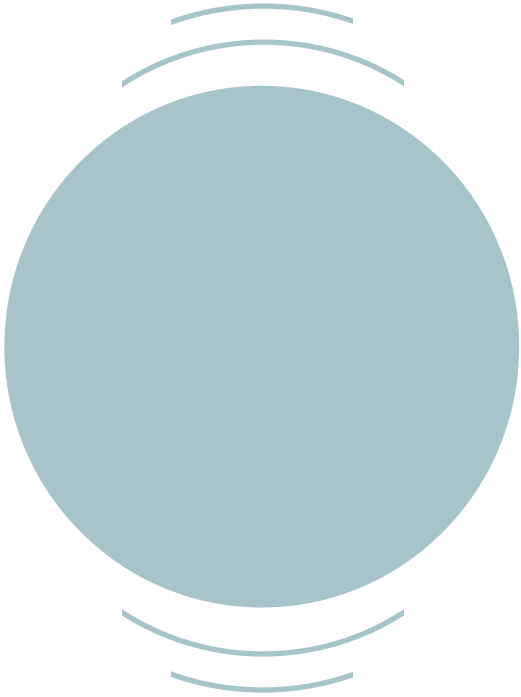

مفهوم آخر الزمان والإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف)

حيدر محمد الدفاعي

إنَّ لفظة «آخر الزمان» تشير إلى الحقبة التي تقترن بنهاية البشرية وبدء التحولات الكونية الكبيرة، حيث توضح النصوص الشريفة من القرآن الكريم والسنة النبوية أنَّ نهاية البشرية ترتبط بشكل وثيق بنهاية الكون واقتراب القيامة. يقول تعالى ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ)) (القمر:١)، ويقول أيضاً ((وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ)) (الأنبياء: ٩٧)، فيما أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى قرب الساعة من خلال قوله "بعثت أنا والساعة كهاتين، وأشار بالسبّابة والوسطى، وقرّب بينهما، كناية عن القرب الشديد"، مما يؤكد ارتباط نهاية الزمان بنهاية الحياة على الأرض.

وفي ضوء هذا الاقتراب من نهاية الكون، نجد أنَّ الله خلق الإنسان ليعيش ضمن نسيج اجتماعي يمدّه بالدعم ويساعده على تلبية احتياجاته الأساسية، كما ورد في قوله تعالى: "يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ" (فاطر:١٥). فابتدأ الإنسان في حياته الاجتماعية من بيته وبيئته المباشرة، ثم توسَّعَ ليتفاعل مع المجتمعات الأخرى في إطار تبادل المنافع، ممَّا أفرز عدة تطورات تاريخية، كان أبرزها تعزيز الصناعات والتجارة وتنظيم الإدارة المجتمعية، وظهور الدولة ككيان سياسي لتنظيم أمن واستقرار المجتمع.

> وبهذا، يتضح أنَّ مسار البشرية في تحقيق الترابط الاجتماعي والتقدم الحضاري إنَّما يعكس مسيرة إنسانية طويلة ستصل في نهاية المطاف إلى آخر الزمان، حيث يتداخل التطور البشري مع المصير المحتوم للكون بأسره.

وهذا ما تختصرُه الكلمةُ المتداولةُ: (الإنسان مدني بالطبع)، والذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣). ومن ثم انبثق التمدن وأُنشأت الدول والحضارات، وازدهرت الأمم، وذاقت الشعوب رفاهية العيش، ولكن ذلك لم يستمر ولم يدمْ للناس؛ بسبب اختلاف الحضارات وتعددها، واختلاف الحكّام وتجاذبهم فيما بينهم؛ وذلك أن كلاً منهم يريد أن يعلو على الجميع، لما تمليه عليه نفسه الأمّارة – وما يحثه الشيطان – عليه من الطمع والجشع ولو كان على حساب أرواح الناس الأبرياء، وهذا ما يدعو الشعوب إلى التقاتل وسفك الدماء.

إذًا: كلما توسعت الحضارات وانتشرت – وتوسع العلم وفنونه وتطورت – كان النوع البشري هو الخاسر الأوّل والأخير، حيث هو بيده يزرع بذرة التحضر ثم تنعكس عليه نتائجها سلباً – في أغلب الأحيان – فيكوى بالنار التي أوقدها. ومن هنا ينبثق نور الرحمة لينتشل البشرية من براثن الإلحاد والظلم والتعسف ببعث الأنبياء، إلّا أنَّ الأمر الجلي والذي لا خفاء فيه – على طول مسيرة الأنبياء – هو أنَّهم لم يصلوا إلى غاياتهم بالتمام والكمال، ولم يستطيعوا القيام بالدولة العادلة، ولعلَّ أكثرهم مات قتلاً من دون إتمام عمره الطبيعي، ومن هؤلاء النَّبيُّ (صلى الله عليه وآله) والأئمةُ المعصومونَ (عليهم السلام) من بعده.

أما بالنسبة لإمامنا المهدي (عجل الله فرجه)، فالوضع مختلف؛ إذ يحتفظ الله به ليكون المنقذ الذي يعيد العدل إلى الأرض بعد أن غمرها الظلم والجور. ووفقًا لما جاء في الآثار والروايات، سيظهر الإمام المهدي بعد غياب طويل ليقيم الحق، ويهزم الباطل، ويؤسِّس دولة العدل الكبرى، فتشرق الأرض بنور الحق الإلهي، وتفيض الخيرات والبركات على الناس. ويعبر دعاء الافتتاح عن هذا الطموح بقوله: "اللهم اجعله الداعي إلى كتابك والقائم بدينك،

استخلفْه في الأرض كما استخلفت الذين من قبله، مكّن له دينه الذي ارتضيته له، أبدله من بعد خوفه أمنا، يعبدك لا يشرك بك شيئاً. اللهم أعزه وأعزز به، وانصره وانتصر به، انصره نصراً عزيزاً. اللهم أظهر به دينك وملة نبيك، حتى لا يستخفي بشيء من الحق مخافة أحد من الخلق. اللهم إنّا نرغب إليك في دولة كريمة، تعزّ بها الإسلام وأهله، وتذل بها النفاق وأهله، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة". [1]

> والسؤال الجوهري هنا هو: ما المقومات التي ستتمتع بها دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بحيث تقوى على مواجهة العالم بأسره، ليحكم فيها الإمام طويلاً؟ بعبارة أخرى، ما هي عناصر القوة التي ستبني دولة آخر الزمان وتضمن استمراريتها، ليعيش الناس فيها سعداء مطمئنين؟

العنصر الأول: القيادة الإلهية

تعدُّ القيادة الفذة من أهم العناصر المؤثرة في نجاح الدولة واستقرارها؛ فكلما كانت شخصية القائد متكاملة، كانت الدولة أقدر على تحقيق أهدافها، بينما تنخفض فرص النجاح مع فقدان القائد لصفات الكمال، وفقاً للقاعدة التي تقول: "فاقد الشيء لا يعطيه". وكما ورد في الآية الكريمة: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥).

إذًا نجاح أي دولة يعتمد على وجود قائد صالح يتمتع بصفات القيادة والكمال. وفي سياق دولة آخر الزمان، فإنَّ الحجة بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه) هو القائد المنتظر، بما يمتلك من صفات تجعل الحكومة تتألَّقُ تحت قيادته. ومن هذه الصفات:

١ - مصباح المتهجد: ٥٨١.

كونه إماماً معيَّناً من الله تعالى ومفترض الطاعة؛ إذ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠)، و﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ (البقرة: ١٢٤)، و﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْراهِيمَ﴾ (آل عمران: ٦٨). وقد وردت نصوص عديدة من النبي (ﷺ) وأهل بيته (عليهم السلام) تؤكِّدُ هذا الأمر.

ومن الروايات الواردة، حديث الأصبغ بن نباتة عن ابن عباس عن رسول الله (ﷺ) الذي قال فيه: «فالأئمة بعدي أولهم علي وآخرهم المهدي»[٢]

ورُوِيَ عن الإمامِ عليِّ بنِ الحسينِ (عليه السلام) عن أبيه الحسين بن علي عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) قوله: "قال رسول الله (ﷺ): الأئمة من بعدي اثنا عشر، أولهم أنت يا علي وآخرهم القائم، الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها [٣]

كما ورد عن سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قوله: "قال رسول الله (ﷺ): الأئمة من بعدي بعدد نقباء بني إسرائيل، وكانوا اثني عشر»، ثم وضع يده على صلب الحسين (عليه السلام) وقال: «تسعة من صلبه، والتاسع مهديهم، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً فالويل لمبغضيهم» [٤].

وما ورد عن سعد الإسكاف عن محمد بن علي بن عمر بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «قال رسول الله (ﷺ): من سرَّه أن يحيى حياتي، ويموتُ ميتتِي، ويدخل جنة ربي التي وعدني - جنة عدن منزلي قضيب من قضبانه غرسه ربي (تبارك وتعالى) بيده فقال له: كن فكان - فليتول

٢ - الاختصاص: ٢٢٣- ٢٢٤، ينابيع المودة ٣: ٢٥٤ / ٥٩، شرح إحقاق ٥: ٩١.
٣ - أمالي الصدوق: ١٧٣ / ١٧٥ / ١١.
٤ - كفاية الأثر: ٤٧.

علي بن أبي طالب (عليه السلام) والأوصياء من ذريته، إنَّهم الأئمة من بعدي، هم عترتي من لحمي ودمي، رزقهم الله فضلي وعلمي، وويل للمنكرين فضلهم من أمتي، القاطعين صلتي، والله ليقتلن ابني، لا أنالهم الله شفاعتي [٥].

> هذا المنصب، بصفته الخلافة الإلهية في الأرض، يمنح الإمام سلطة على جميع الأمور في الكون، بفضل تسديد الله تعالى له. ويعني كذلك أنَّ هذا القائد يعمل بأمر الله، ويطبق شرعه بدقة، بدون تدخل بشري في تعيينه أو تنصيبه.

٢- القائد الإلهي معصوم، كونه قرين القرآن وشريك الهداية، كما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) في حواره مع المأمون، إذ سأله الأخير عن العترة الطاهرة، فأجابه الإمام قائلاً: "هم الذين وصفهم الله في كتابه بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، وهم الذين قال عنهم رسول الله: "إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما، أيها الناس لا تعلموهم فإنَّهم أعلم منكم [٦].

دلالة هذه الرواية على العصمة واضحة؛ فالإمام الرضا (عليه السلام) استند إلى آية التطهير التي تدل على طهارة وعصمة أهل البيت (عليهم السلام)، وإلى حديث الثقلين، الذي يشير إلى بقاء العترة متصلة إلى صاحب الأمر (عجل الله فرجه)، ممَّا يعني أنَّ آية التطهير تشمل جميع الأئمة من نسل الحسين (عليه السلام) وليس فقط أصحاب الكساء.

٥ - بصائر الدرجات: ٧٠ / ٧؛ الإمامة والتبصرة: ٤٢.
٦ - أمالي الصدوق: ٦١٥- ٦١٦ / ٨٤٣/ ١.

عصمة الأئمة تتَّضحُ من كونهم أقران القرآن، إذ إنَّ عدم الافتراق بينهما يعني أنَّ الأئمة لا يرتكبون المعصية، وهذا يؤكِّد اتصافهم بالعصمة. وأيضًا، العقل يدرك وجوب عصمة الإمام المعيّن من الله، فالله أمر بطاعتهم مطلقاً في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩). ويشمل هذا جميع الأئمة (عليهم السلام) الذين أمر الله بطاعتهم، كما ورد عن الحسين بن أبي العلاء، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الأوصياء طاعتهم مفترضة؟ فقال: "نعم، هم الذين قال الله عنهم: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(النساء: ٥٩) ، وهم أيضاً من وصفهم في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ (المائدة: ٥٥)"[٧].

أما إذا كان الإمام غير معصوم، فقد يعني هذا إمكانية ارتكابه الذنب، وسيكون على الناس اتِّباعِه حتى في الخطإِ، لأنَّهم مأمورون بطاعته. ولكن ذلك يؤدِّي إلى لزوم الباطل، وهو اتِّباع القائد في ارتكاب المعصية، وهو ما يناقض النصوص القرآنية الصريحة، مثل: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ (الأنعام: ١٥١) و﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ﴾ (الأعراف: ٣٣)، ممَّا يدلُّ على بطلان فرضية أنَّ الإمام غير معصوم.

وهذه العصمة تعني أنَّ أفعالَ القائدِ المعصومِ المعيَّنِ من الله كلُّها حقٌّ، وتقتضي طاعة مطلقة، ممَّا يجعل طاعته سبباً لنيل رضى الله.

بناءً على ذلك، فإنَّ القيادة الإلهية في دولة آخر الزمان تتميَّزُ بدقة قراراتها وبعدها عن الأهواء، مما يجعلها تحقق العدل وتضع الشخص المناسب في المكان المناسب. ومن هنا، نجدها تتسع وتنتصر يوماً بعد يوم، حتى تملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، إن شاء الله.

٧- الكافي ١: ١٨٩ / ١٦.

٣- العلم الشامل للإمام ، إنَّ للإمام علم واسع يحيط بكل ما حوله، ويشمل معرفته بمجتمعه وغيره، بل وحتى بلغات البشر والجن والحيوانات، كما تشير الآية الكريمة: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ (يس: ١٢). ومن الروايات، قال سدير الصيرفي: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) وقد اجتمع على مالي [٨] بيان فأحببت دفعه إليه، وكنت حبست منه ديناراً لكي أعلم أقاويل الناس، فوضعت المال بين يديه، فقال لي: «يا سدير خنتنا، ولم ترد بخيانتِك إيَّانا قطيعتَنا»، قلت: جعلت فداك وما ذلك؟ قال: «أخذت شيئاً من حقنا لتعلم كيف مذهبنا»، قلت: صدقت جعلت فداك؛ إنَّما أردت أن أعلم قول أصحابي، فقال لي: «أما علمت أنَّ كل ما يحتاج إليه نعلمه وعندنا ذلك، أما سمعت قول الله تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾، اعلم أنَّ علم الأنبياء محفوظ في علمنا مجتمع عندنا، وعلمنا من علم الأنبياء، فأين يذهب بك»؟ قلت: صدقت جعلت فداك [٩].

العنصر الثاني: أنصار الإمام (عجل الله فرجه الشريف)

كل ثورة، سواء كانت صغيرة أو عظيمة، تعتمد على عنصرينِ رئيسيَّينِ:

قائد الثورة: وقد تحدثنا عنه في العنصر الأول.

أنصاره وأعوانه، وهم الذين يدعمون القائد في حركته ونضاله.

هذا الأمر بديهي وثابت، كما أشار إليه الإمامُ عليٌّ (عليه السلام) في قوله: "لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها" [١٠]، حيث وضح أهمية القائد وأنصاره بشكل لا لبس فيه.

٨ – في البحار: ج٤٧، ص١٣٠: [اجتمع إليّ ماله فأحببت دفعه إليه]
٩ – مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٣٥٤.
١٠ – نهج البلاغة خطبة (٣): ٦.

أما بالنسبة لأنصار الإمام الحجة (عجل الله فرجه)، فقد جاءت الرِّوايات لتؤكِّدَ أنَّ عددهم يبلغ ثلاثمائة وثلاثة عشر، وهم عنصر أساسي في تثبيت أركان دولة الحق في آخر الزمان.

> وعليه، فمن الضروري التعرف عليهم وتأمُّل النصوص الشرعية التي وردت في حقهم؛ فقد ذكرت الروايات أوصافهم بدقة، ولمعرفة صفاتهم لا يمكننا الاعتماد إلا على تلك النصوص، لأنَّهم بالنسبة لنا أمرٌ غيبيٌّ، والتكهن بهم بعيد عن الصواب إذا لم يستند إلى الرِّوايات.

وعند مراجعة الأحاديث والرِّوايات، نجدها تتناول أوصاف هؤلاء الأنصار من عدة جوانب ومحاور، تساعدنا في فهم دورهم وصفاتهم في دولة الإمام المنتظر.

المحور الأول: صفاتهم الشخصية

١. غالبية الأنصار من الشَّباب: يُوصَفُ أنصارُ الإمام المهديِّ (عجل الله فرجه) بأنَّهم في الغالب من الشباب، مع وجود عدد قليل جداً من الكهول بينهم. وقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: "شباب لا كهول فيهم إلا كالكحل في العين [١١] مما يعني أنَّ الكهول بينهم نادرون، كما يبرز الكحل في العين دون أن يغلب عليها.

٢. يحملون سيوفاً مميزة كُتبت عليها أسماؤهم وأنسابهم وصفاتهم [١٢]، وهذه السيوف ليست مجرد أسلحة، بل تعتبر من مصادر العلوم والمعرفة التي يتمتَّعُ بها قادة الجيش المبارك. فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): "عليهم سيوف مكتوب عليها ألف كلمة، كل كلمة مفتاح ألف كلمة" [١٣]، مما يشير إلى أنَّ هذه السيوف تحتوي على علوم عظيمة تمكِّنُهم من التوجيه والتخطيط في مهماتهم.

١١ – الغيبة للطوسي: ٤٧٦ / ٥٠١؛ بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٣– ٣٣٤ / ٦٣.
١٢ – الغيبة للنعماني: ٣١٣ / ٥.
١٣ – الغيبة للنعماني: ٣١٤ / ٧.

٣ . إنَّهم من أصول وأماكن متفرقة إذ لا يجتمع هؤلاء الأنصار في مكان أو بلد واحد، بل ينتمون إلى مناطق مختلفة من الأرض، ويجمعهم الله في مكة بإذنه وقدرته. وقد ورد عن رسول الله (ﷺ): "يجمع الله له من أقاصي البلاد، على عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً [١٤] ، وهذا التنوع الجغرافي يعني أنَّ الأنصار يختلفون في الشكل واللون واللغة والعادات. ومع ذلك، فإنَّهم متوافقون ومتآلفون إلى حدٍّ يجعلهم كأنَّهم "من أب واحد، وأم واحدة" [١٥]، كما وصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام)، دلالة على ترابطهم ووحدة هدفهم وتآلفهم كأفراد الأسرة الواحدة.

٤- هناك عدة آيات من القرآن الكريم ذكرها الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في بيان أوصاف أنصار الإمام (عجل الله فرجه) وبعض ما يتعلَّقُ بهم، ومن ذلك:

أ - قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرِينَ﴾ (المائدة: ٥٤)، كما ورد وصفهم بذلك في الرِّواية الشريفة عن سليمان بن هارون العجلي قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إنَّ صاحب هذا الأمر محفوظة له أصحابه، لو ذهب الناس جميعاً أتى الله له بأصحابه، وهم الذين قال الله (عزوجل): ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] وهم الذين قال الله فيهم: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] [١٦].

ب - قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ﴾ (الأنعام: ٨٩)، تشير هذه الآية الكريمة والتي يذكرها الإمام

١٤ - الخرائج والجرائح ٢: ٥٥٠-٥٥١ / ١١.
١٥ - مجمع النورين: ٣٣٠.
١٦ - الغيبة للنعماني: ٣١٦ / ١٢.

الصادق (عليه السلام) (٤٠)[١٧] في حق أنصار الإمام (عجل الله فرجه) إلى حقيقة إيمان وأنصار الإمام (عجل الله فرجه)، حيث تبيّن اعتقادهم الثابت وإيمانهم العميق بالإسلام الحقيقي. فهي تؤكِّدُ أنَّهم لا يخرجون عن دائرة الإيمان، بل هم مؤمنون بتوحيد الله تعالى، فلا يشركون به حتى في المعاصي. كما تقول الآية الكريمة: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦)، وتؤكِّدُ كذلك: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٩٩-١٠٠)، حيث يبيِّنُ أنَّ الشيطان بعيد عنهم ولا سلطان له عليهم. كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الرِّواية: «وهم وحّدوا الله حق توحيده»[١٨]، مما يوضح درجة إيمانهم والتزامهم بتوحيد الله.

أما في ما يتعلَّقُ بالعبادة، فإنَّ هؤلاء الأنصار يتَّسمون بالتفاني في طاعة الله سبحانه وتعالى. فهم يلتزمون بالصِّيام في نهارهم ويقومون اللَّيل بخشوع، كما ورد في رواية أمير المؤمنين (عليه السلام): «لهم في الليل أصوات كأصوات الثواكل من خشية الله تعالى، قيام في ليلهم، وصوّام في نهارهم»[١٩]، مما يعكس عمق إيمانهم وعبادتهم الصادقة لله.

ج - قوله تعالى: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ (هود:٨٠)، وفي تفسير هذه الآية ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قوله: «﴿قُوَّةً﴾: القائم، و﴿رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾: ثلاثمئة وثلاثة عشر من أصحابه»[٢٠].

١٧ - الغيبة للنعماني: ٣١٦ / ١٢، وتقدمت في المحور الأول نقطة رقم (٤) الرواية، فراجع.
١٨ - مجمع النورين: ٣٣٠
١٩ - المصدر نفسه.
٢٠ - تفسير العياشي ٢: ١٥٦- ١٥٧ / ٥٥؛ بحار الأنوار ١٢: ١٧٠ / ٣٠.

هـذه الآيـة تـبرز القـوة والشـجاعة البالغـة لأصحـاب الحجـة (عليهم السلام)، فهـم شـجعانٌ كـما الأسـود، قلوبهـم صلبـة كالحجـر في قوتهـا وصلابتهـا. وقـد وصـف أمـير المؤمنـين (عليه السلام) شـجاعة الأنصـار قائـلاً: «كأنَّهـم ليـوثٌ خرجـوا مـن غـاب، قلوبهـم مثـل الحديـد، لـو أرادوا إزالـة الجبـال الـرواسي لأزالوهـا مـن أماكنها»[٢١].

د – قولـه تعـالى: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنـا عَنْهُمُ العَـذابَ إِلى أُمَّةٍ مَعْـدُودَةٍ﴾ (هود:٨)، هـذه الآيـة تحتـوي عـلى دلالتـين أساسـيتين: الأولى، الوعـد الإلهـي بظهـور الأمة القويـة التـي تكـون السـبب في نـصرة ديـن الله وإقامـة الحـق والعـدل في الأرض. الثانيـة، تحديـد عـدد هـذه الأمـة القويـة بثلاثمئـة وثلاثـة عـشر، لا يزيـدون ولا ينقصـون، كـما ورد عـن الإمـام الباقـر (عليه السلام): «يعني أصحـاب القائـم، الثلاثمئة والبضعـة عـشر رجـلاً، وهـم والله الأمة المعـدودة»[٢٢]

هـ – قولـه تعـالى: ﴿وَلِـكُلٍّ وِجْهَـةٌ هُـوَ مُوَلِّيهـا فَاسْـتَبِقُوا الخَـيْراتِ أَيْـنَ مـا تَكُونُـوا يَـأْتِ بِكُـمُ اللهُ جَمِيعـاً﴾ (البقـرة: ١٤٨)، هـذه الآيـة تشـير إلى كيـف أنَّ الله سـبحانه وتعـالى يجمـع أصحـاب القائـم (عليه السلام) مـن أماكـن شـتَّى، فيجمعهـم ويـأتي بهـم جميعـاً، وهـو مـا ورد في روايـة عـن الإمـام الصـادق (عليه السلام) حيـث قـال: «إذا أُذِنَ الإمـامُ دعـا الله باسـمه العـبراني، فيأتيـه صحابتـه الثلاثمئـة وثلاثـة عـشر، يتسـاقطون كأوراق الخريـف، وهـم أصحـاب الألويـة، منهـم مـن يُنتـزَعُ مـن فراشـه ليـلاً ويصبـح في مكـة، ومنهـم مـن يـراه النـاس يسـير في السـحاب نهـاراً، يعرفـون باسـمه واسـم أبيـه ونسـبه»، فسـألت الإمـام: أيُّهـم أعظـمُ إيمانـاً؟ فقـال: «الـذي يسـير في السـحاب نهـاراً، وهـم المفقـودون، وفيهـم نزلـت هـذه الآيـة: ﴿أَيْـنَ مـا تَكُونُـوا يَـأْتِ بِكُـمُ اللهُ جَمِيعـاً﴾ (البقـرة: ١٤٨)[٢٣]

٢١ – مجمع النورين: ٣٣٠.
٢٢ – الكافي ٨: ٣١٣/ ٤٨٧؛ بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٨/ ٢٦.
٢٣ – الغيبة للنعماني: ٣١٢/ ٣.

ومن هذه الآيات والتفسير الوارد، نستخلص عدة صفات لأصحاب الإمام (عجل الله فرجه) وهي :

١ – هم وعد إلهي لا محالة

٢ – هم أحباءُ اللهِ ورسولِه، ويحبون الله ورسوله، فهم الصفوة من المؤمنين.

٣ – هم رحماء بينهم ومتآلفون، شديدون على الكفر والكافرين، لا يتنازلون عن دينهم.

٤ – هم مؤمنون بإيمان حقيقي، كما ورد في الرِّوايات: «محضوا الإيمانَ محضاً» [٢٤]

٥ – لديهم من الشجاعة والقوة ما يمكِّنُهم من إزالة الجبال الراسيات لو أرادوا.

٦ – عددهم محصور بعدد معيَّنٍ (ثلاثمئة وثلاثة عشر)، لا يزيد ولا ينقص، وهم أمة معدودة.

المحور الثاني: محلهم من دولة الإمام (عجل الله فرجه):

تؤكِّدُ الرِّوايات أنَّ هؤلاء الأنصار – الذين تمَّ وصفهم سابقاً – ليسوا مجرد أتباع عاديين، بل هم القادة الأفذاذ الذين يفتح الله بهم الأرض كلها. هم لا يُعدّون من الجيش الذي يقاتل تحت إمرة الإمام (عجل الله فرجه)، بل هم الأساس الذي تقوم عليه دولة آخر الزمان. كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «فهم أصحاب الألوية»[٢٥] ، أي أنَّهم هم القيادات التي ترفع الرَّايات وتتصدر الصفوف.

٢٤ – الكافي ٢: ٤٢٥ / ٣، و٣: ٢٣٥ / ١؛ مختصر بصائر الدرجات: ٤٣.
٢٥ – الغيبة للنعماني: ٣١٢ / ٣.

يُعتبر هؤلاء الأنصار النواة الأولى لبناء دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، حيث أنَّ القادة المخلصين لهم دور محوري في تشكيل هذه الدولة، لا سيما في مرحلة التمكين ونشر العدل والحق في الأرض. لا يخفى ما لتفاني هؤلاء القادة من تأثير عميق في بناء هذه الدولة المنتظرة، والتي سيكونون هم حجر الأساس فيها، محققين بذلك وعد الله في إقامة العدل بعد انتشار الظلم.

المحور الثالث: كيفية اجتماعهم في مكة:

عندما نتأمَّلُ في الرِّوايات الواردة في أنصار الإمام (عجل الله فرجه) والتي تتحدث عن اجتماعهم ولقائهم الإمام (عجل الله فرجه)، نجدها تذكر ذلك في عدة نقاط، منها:

النقطة الأولى: دعاء الإمام الحجة (عجل الله فرجه)، فإذا دعا الله باسمه اجتمع له أصحابه كما ورد في الرواية الشريفة عن الإمام الصادق (عليه السلام): «دعا الله باسمه العبراني فأتيحت له صحابته الثلاثمئة وثلاثة عشر»[٢٦].

النقطة الثانية: إنَّ مجيء الأنصار هو بنحو متفرق زرافة تلو أخرى، وهذا ما استفاضت به الرِّوايات بأنَّهم: «قزع كقزع الخريف»[٢٧]، كما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّه قال: «ثم يجتمعون قزعاً كقزع الخريف من القبائل، ما بين الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة والخمسة والستة والسبعة والثمانية والتسعة والعشرة»[٢٨]

النقطة الثالثة: إنَّ وصول الأنصار إلى مكة – على اختلاف بلادهم وبعد مدنهم – له طرق متعددة:

٢٦ – الغيبة للنعماني: ٣١٢/ ٣.
٢٧ – قال المازندراني: (القزع بالتحريك: السحاب المتقطع والواحدة بهاء، وخصه بالخريف لأنه أسرع فيه حركة واجتماعاً) [شرح أصول الكافي ١٢: ٤٣٧]
٢٨ – الغيبة للنعماني: ٣١٢/ ٢.

أ – بعضهم يشد رحال السفر نحو مكة ويسافر كما يسافر الناس عندما يرى العلامات اجتمعت، كما ورد في الرواية: «فمن كان ابتلي بالمسير وافى في تلك الساعة»[٢٩]، ولم تذكر الرِّوايات كم يستغرقون من الزمان في سفرهم هذا..

ب – وبعضهم يفقد من فراشه ليلاً، أي إذا أوى إلى فراشه ونام تلك الليلة نقله الله بقدرته إلى مكة، وهو ما فسرت به الآية الشريفة: ﴿أَيْنَ ما تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً﴾ (البقرة: ١٤٨) في الرِّوايات العديدة[٣٠].

ج – وبعضهم يأتي مشياً على السحاب حتى تراه الناس وهو أفضلهم، فقد ورد عن المفضل بن عمر عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «إذا أذن الإمام دعا الله باسمه العبراني، فأتيحت له صحابته الثلاثمائة وثلاثة عشر، قزع كقزع الخريف، فهم أصحاب الألوية، منهم من يفقد من فراشه ليلاً فيصبح بمكة، ومنهم من يرى يسير في السحاب نهاراً، يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه»، قلت: جعلت فداك، أيُّهم أعظم إيماناً؟ قال: «الذي يسير في السحاب نهاراً»[٣١].

النقطة الرابعة: ثم بعد أن يصل الجميع إلى مكة المكرمة، فإنَّهم يلتقون ويجتمعون عند الإمام في المسجد الحرام في ساعة واحدة ومن دون موعد مسبق، فقد ورد عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «يجتمعون والله في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف»[٣٢].

٢٩ – الغيبة للنعماني: ٣١٤ / ٦.
٣٠ – الكافي ٨: ٣١٣ / ٤٨٧؛ الاختصاص: ٢٥٧؛ الغيبة للنعماني: ٣١٢/ ٣ و٣١٣/ ٤ و٣١٤/ ٦.
٣١ – الغيبة للنعماني: ٣١٢ / ٣.
٣٢ – الكافي ٨: ٣١٣ / ٤٨٧.

المحور الرابع: ابتلاء أنصار الإمام القائم (عجل الله فرجه):

على الرغم من المنزلة الرفيعة التي يتمتَّعُ بها أصحاب الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وما لهم من إيمان تام كما تم توضيحه سابقًا، إلَّا أنَّ هؤلاء الأنصار لا يُستثنون من قانون الابتلاء والاختبار، وهو قانون إلهي عام يشمل الجميع، حتى أولئك الذين بلغوا أعلى مراتب الإيمان. فقد قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (هود: ٧؛ الملك: ٢)، وهذا يعني أنَّ الاختبار جزء لا يتجزأ من الحياة الدنيا، حتى وإن كان الإنسان في أعلى درجات الإيمان.

وقد ورد هذا المعنى في العديد من الرِّوايات، ومنها ما نقل عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) حيث قال: «والله لتُمحِّصَنَّ، والله لتُميِّزَنَّ، والله لتُغربلَنَّ حتى لا يبقى منكم إلا الأندر»، فقيل له: وما الأندر؟ فقال: «البيدر، وهو: أن يدخل الرجل فيه الطعام يطيِّنُ عليه، ثم يخرجه قد أكل بعضه بعضاً، فلا يزال ينقيه ثم يكنُّ عليه، ثم يخرجه حتى يفعل ذلك ثلاث مرات، حتى يبقى ما لا يضره شيء»[٣٣].

ومن حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لابد للناس من أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا، ويخرج من الغربال خلق كثير»[٣٤]. وهذه الرِّوايات تؤكِّد أنَّ الابتلاء والتمحيص جزء لا يتجزأ من تجربة الأنصار، ولا يُستثنى منهم أحد.

لكنَّ الابتلاء يختلف باختلاف المراحل، فابتلاء أنصار الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يختصُّ بمرحلة الفتوح، كما يتبيَّنُ من الرِّوايات التي تحدثت عن

٣٣ - تفسير العياشي ١: ١٩٩ / ١٤٦.
٣٤ -الغيبة للنعماني: ٢٠٤-٢٠٥ / ٧.

أصحاب النبي داود (عليه السلام) الذين كان عددهم ثلاثمئة وثلاثة عشر[٣٥]، حيث ذكر القرآن الكريم أنَّهم ابتلوا بنهر أثناء مسيرتهم لقتال جالوت، فقال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ (البقرة: ٢٤٩-٢٥١). هذه الحادثة هي نموذج للاختبار الذي خضع له أصحاب النبي داود، وكان امتحانهم في صبرهم وتوحيدهم في مواجهة التحديات.

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق (عليه السلام) ذكر أنَّ أصحاب الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) سيواجهون ابتلاء مشابهًا لذلك، فقد روى أبو بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «إنَّ أصحاب طالوت ابتلوا بالنهر الذي قال الله تعالى: ﴿مُبْتَلِيكُمْ بِالنَّهَرِ﴾، وإنَّ أصحاب القائم (عليه السلام) يبتلون بمثل ذلك»[٣٦].

هذه العبارة في نهاية الحديث تشير إلى أنَّ ابتلاء أصحاب الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) سيكون مشابهًا لذلك الابتلاء الذي خضع له أصحاب طالوت.

> **إذن، الابتلاء ليس مجرد اختبار عابر، بل هو جزء أساسي من مسار هؤلاء الأنصار نحو الإعداد الفعلي لدورهم الكبير في مرحلة الفتح الذي سيشهده العالم عند ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف).**

٣٥ - مجمع النورين: ٣٣٠.
٣٦ - الغيبة للنعماني: ٣١٦ / ١٣؛ الغيبة للطوسي: ٤٧٢ / ٤٩١.

هـذا الابـتلاء يتطلـب منهـم الثبـات والإيمان الراسـخ، لأنَّهـم سـيتعرضون لاختبـارات عظيمـة في مرحلـة الفتـوح والانتصـار، وكل اختبـار سـيزيدهم تقـوى وصبرًا في مسيرتهـم نحـو الـنصر الإلهـي.

العنصر الثالث: الوعد الإلهي:

إنَّ الله (وعجل) إذا وعـد عبـاده بـشيء فإنَّـه ﴿لا يُخْلِفُ المِيعادَ﴾ (آل عمران:٩؛ الرعـد: ٣١)، كـما بيَّنـه (جلَّ شـأنه) في الكتـاب العزيـز وبمضامـين مختلفـة [٣٧]، بمعنـى أنَّ الله إذا قطـع عـلى نفسـه وعـداً معينـاً فإنَّـه سـوف يفـي بـه ولـو بعـد حـين ، ولكـن وفـاءه تابـع لمشـيئته، فمتـى شـاء صـدر الوفـاء بالوعـد، فهـو (وعجل) لا يخلـف ميعـاده أبـداً.

في القـرآن الكريـم، وعـد الله تعـالى بوعـده بالـنصر وظهـور الحـق ووراثـة الأرض للمؤمـنين في آخـر الزمـان. هـذا الوعـد حـق لا ريـب فيـه، كما قـال تعـالى: ﴿غَيْرُ مَكْـذُوبٍ﴾ (هـود: ٦٥).

> وقد فسر أهل البيت (عليهم السلام) هذا الوعد على أنه يتحقق عند ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في عدة روايات.

ومن هذه الرِّوايات:

١- قـال تعـالى: ﴿وَلَقَـدْ كَتَبْنـا فِي الزَّبُـورِ مِـنْ بَعْـدِ الذِّكْـرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهـا عِبـادِيَ الصَّالِحُـونَ﴾ (الأنبيـاء: ١٠٥). هـذه الآيـة الكريمـة تـشير إلى وعـد الله تعـالى في نهايـة الزمـان بـأنَّ زمـام الأمـور سـيكون بيـد عبـاد الله الصـالحين، الذيـن سـيقيمون دولـة الحـق بعـد فترة مـن

٣٧ – وقد ورد بهذا المضمون – ﴿لا يُخْلِفُ المِيعادَ﴾ – عدة آيات في الكتاب العزيز تؤكد على أن الله لا يخلف وعده: (آل عمران: ١٩٤، الرعد: ٣١، الزمر: ٢٠)، وورد في آيات أخرى بمضمون اخر ﴿إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ﴾ في عشرة مورد من القران: (يونس: ٥٥، الكهف: ٢١، القصص: ١٣، الروم: ٦٠، لقمان: ٣٣، فاطر: ٥، غافر: ٥٥ و٧٧، الجاثية: ٣٢، الأحقاف: ١٧).

الظلم والقهر، وهذا هو المقصود من وراثتهم للأرض. وقد ورد هذا الوعد في الكتب السماوية السابقة للقرآن، مثل الزبور الذي أُعطيَ لداود (عليه السلام)، وفي التوراة لدى اليهود، وفي الإنجيل لدى المسيحيين، وحتى عند الزرادشتية[٣٨]. وتؤكِّدُ هذه الآية مع الرِّوايات المرفقة أنَّ المقصود من «عبادي الصالحين» في الآية هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وأتباعه، كما ورد عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام): «قوله (عز وجل): ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾: هم أصحاب المهدي (عجل الله فرجه) في آخر الزمان»[٣٩]. كما ورد عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) أيضاً: «إنَّ ذلك وعدٌ للمؤمنينَ بأنَّهم يرثونَ جميعَ الأرضِ»[٤٠].

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي، قال: «وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، قال: «الكتب كلها ذكر»، و﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، قال: «القائم (عليه السلام) وأصحابه»»[٤١].

حتى وإن قيل إنَّ هذه الرِّوايات غير صحيحة سندًا، فإنَّها مدعومة بروايات متواترة من حيث المعنى وتؤكِّدُ أنَّ الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وأتباعه سيقيمون دولة الحق في آخر الزمان. ولا يمكن لأحد أن يناقش تواتر هذه الرِّوايات، حيث إنَّها تتجاوز حد التواتر، وبالتالي فهي موثوقة ولا شك في صحتها. حتى إذا اعتبرنا الرِّوايات ضعيفة سندًا، فإنَّ ما ورد صراحة في الآية من وعد إلهي بحكم الصالحين يكفي كدليل، وتصبح الرِّوايات تدعيمًا لهذا المعنى، مما يجعل النقاش حولها غير ذي جدوى.

---

٣٨ الديانة الزرادشتية: هي نظام عقائدي بشر به زرادشت بين عامي ١٥٠٠ و١٠٠٠ ميلادي. كان زرادشت كاهنًا من بلاد فارس القديمة، ادعى أنه تلقى الوحي من أهورا مزدا.
٣٩ – تفسير مجمع البيان ٧: ١٢٠، تفسير البرهان ٥: ٢٥٧ / ٥، بحار الأنوار ١٤: ٣٣.
٤٠ – التبيان ٧: ٢٨٤.
٤١ – تفسير القمي ٢: ٧٧.

٢ – قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص: ٥ – ٦).

هذه الآية الشريفة أيضاً تؤكد الوعد الإلهي بالمنِّ على الذين استضعفوا في هذه الأرض، وإنَّ الله تعالى سوف يجعلهم خلفاء في الأرض ويمكِّن لهم في كل شيء، وإنَّه تعالى سوف يري الطغاة من هؤلاء ما لم يحتسبوا، كغلبتهم وهدم عروشهم وزوال ملكهم.

وقد ورد في تفسير هذه الآية عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أنَّهما قالا: «إنَّ هذه الآية مخصوصة بصاحب الأمر الذي يظهر في آخر الزمان ويبيد الجبابرة والفراعنة، ويملك الأرض شرقاً وغرباً، فيملأها عدلاً كما مُلِئَتْ جوراً»[٤٢].

٣ – قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ﴾ (غافر: ٥١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الغالِبُونَ﴾ (الصافات: ١٧١–١٧٣).

وقوله: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥ – ٥٦).

وقوله: ﴿أُولئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: ٢٢).

٤٢ – تفسير البرهان ٦: ٥٨ / ١٣

هـذه الآيـات الشريفـة تؤكـد على الوعـد الإلهـي بالـنصر والغلبـة لأنبيائـه ورسـله وللمؤمـنين على الطغـاة بشـكل تـام، بحيـث تكـون لهـم السـطوة في الأرض، وبهـم تـكسر شـوكة الكفـر وأهلـه، وينتعـش الإسلام وأهلـه.

> فهـذه النصـوص الشريفـة تؤكـد النصر والغلبـة والفـلاح لحـزب الله المؤمنـين بـه حـق الإيـمان، والمطيعـين لـه حـق الطاعـة، وإلّا في الحقيقـة هـم ليسـوا حزبـاً كباقـي الأحـزاب المنظّمـة، وإنـمّا الله تعـالى أطلـق عليهـم ﴿حِـزْبُ اللهِ﴾.

وقـد ورد - في بيـان زمـان الـنصر الموعـود بـه المؤمنـون - في الروايـة عـن جميـل بـن دراج عـن أبي عبـد الله (عليه السلام) قـال: قلـت لـه: قـول الله (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّـا لَنَـنْصُرُ رُسُـلَنا وَالَّذِيـنَ آمَنُـوا فِي الحَيـاةِ الدُّنْيـا وَيَـوْمَ يَقُـومُ الأَشْـهادُ﴾ [غافـر: ٥١]، قـال: «ذلـك والله في الرجعـة، أمـا علمـت أنَّ أنبيـاء الله كـثيراً لم يـنصروا في الدنيـا وقتلـوا، وأئمـة قـد قتلـوا ولم يـنصروا، فذلـك في الرجعـة»[٤٣].

٤ - قولـه تعـالى: ﴿يُرِيـدُونَ لِيُطْفِـؤُوا نُـورَ اللهِ بِأَفْواهِهِـمْ وَاللهُ مُتِـمُّ نُـورِهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الكافِـرُونَ * هُـوَ الَّـذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَهُ بِالهُـدى وَدِيـنِ الحَـقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَـلَى الدِّيـنِ كُلِّـهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْمُشْرِكُـونَ﴾ (الصف: ٨ - ٩).

وقولـه: ﴿يُرِيـدُونَ أَنْ يُطْفِـؤُوا نُـورَ اللهِ بِأَفْواهِهِـمْ وَيَأْبَـى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِـمَّ نُـورَهُ وَلَـوْ كَـرِهَ الكافِـرُونَ﴾ (التوبـة: ٣٢).

وقوله: ﴿لِيُحِقَّ الحَقَّ وَيُبْطِلَ الباطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال: ٨).

هـذه الآيـات المباركـة تشـير إلى أنَّ الديـن الإسـلامي - الـذي جـاء بـه النبـي (صلى الله عليه وآله) وهـو ديـن الهـدى والصـلاح، الـذي واجهـه الكفـار بالرفـض والمحاربـة،

٤٣ - مختصر بصائر الدرجات: ١٨.

وسعوا جاهدين لإبطاله وقتل كلمة الحق - شاء الله له أن لا يبطل ولا يندرس وأن ينتشر، بل وأكثر من ذلك فإنَّه تعالى وعد نبيه (صلى الله عليه وآله) بأنَّ الإسلام سوف يكون هو الدين الظاهر والعالي على كل الديانات، رغماً على أنوف الكفرة والمعارضين له.

وهذا ما تؤكِّدُه جملة من الروايات المستفيضة بقولهم (عليهم السلام): «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً»[٤٤]، فإنَّ الامتلاء بالعدل هو عبارة أخرى عن انتشار الإسلام وبطلان الكفر وأهله.

وقد ورد تفسير هذه الآية ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا﴾ في عدة من الروايات بأنَّها في القائم المنتظر (عجل الله فرجه)، ومن ذلك:

ما رواه محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) أنَّه قال: سألته عن قول الله (عز وجل): ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾؟ قال: «يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بأفواههم»، قلت: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾؟ قال: «والله متم الإمامة؛ لقوله (عز وجل) ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن: ٨] فالنور هو الإمام»، قلت: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾؟ قال: «هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه، والولاية هي دين الحق»، قلت: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾؟ قال: «يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم»، قال: «يقول الله: ﴿وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ ولاية القائم، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ بولاية علي». قلت: هذا تنزيل؟ قال: «نعم، أمّا هذا الحرف فتنزيل، وأمّا غيره فتأويل»[٤٥].

٤٤ - الإمامة والتبصرة: ١١٩-١٢٠ / ١١٤؛ علل الشرائع ١: ١٦٠ / ٣؛ كفاية الأثر: ٤٧؛ مسند أحمد ٣: ٢٧؛ سنن أبي داود ٢: ٣٠٩ / ٤٢٨٢.
٤٥ -الكافي ١: ٤٣٢ / ٩١

ومنها: ما ورد عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في قول الله (عز وجل): ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، فقال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم (عليه السلام)، فإذا خرج القائم (عليه السلام) لم يبقَ كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالإمام، إلّا كره خروجه حتى أن لو كان كافراً أو مشركاً في بطن صخرة لقالت: يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله»[٤٦].

ومنها: ما قاله الشيخ الطوسي في التبيان: (وفي الآية دلالة على صدق نبوته (صلى الله عليه وآله)؛ لأنَّها تضمنت الوعد بظهور الإسلام على جميع الأديان، وقد صح ظهوره عليها، وقال أبو جعفر (عليه السلام): «إنَّ ذلك يكون عند خروج القائم (عليه السلام)»)[٤٧].

إذًا: لا ريب ولا شك في أنَّ الله تعالى قد وعد نبيه (صلى الله عليه وآله) في كتابه الكريم في عدة من الآيات المختلفة لساناً والمتحدة مضموناً، بأنَّ الله تعالى سوف يظهر دين الإسلام، وينصر المؤمنين ويجعلهم خلفاء في الأرض، ويكسر شوكة الكافرين ويذلهم شر ذلة على يد وليه المنتظر (عجل الله فرجه)، وهذا الوعد واقع لا محالة.

العنصر الرابع:

من الأمور المهمة التي ستحدث في زمان الظهور هي الرجعة، التي تعني: رجوع بعض الأموات إلى الدنيا بعد وفاتهم، وهم الذين كانوا مخلصين في إيمانهم أو مخلصين في كفرهم. وقد دلّت عليها العديد من الأدلة من الكتاب والسنة الشريفة، كما في قصة نبي الله أيوب (عليه السلام)، وعزير (عليه السلام)، وأصحاب الكهف، وغيرهم.

٤٦ -كمال الدين: ٦٧٠ / ١٦؛ تفسير نور الثقلين ٢: ٢١١ / ١٢٢.
٤٧ - التبيان ٥: ٢٠٩.

وقد تناولت الروايات الرجعة بشكل مفصل، ومنها ما ورد عن أبي محمد، أي أبا بصير، قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): «ينكر أهل العراق الرجعة؟» فقلت: نعم. فقال: «أما يقرؤون القرآن ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ [النمل: ٨٣]؟»[٤٨].

إذًا، يعدّ الرجعة من أهم عناصر القوة في دولة آخر الزمان، إذ سيعود المعصومون إلى الدنيا بعد وفاتهم أو قتلهم من أجل دعم حكومة صاحب الزمان (عجل الله فرجه) في حال قيامه بالأمر بإذن الله تعالى.

> وقد حددت الروايات الذين سيرجعون في زمان الظهور المبارك، ومنهم: النبي (صلى الله عليه وآله)، والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وأصحاب الحسين (عليه السلام). وقد ورد في بعض الروايات أنَّهم سيقومون ببعض المهام التي تثبِّتُ أركان دولة الحق في آخر الزمان، مثل الخوض في الحروب دفاعاً عن الدين، والحكم في بعض بقاع الأرض، وغير ذلك.

فإذا كانت الدولة تحت قيادة إمام معصوم مفترض الطاعة ومبسط اليد، وكان معه أيضاً عدد من آبائه المعصومين، فإنَّ تلك الدولة ستكون في منتهى القوة والصلابة. وتزداد هذه القوة إذا لاحظنا نزول عيسى (عليه السلام)، وظهور الخضر (عليه السلام)، وغيرهم من الأنبياء والصالحين، الذين سيقومون بمساندة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في مهمته الكبرى.

٤٨ – مختصر بصائر الدرجات: ٢٥؛ المنتهى ١: ٢٤١.

العنصر الخامس: منجزات دولة آخر الزمان:

المنجز الأوّل:

كسر شوكة الكفر والنفاق، فإنَّ الكفار والمنافقين، وأهل المعاصي، وأصحاب رؤوس الأموال، والمتنفذين، والأحزاب البعيدة عن الله ورسوله(ﷺ)، هؤلاء وغيرهم ممَّن عاثوا في الأرض فساداً، سوف لا يكون لهم موطئُ قدم في دولة آخر الزمان، وذلك لأنَّها دولة الأخيار ولا مجال فيها للفجار وغيرهم من الأشرار، كما يستفاد من قول النبي (ﷺ): «والله لو أنَّ الوضيع في قعر بئر لبعث الله (وعجل) إليه ريحاً ترفعه فوق الأخيار في دولة الأشرار» [٤٩]، وهذه الدولة التي يحكمها الإمام (عجل) هي دولة الأخيار فلا مجال للأشرار فيها أبداً.

هذا مضافاً إلى ما ورد في دعاء الندبة: «أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم أبنية الشرك والنفاق، أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان، أين حاصد فروع الغي والشقاق، أين طامس آثار الزيغ والأهواء، أين قاطع حبائل الكذب والافتراء، أين مبيد العتاة والمردة، أين مستأصل أهل العناد والتضليل والإلحاد، أين معز الأولياء ومذل الأعداء» [٥٠]، فتصل الحالة من الذل والهوان للكفار يتمنَّون أن يكونوا تراباً كما في قوله تعالى: ﴿يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾ (النبأ: ٤٠)، وعندها لا يجدون من يأويهم ولا أحد ينجيهم، فيسخّر الله عليهم كل شيء حتى الحجر كما في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يزال الحجر والشجر يقول: يا مؤمن تحتي كافر اقتله» [٥١].

٤٩ – من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٢.
٥٠ – إقبال الأعمال ١: ٥٠٩.
٥١ – معجم أحاديث المهدي ٣: ١٢٢-١٢٣.

المنجز الثاني:

هـو إجـراء حكـم داود وسـليمان (عليهما السلام)، أي: الحكـم عـلى الباطـن ومـا خفـي عـلى النـاس مـن دون أن يقـام عـلى الدعـوى حجـة وبينـة، وهـذا الحكـم لم يتـحْ لأحـدٍ مـن الأئمـة قبـل الإمـام الحجـة (عجل الله فرجه)، فإنَّـه (عجل الله فرجه) يحكـم بعلمـه لا بالبينـة التـي يجـوز عليهـا الكـذب والاشـتباه عقـلاً، وهـذا مـا نطقـت بـه عـدة مـن النصـوص:

عـن أبـان بـن تغلـب، عـن أبي جعفـر بـن محمـد (عليه السلام) أنَّـه قـال: «... ثـم يأمـر منادياً فينـادي: هـذا المهـدي يقـضي بقضـاء داود وسـليمان (عليهما السلام)، لا يسـأل عـلى ذلك بينـة»[٥٢].

عـن أبي عبـد الله (عليه السلام) أنَّـه قـال: «... ويبعـث الله الريـح مـن كل واد تقـول: هـذا المهـدي يحكـم بحكـم داود ولا يريـد بينـة»[٥٣].

وهـذا معنـاه: أنَّ المجـرم ينـال جـزاءه العـادل بـأسرع وقـت، ولا يشـفع لـه أنَّـه مـن الفرقـة الفلانيـة أو الحـزب الفـلاني، أو مخادعـة النـاس بأنَّـه تـاب أو عسـاه أن يتـوب.

ولا يخفـى مـا لهـذا الأمـر مـن أثـر عظيـم عـلى إجـراء القصـاص وسرعتـه مـن المجرمـين، والقضـاء عـلى الفسـاد ومادتـه، بحيـث يعـمُّ الأمـان عـلى البـشر، وينعمـون بدولـة لا مثيـل لهـا أبـداً.

٥٢ - الغيبة للنعماني: ٣١٣/ ٥.
٥٣ - الغيبة للنعماني: ٣١٤/ ٧.

المنجز الثالث:

انتعاش المجتمع اقتصاديًّا بعد أن عانى من مرارة العيش وقساوته، فبإذن الله تعالى، تخرج الكنوز، وتظهر الأرض بركاتها، وتنزل السماء قطرها، فتنبُت الأرض وتثمر الأشجار ببركة الإمام المهدي (عليه السلام). وقد ورد ذلك في عدة روايات، ومنها:

ما ورد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «... يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً، قال: يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي، أعطني أعطني، قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل»[٥٤].

ومنها ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنَّه قال: «يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدداً»[٥٥].

ومنه ما ورد عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «حدثني أبي، عن جدي، عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل قال فيه: ... ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولا خرجت الأرض نباتها»[٥٦].

وما ورد عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «... إذا قام قائمنا فإنَّه يقسم بالسوية ويعدل في خلق الرحمن، البر منهم والفاجر»[٥٧].

إذًا، تصل الحالة في العطاء من الأموال للمحتاجين إلى حدٍّ أن تُحثَى حثياً ولا تُعد عدداً، كما في الرواية السابقة، وهو ما يعبر عن انتعاش اقتصادي غير مسبوق في الدولة المهدوية.

٥٤ – شرح اصول الكافي ٦: ٢٥٦؛ بحار الأنوار ٥١: ٨٧؛ مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢١.
٥٥ – صحيح مسلم ٨: ١٨٥؛ الدر المنثور ٦: ٥٦.
٥٦ – الخصال: ٦٢٦.
٥٧ – علل الشرائع: ج١، ص١٦١، ح٣.

المنجز الرابع:

توحيد العالم على الدين الإسلامي الحنيف، فإنَّه من أهمِّ ما يقوم به إمامنا المنتظر (عجل الله فرجه)، حيث ينشر الإسلام فيعلو على كل الأديان، وهو ما وعد به الله تعالى في قوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (الصف: ٨ – ٩)، فإذا ظهر الدين الحق وتربع على عرش الأديان، بطلت كل البدع المخترعة، وانهارت صروح الضلالة والغواية، واندحر الكفر والنفاق، فيعيش الناس سعداء بنعمة الإسلام وبظل أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا ما يشير إليه قولهم(عليهم السلام): «يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

> فعندما تتوحد البشرية تحت راية الإسلام فإنَّ ذلك يعني بطلان كل المسميات والتحزبات والتكتلات، فيكون المجتمع ﴿صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ (الصف: ٤)، ويكون أيضاً ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)،

فعندها يكونون هم حزب الله الغالبون[٥٨] والمفلحون[٥٩].

المنجز الخامس:

هو قتل إبليس وانتهاء أمده في ظهور الإمام (عجل الله فرجه)، وهو اليوم المعلوم، فإنَّ الله تعالى عندما أمر إبليس بالسجود وعصى، طرده من الجنة، فعندها طلب إبليس من الله (عجل) أن يعطيه مهلة وفرصة بأن لا يميته إلى يوم القيامة، فلم يوافق الله تعالى على هذا الأمد وإنَّما أعطاه فرصة إلى الوقت المعلوم، كما ورد

٥٨ – المائدة: ٥٦
٥٩ – المجادلة: ٢٢

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٦-٣٨؛ ص: ٧٩-٨١).

وقد جاء بيان المراد من قوله: ﴿يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ في الرِّوايات الشريفة:

منها: ما ورد عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن إبليس قوله: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ أي يوم هو؟ قال: «يا وهب، أتحسب أنَّه يوم يبعث الله تعالى الناس؟ لا، ولكن الله (عزّ وجلّ) أنظره إلى يوم يبعث الله (عزّ وجلّ) قائمنا، فإذا بعث الله (عزّ وجلّ) قائمنا فيأخذ بناصيته ويضرب عنقه، فذلك ﴿يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ﴾ [٦٠].

وفي رواية أخرى[٦١]: «إنَّ الذي يقتله رسول الله (صلى الله عليه وآله)، بعد ما تدور بينه وبين أمير المؤمنين (عليه السلام) حرب ضروس، فعندها يأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويطعنه بحربة من نور فيقتله».

> وهذه الروايات وإن اختلف لسانها في صيغة قتل إبليس، ومن يقتله، وكيفية قتله، إلّا أنَّها متفقة على أنَّ إبليس يقتل في زمن الظهور المبارك، وتنتهي حياة الملعون الغوي الرجيم.

٦٠ - دلائل الإمامة: ٤٥٣ / ٤٣٠ / ٣٤
٦١ - مختصر بصائر الدرجات: ٢٦.

خاتمة:

إذا شاءت الأقدار وتوفرت شرائط الاقتدار، وأراد الناس أن ينهضوا بأعباء الدولة العادلة أو شبه العادلة، فعليهم أن يوفروا أسبابها ومقوماتها الأساسية التي لا بد منها، وهي كالتالي:

توفُّرُ الأنصارِ المؤمنينَ باللهِ ورسولِه المستميتينَ في سبيلِه.

أن تكون الحكومة عادلة وصارمة، لا يأخذها في الله لومة لائم في إقامة العدل، فيجب أن يكون الحاكم والرعية سواء أمام الحق والعدل والقانون بلا تفاوت، فلا حصانة دبلوماسية لأحد على حساب آخر.

أن يكون النصر من الله، فإذا تحقق ذلك، فتح الله أبواب السماء والأرض بالرحمة والبركة، بشرط أن يكون ذلك في زمان ملك قوم قد انقضى أجله، فقد نص رسول الله (ﷺ) على ذلك بقوله: «يا علي، إنَّ إزالة الجبال الرواسي أهون من إزالة ملك مؤجل لم تنقض أيامه»[٦٢].

وجود منجزات ملموسة ظاهرة تنعم بها الجميع، مثل استتباب الأمن، وتحسين الوضع المعاشي والاقتصادي، وإزاحة الفساد وأهله عن وجه الدولة.

الاستقلال التام لحكومة الإمام (عجل الله فرجه)، حيث أنَّه لم يعتمد على أي دولة في ظهوره أبداً، ولم يسمح لأحد أن يتدخل في شؤون حكومته، بل يبدأ بنهضته المباركة متوكلاً على الله، ومستمداً منه العون والنصر، فلا يستطيع أحد أن يملي عليه ما يريد.

فهذه أهم عناصر القوة في الدولة المباركة التي وعد الله تعالى عباده بظهورها في آخر الزمان.

٦٢ - من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٤.

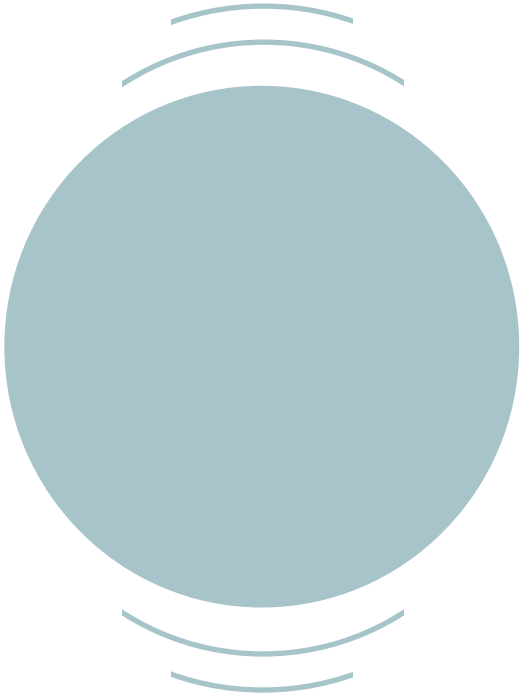

القصائد الفائزة
بالمراكز الأولى

- قَامَتُـــهُ الـــسَّمَاء.
- تجليـــتَ مُبهـــــرا.
- -نُبـــوءَةٌ أُخـــَرى.
يـــا حـــراءَ الطـــف-
- نبـــــيِّ المـــــاءِ.
- الـــوادي المقدسَ.

- قَامَتُهُ السَّمَاء -

الشاعر

حسام لطيف البَطَّاط

عَانَـقْتُ قَافيتي، وَجِئْـتُ لأَسْـمَعَكْ ... عَلّي إذا ازْدَهَتِ السَّماءُ بِمَـنْ مَعَكْ

تَتَسَـابقُ الخطـواتُ نَحْوَ بَريقِهَا ... وتُسـافرُ اللحظاتُ فِـيَّ لأَتْبَعَـكْ

وتْـرٌ فلا مَعنىً سِوَاكَ يَـلوحُ لي ... مُذْ شـاءَ رَبُّ الكونِ أَنْ لا يُشْفعَكْ

سُبْحَانَ مَنْ خَلَـقَ الكمَـالَ صَحَائِـفًا ... مِنْ نُورِهِ، وَبِكُـلِّ سَـطْرٍ أَوْدَعَـكْ!

سُبْـحانَ رَبِّـكَ لَمْ تَكُنْ مِنْ طِينةٍ ... فَاللهُ مـنْ عَـينِ العَـدَالةِ أَبْدعَكْ!

وَوُلِـدتَ في البيتِ العتيقِ بأَمْرِهِ ... كَيْ يَرفعَ البُـنيانَ لا كَيْ يَرْفَعَكْ!

وخطـيئةُ التـاريخِ أَنْ أَلبَسْـتَهُ ... ثوبَ الخُلودِ وَمَا اسْتَقامَ، فَضَـيَّعَكْ

زُوْحِمْتَ كيـفَ؟! وأَنتَ بَدرٌ شَامخٌ ... تَخْشى الليالي أَنْ تُـزَاحِمَ مَطلعَكْ!

وَعَبَرتَ للمَـجْدِ التَـليدِ مَوَاسِمًا ... مَا أَبْـطَأَ المَجْدَ التلـيدَ وأَسْرَعَكْ!

فَوَهَبْـتَ للمَعْنَى رَحَابـةَ صَدْرِهِ ... حتَّى كأنَّ الكونَ يَسـكنُ أَضْلُـعَكْ!

مَا بينَ جُرْحِـكَ والسَّـمَاء رسالةٌ ... تَتْلو بِـأنَّ اللهَ شَـرَّفَ مَنْـبَـعَكْ

وَجِراحُ أَمسِـكَ ما تَزالُ مَـنيعةً ... هَجَرَتْ ضَيَاعَ الحاكِمينَ لِتَتْـبَعَكْ

أَرَجعتَ كَيْ تَهبَ الشُّموسَ ضِيَاءَها ... أَمْ أَنَّ نَـزْفَ الغَاضِـريَّة أَرْجَعَكْ!

أَرَأَيْـتَ نَهْرًا غَـادَرَتْـهُ أَكُـفُّهُ ... فَحَمَـلْـتَهُ غَيْمًا تَوَسَّـدَ أَذْرُعَـكْ!

هِيَ لَحظةٌ أَنَّـى رَسَمْتَ طَـريقَها ... عَادَتْ إلـيكَ كـأنَّ دهرَكَ أَوْجَعَكْ

فَالفوزُ أَنْ تَطْوي السَّماءُ نُجومَها ... لِتُـلامسَ الأَرضُ الغَرِيبـةُ أَدْمُعَكْ

حَاشَاكَ، فالدُّنـــيا أَقَـــلُّ حَفَـاوةً ... مِنْ دَمعةٍ تَـجْري فَتُقـلـقُ مَضْجَعَكْ

هِيَ دَمعـــةُ المَحزونِ مِنْ أَخْطائِنا ... هِيَ صَبْرُ كلِّ الأَرضِ شاخَ فودَّعَكْ

تَلِدُ الحُروبُ زَفِـيرَهَا إنْ مَسَّـــها ... وَهجُ الفقارِ،فَكَيفَ تَلْمسُ إصْبَعَكْ؟!

رَحَلَتْ شَجَاعتُهمْ، وَعَـانقَ خَوْفُهمْ ... كُلَّ الجِهاتِ وَلَـــمْ تُغَادِرْ مَوْقِـعَكْ

السَّـيفُ تَلـــمحُهُ رُؤاكَ فَيَـنْـحني ... يَخْشَى سَمِـيُّكَ أَنْ يَضِـلَّ فَيَخْدَعَكْ!

وَلأنَّ قَامَـتَكَ السَّمـــاء تَصَاغَروا ... وَتَفيَّـؤوا وَجْهَ الصَّـلاةِ لتُـرْكِعَكْ!

فائـذَنْ لِـعزْرَائيلَ أَنْ يَطَـأَ الثَّرَى ... لا مَوتَ يَقوى كَيْ يُحاولَ مَصْرَعَكْ!

القصيدة الفائزة بالمركز الأول في جائزة الصديق الأكبر للقصيدة العمودية

- تجليتَ مُبهِرا -

الشاعر
علاء طاهر هارون

كإيقاع خطوِ السائرينَ الى الذُرى ... أتيتُـــكَ أســـتفتي عُلاكَ لأكبُرا
فإني بهذا البوحِ مـــا زلتُ أدَّعي ... بـــأنَّ الأماني لاتبـــاعُ وتُشتَرى
وإنكَ لو يَممـــتَ وجهَكَ للندى ... ســـيمطرُ من كفيكَ غيثًا مُعطّرا
ولا مَلجـــأٌ للحـــبِ غيرُ عوالمٍ ... رأتكَ فكلُّ الحـــبِ دونكَ مُفترى
أقولُ وأسترعي انتباهاتِ شـــاعرٍ ... لأخضّرَ حرفًا في مـــداكَ مُعَبِرا
وكم كانَ لي حُلْـــمٌ أراكَ حقيقةً ... تـــدلُّ متاهاتي فأســـمو بما أرى
فمُذْ أنْ عرفـــتُ اللهَ كنتُ متيمًا ... بآلِ الهدى فالعشـــقُ كانَ مُقدَّرا
تراتيلُ جدبِ الروحِ صوتُ استغاثةٍ ... الى زمزمٍ يجري وينســـابُ كوثرا
ولي من بقايا العمـــرِ أصلُ مودةٍ ... وأذانُ قلـــبٍ بالمشـــاعرِ كَبَّرا
وإنَّ انـــتماءاتي تعـــودُ لفاطمٍ ... وقررتُ أن أهـــوى عليًا وشُبرا
وآليـــتُ أن أمضي بدربكَ مؤمنًا ... وجدتُكَ للتأويلِ أصلًا وجوهرا
فأنتَ من الكَـــرمِ الثريِّ سُلالةٌ ... فكلُّ ســـخاءِ الربِّ فيكَ تَجذرا
وهذا اصطفـــاءُ الحقِّ أنكَ للهدى ... إمامٌ ونحوَ النـــورِ تتبعكَ الورى
فكنتَ من الإعجازِ سِـــفرًا معبأً ... لخاتمةِ المعنـــى فما البدءُ يا ترى ؟
فيا حُســـنَكَ الأبهى تقدسَ نورُهُ ... ويا لطفَكَ الأسمى تجليتَ مُبهِرا
كتابـــكَ ذكرٌ لا حـــدودَ لقولهِ ... فنقـــرأُ مـــن آياتهِ مـــا تيسرا

تمخضتَ قبلَ الخلـــــقِ أنورًا مُطهرا ... وآدمُ بينَ الماءِ والـــــطينِ لا يُرى
وآيتُك الكبرى نهـــــارُكَ مبصرٌ ... ودونكَ وجـــــهُ الليلِ لم يكُ مُقمرا
فلـــــولاكَ لا أدري الى أينَ وجهتي ... أباتُ على ذنـــــبٍ وأدمنُ آخرا
فهبني ولو في أخـــــرِ العُمرِ نظرةً ... ألـــــوذُ بها أعمى فأرتـــــدُ مُبصِرا

القصيدة الفائزة بالمركز الأول في مسابقة مراقي المجتبى للقصيدة العمودية الرابعة

- نُبوءَةٌ أُخرى يا حراءَ الطف -

الشاعر

حسن إبراهيم مهدي الخويلدي

-ألسنا على الحق..؟! إذًا لا نُبالي ، وقعنا على الموتِ أم وقَع علينا-
ما أوحيَ من عليٍّ الأكبر

لَن يَفهَمَ المـــوتُ كَيفَ اجْتَزْتَهُ أبَدَا ... وَكَيفَ يهرِبُ مِنكَ الآنَ مُبتَعِدَا..!
وَلَن يُبَاغِتَكَ المَجهـــولُ كَيفَ لَهُ ... أن يَهزِمَ القَدَرَ المَحتُومَ وَالأَمَدَا..!
تَخْطُو عَلَى الرِّيـــحِ بُركَانًا تَفُورُ بِهِ ... نَارُ الطُّفُـــوفِ وَفِي المِيعَادِ مَا بَرَدَا
وَأَنتَ مَن دَقَّ نَاقُوسَ المَسَـــافَةِ من ... غَارِ المَشِـــيئَةِ حَتَّى الطَّفِّ مُنفَرِدَا
يَا ابْنَ الحُسَينِ وَمَا لِلوَقتِ مُتَّسَـــعٌ ... أَن يَفهَـــمَ الآنَ مَـــاتَ
وَمَـــا إلَى الرَّملِ إلَّا المَاءَ يَســـأَلُهُ ... المُصطَفَـــى..؟! وُلِـــدَا..؟!!
-جَمَالُهُ صُبَّ فِي عَيْنَيْكَ مَبْسِـــمُهُ ... عَن فِكرَةِ الـــطِّينِ مُذ طَهَ بِكَ اتَّحَدَا
صِفَاتُهُ أَنتَ هَـــذِي كَرْبَلاؤُكَ أَم ... هَل مِن مَرَايَاهُ كُنتَ اخْتَرتَهُ جَسَدَا..؟!
عَلَوتَ تَحمِلُ فِي جُنحَيْكَ بَســـمَلَةً ... حِـــرَا ؤُ كَ . . ؟ ! ا شْرَ ح
تَمضِي إلى الله لا تُثنِيـــكَ قارعةٌ ... وَزَمِّـــل وَحْيًـــا ارْتَعَـــدَا..!
(بِئْسَ المَنُونُ أَلَسْنَا الحَقَّ يَا أَبَتِي..؟ ... أُخرَى إلَى الحَمْدِ تَتلُو مُصحَفًا وَهُدَى
يَا رَاهِبَ الطَّفِّ رُوحُ الأَرْضِ ذَابِلَةٌ ... الزَّمَانِ تَعبُرُ ، لا تَخشَـــى بِهِ أَحَدَا
وَحِينَمَا نُصِبَـــت أركانُ والِدِكَ ... لَا لَا نُبَالِي وَقَعْنَا ، أَم بِنَا احْتَشَـــدَا)
عَن مَوقِفٍ هَاشِـــمِيٍّ كُنتَ سَيِّدَهُ ... تَمشِي وَيَخضَرُّ مِن رِجْلَيْكَ أَلفُ مَدَى
-لَا مَاءَ يَا مَاءَ-طِفـــلٌ فَرَّ مُتَّجِهًا ... الحسينِ كُنـــتَ إلى خَيْمَاتِهِ وَتَدَا..!

للهِ دَرُّكَ تَعـــــدُو لِلفُـــــرَاتِ عَلَى ... فِيهِ اتَّشَحتَ الإِبَا وَالعَزمَ وَالجَلَدَا

وَكَانَ أَلبَسَـــــكَ العَبَّـــــاسُ قِربَتَهُ ... إِلَيكَ يَصرُخُ: كُن لِي يَا أَخِي مَدَدَا

عُد للمُخَيَّمِ غَيثًا وَارِوِ مَن ظَمِئُوا ... مُهرِ القِيَامَةِ بَرقًا بالرَّعِيدِ شَـــــدَا

وَدَع إِلَى الطفِّ بَعضًا مِن جَمَالِكَ يَا ... وَفَوقَ كَفَّيكَ أَضحَى النَّهرُ مُنعَقِدَا

السَّاعَةُ الصِّفرُ دَقَّت وَالحُسَينُ عَلَى ... وَامْنَح صِغَـــــارَكَ ظِلًّا وَارِفًا وَنَدَى

أَتَيـــــتَ أَوَّلَ بَدرٍ مِـــــن عَشِيرَتِهِ ... عَلِيٌّ إِن حَانَ عَاشُـــــورَاءُ وَاتَّقَدَا

-ثِقـــــلُ الحَدِيـــــدِ عَلَى ... تَلِّ السَمَاءِ يُنَادِي الغَوثَ والسَّـــــنَدَا

كَتفَيكَ..؟!تَلبَـــــسُ مِـــــن ... تَصِيحُ: لَبَّيكَ والدُّنيَا تَمُوجُ صَدَى

عَينُ الحَقِيقَـــــةِ تَحتَاجُ البَصِيرَةَ والثـ ... مَهَابَةِ المُرتَضَى وَعيًـــــا وَمُعتَقَدَا

-قُل لِـ(ابنِ غانِمَ) مَا لِلخَوفِ مِن جِهَةٍ ... ـــــبَاتَ فَابْرِز فَتًى لَا يَرحَمُ الرَّمَدَا

لَرُبَّمَا سَـــــيفُهُ الطَّاغوتُ مُستَعِرٌ ... لِمَن رَأَى العُمرَ تَحتَ الذُلِّ مَحضَ سُدَى

قُـــــل لِـــــ (الظَّما)مَـــــا الظَّما ... ورُبَّ دَعوةِ أُمٍّ تَكشِفُ الشِّدَدَا..!

وَالسِّـــــبطُ مُضطَـــــرِمٌ...؟! ... وَالجَمرُ فِي ثَغرِهِ المَحمُومِ مَا خَمَدَا..!

سِر لِلنِّهَايَةِ تِلكَ الرِّيـــــحُ عَاتِيَةٌ ... تَدُورُ فِي كَفِّ شَـــــيطَانٍ وَكَيدِ رَدَى

وَعَانِقِ التُّربَ يا ابنَ الضَّوءِ تُخبِرُهُ ... أَنَّ الوُقُوعَ صُعُودٌ..! والفِدَاءُ رِدَا

يَا صَفحَـــــةً كُلَّمَا ابْيَضَّت تُخَضِّبُهَا ... سُمرُ السُّيوفِ وَمِنها الوَحيُ مَا هَمَدَا

لَم يَفهَمِ المَوتُ مَعنَى المَوتِ يَا دَمَهُ ... حَتَّى تَنَفَّسَ مِن صَرخَاتِكَ الصُّعَدَا..!

عُد للـــــسَّمَاءِ عَلِيًّا يَـــــا عَلِيُّ كَذَا ... يَعُودُ مَن مَدَّ لِلحَـــــقِّ المَهِيبِ يَدَا

هُنَا كَسَرْبٌ مِنَ الأَملَاكِ يَفرِشُ فِي ... السَّمَاءِ وَردًا لِكَي يَستَقبِلَ الشُّهَدَا

المُصطَفَى جَاءَ كَأسُ الخُلدِ فِي يَدِهِ ... وجئـــــتَ بَعضَ نَبِيٍّ قَلبُـــــهُ مُرِدَا

الآنَ أنتَ وَطَـــــنَ الصُّورةُ اكتَمَلَت ... وَعُدتُمَا وَاحِـــــدًا فِي المُنتَهى وُجِدَا

القصيدة الفائزة بالمركز الثاني في مسابقة (شبيه المصطفى) للقصيدة العمودية

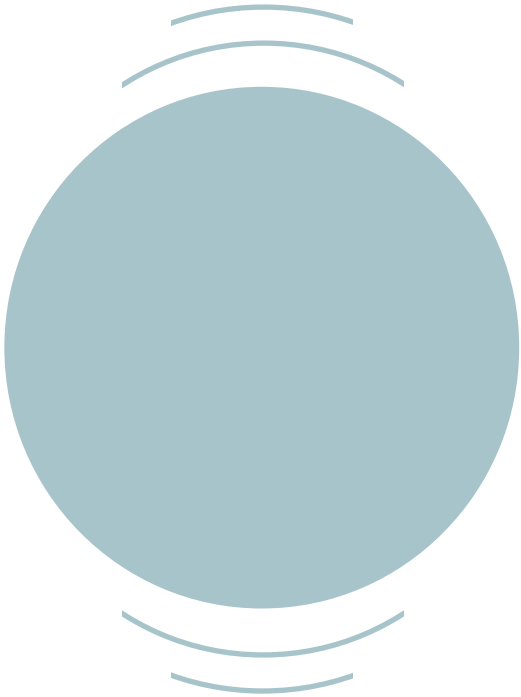

- نبيُّ الماءِ -

الشاعر
لبنان مبارك الجوراني

ركِبْتُ فيمن إلـــــى شُطآنِهِ رَكِبا ... بحرَ القوافي وأتْبعْتُ الرؤى سَبَبا
يطوفُ بي زورقُ الإلهـــــامِ مُتَّخِذًا ... سبيلَهُ في خبايـــــا بحرِهِ سربا
حتَّى إذا ما دنـــــا فِكري لِشاطِئِهِ ... وكنتُ من مجمـــــعِ الكفَّينِ مُقْتَرِبا
نوديتُ أنْ بورِكَ العباسُ من قمرٍ ... قد كان في الطـــــفِّ من آياتِنا عجبا
إذ قالَ عباسُ فـــــي يومٍ لقربَتِهِ ... سأبْلُغُ النَّهـــــرَ أو أمضي له حُقُبا
فســـــارَ حتى تدانىٰ منهُ فارتعدتْ ... فرائصُ النهـــــرِ في مجراهُ واضطربا
وقطرةً قطرةً من وجههِ رشَـــــحَتْ ... ملامحُ المـــــاءِ حتى لـونُهُ تَـربا
فَلاذَ بالجُرفِ مفـــــزوعاً يُسائلُهُ ... مابالُ مائي إلى خلفي قد انسحبا؟
برُودَتي لم تعُـــــدْ تسري بأوْرِدَتي ... مُذْ مسَّني كفُّـــــهُ أصبحتُ مُلتهِبا
جبريلُ هـــــزَّ على جُرْقَيَّ أجنحةً ... أم أنَّ موسى عليها بالعصا ضرَبا؟
من أنتَ؟ماتلك في يُمناكَ يســـــألُهُ ... إنِّي أرى قـــــربةً لا تُشبِهُ القِـرَبا
فقال إنِّي نَبِيُّ المـــــاءِ أنْبَأني ... سربُ النوارسِ أنَّ الجودَ قد نضَبا
تركتُ خَلْفِيَ وجهَ اللهِّ قد شَـــــحُبا ... وثَمَّ وَرْدٌ على غصـــــنِ الظَّما صُلِبا
بُعِثْتُ أنثُرُ في مَـــــدِّ القِفارِ ندًى ... أسقي الحياةَ نقـــــاءً والوجودَ إبا
أنا امتـــدادُ نبـــــوءاتٍ سيحمِلُها ... كفٌّ من الماءِ حتـــــى تخرِقَ الحُجُبا
وهذه قربَـــــتي بل مُصحفي فعلى ... سوادِ طَـيَّاتِها الإيـــــثارُ قد كُتِبا

وآيــتي أنّ كـــــفِّي كلّما دخلتْ ... في الماءِ تُخْرِجُ مـــــن أطرافِها اللّهبا

فلا تُطيـــــقُ بأنْ تنْـــــدىٰ أنامِلُها ... إن لم يكُ الماءُ في الخيماتِ قد شُرِبا

فماجَ من قولِـــــهِ دَهْشاً وأكْبَرَهُ ... وقَطَّعَ النهـــــرُ جُرْفيْ شَطِّهِ إرَبا

وقالَ أنت وفـــــاءٌ حَلَّ في جسدٍ ... ما كنتَ للعالـــــمِ الأرضيِّ مُنتسِبا

عبـــــاسُ لا تأتِني لوِّحْ بكـفّكَ لي، ... اركضْ برجلِك ،أوْمِئْ لي لأقْتَرِبا

آتيكَ من قبـــــلِ أنْ يرتدَّ طرْفُكَ بلْ ... أُفجِّرُ الأرضَ نبعاً أعصِرُ السُّحُبا

ليشـــــهدَ الطفُّ أنِّي قد وفيْتُ لهُ ... كما وفيْتَ فَنفْـــــدي كلَّ ما وُهِبا

منك الدماءُ ومنّـــــي الماءُ فَيضُهما ... يجري فداءً ليومِ السِّـــــبطِ مُنسكِبا

القصيدة الفائزة بالمركز الأوّل بمسابقة الجود العالمية العاشرة للقصيدة العمودية

- الوادي المقدس -

الشاعر
نجاح العرسان

لوِّن شـــفاهك بالترابِ مقبلا ... ها انت بالـــوادي المقدس كربلا
وبعين دمعك لا بعينك رطِّـــب ... الجســـد الذي ظلَّ الثلاثَ مجندلا
وانـــلْ عتابَك من تعـــذر ماؤه ... لما دنـــا ظامي الزمـــان لينهلا
مازال يهدي الشـــاربين جداولا ... وعلى يديـــه دم الحسين تجدولا
قلْ للفراتِ وقد حلا لســـقاتِه ... لو لم يُدَفْ بدم الهواشِـــمِ ما حلا
عـــن ايِّ فاجعـــةٍ أردُّ مدامعي ... ام أيِّهنَّ اذا دُعـــيتُ تجمُّـــلا
يا بن المثاني الســـبع أعني يا بن ... فاطمـــةٍ وأشرفِ من تنزلَ مُرسلا
جبريلُ هَدْهَـــدْ مَهْدَهُ ، لولا يقول ... النـــاس قد غـــالى، اراك مُنَزَّلا
لرضاك دمعي وارتجافُ أضالعي ... أرأيـــت منها ما تعـــذر او سلا
ورضيعُك ألعطشـــانُ يبسم للدما ... إذ ثَغْـــرُه بدم الوريـــدِ تبللا
لم يشـــهد التاريخ اقـــذَرَ من يدٍ ... ترمي ولا من نحـــر طفلك أنبلا
ســـهمٌ تريَّش حقد هندٍ فيه حقد ... الارض أوترَ قَوسَـــه وتَحرملا
كيف انتبهتَ ومـــا انتبهتَ لنَصلِهِ ... مـــا بين كفِكَ والقماط تســـللا
أم كيف رَفْـــرَفَ كالحمامةِ كفُهُ ... يومي لثغْرِك يا حـــسين مُقبِلا
فتنازعوا والســـهم الَّفَ بينهم ... فأصاب جـــدك اذ أصابك أولا
وتركتَ نزفَك صاعدا نحو السما ... فأهالها عطـــشُ النزيفِ وأذهلا
وعيون جدك وهي تجمع ما رميت ... حـــكين نزفـــك واتَّبَعْنَك هملا
وعيون أمك وهي تغسل بالدموع ... نثـــار اشلاءٍ توزَّعَـــت الفلا

حين احْتَمَلْتَ السهم ثم نزعتَهَ ... فأصاب من غير احتمالِك مَقْتَلا
فَتَمَلْمَلَتْ بأنينها لما رأتْ ... مازالَ فيكَ من الانينِ تململا
يا آيةَ الصبر الجميل ،على مَهيضِ ... جراحِهِ صبر السيوفِ تفللا
لولاك لم ينْجُ الوجود ولم يكن ... ولظلَّ مُلْقىً في الضآلة مُهمَلا
حُشِرَت ..وعُطِّلت العشارُ وما تَكَوَّر ... في الكتابِ إذ استقام تعطَّلا
والثأرُ أحصى قاتليك الى قريبِ ... من أمانيِّ الظهورِ تأجلا
يا سيدَ اللاآت والرفضِ المُؤوَّلِ ... حيثُ يأبى الرفض أن يتأولا
وعيون عرش الله والملأ الملائكُ ... قد صبغن السبعَ سبعا ثُكلا
يا امةً هي مبتلاةٌ بابن بنت ... نبيها أم أنت فيها المُبتلا
والله ينظر لست أدري ما يراه ... وجلَّ عما لا يرى ان يسألا
الأرض ملكك حيث شئت أمينةٌ ... لو كنتَ قلتَ بلا ولكن قلت لا
سبعون الفا مدبرون وقد رأوا ... وجه المنية خَلفَ وجهِك أقبلا
ويتيمةٌ يسعى وراءَك خوفُها ... أبه قلْ لساعي الموتِ أن يتمهلا
كي تمسحَ الرأسَ المعدَّ لِيُتْمِهِ ... فغدا يقولُ لكلِّ قارعةٍ بلا
وتُريكَ كيف على خرائِبِ خدِها ... راحت سواقي الدمعِ تجري حنظلا
قمرُ العشيرةِ من تركتَ على الشريعةِ ... بالجراح من الجراح تغسَّلا
لم يلتفت لأكفِّه أوعينهِ ... وبصدرهِ اغْتَرفَ الكتائبَ أعزلا
والجودُ ينزف مثل نَزف جراحه ... بدرا على وجه الرمال ترجلا

متـــــوسلا بالمـــــوت دون أكُفِّهِ ... والموت بين يديه مـــــات توسُّلا

أ مـــــرملا عند الفـــــرات تركتَهُ ... أم أنَّ قلبَكَ من تركـــــتَ مُرَمَّلا

فـــــأسرَّ قلبَك أن مـــــن بالأمس ... ظامي كربلاء اليوم ســـــاقي كربلا

يا عين زينب اذ خلت من خدرها ... لم تَخْـــــلُ باكيـــــةً على خدر خلا

حطَّتْ وأعشَـــــبَت المصائبُ فوق ... هامة راســـــها وأراح راحتَهُ البلا

عينٌ على الرأس المســـــمَّرِ بالقنا ... عينٌ على الشـــــفة المضاءَة بالصلا

وعلى اليتامى والســـــبايا والعليلِ ... تَعُـــــدُّ أدمُعَهُ وتحفـــــظُ ما تلا

عين استحي يا عين لو أمن القطا ... لغفى أما لـــــك والكرى أن تخجلا

اليومَ قد خلـــــت الديارُ من الأحبةِ ... لم تعـــــدْ كالأمس تعبـــــقُ منزلا

المؤمنـــــون ســـــنابلٌ والله من ... بَذرَ الهواشـــــم للهدايةِ ســـــنبلا

أكرامـــــةً أن الطليـــــق وحزبُه ... صاروا لســـــنبلةِ الهدايةِ منجلا

كتبت هذه القصيدة في ذكرى أستشهاد الامام الحسين (عليه السلام) في ايام عاشوراء

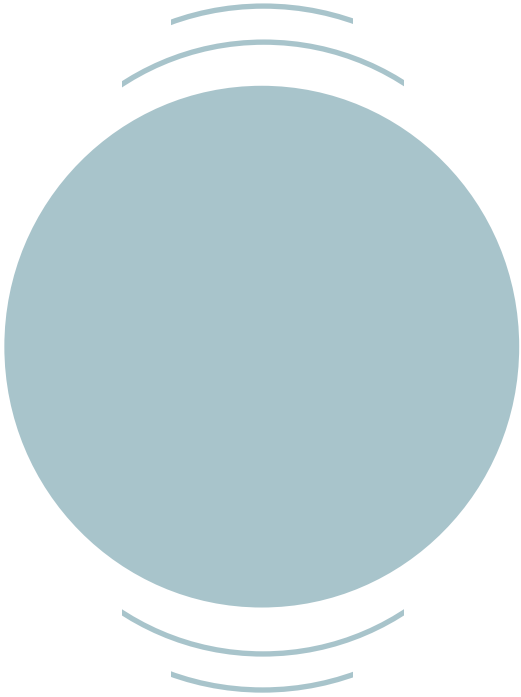

البطاقات الخاصة بالمناسبات النصف سنوية

شـهر رجـب الأصـب
شـهر شـــــعبان
شـهر رمضـــــان
شـهر شـــــوال
شـهر ذو القعـدة
شـهر ذو الحجـــة

رجب
١ رجب:
ولادة
٢ رجب:
ولادة
٣ رجب:
استشهاد
١٠ رجب:
وفاة
١٠ رجب:
ولادة
١٣ رجب:
ولادة
١٥ رجب:
وفاة
٢١ رجب:
ولادة
٢٥ رجب:
استشهاد
٢٧ رجب:
المبعث النبوي

شهر رجب الأصب:

١ رجب: ولادة الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في المدينة المنورة سنة ٥٧هـ، (على رواية).

٢ رجب: ولادة الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي السلام سنة ٢١٢هـ، (على رواية).

٣ رجب: استشهاد الإمام أبي الحسن علي الهادي (عليه السلام) سنة ٢٥٤ هـ.

١٠ رجب : وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام) سنة ٣ قبل الهجرة.

١٠ رجب: ولادة الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) سنة ١٩٥هـ.

١٣ رجب: سنة ٢٣ قبل الهجرة ولد صاحب الحوض وحامل اللوء وثاني أهل العبء البائت على فراش النبي والمفديه بنفسه من الأعداء، ابن عم الرسول وسيف الله المسلول وزوج البتول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمكة في داخل البيت الحرام سنة ٣٠ من عام الفيل.

١٥ رجب: وفاة عقيلة الطالبيين السيدة زينب (عليها السلام) بنت أمير المؤمنين(عليه السلام) وبنت فاطمة سيدة نسء العالمين (عليها السلام) سنة ٦٢ هـ.

٢١ رجب: ولادة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين (عليها السلام) سنة ٤٨ هـ.

٢٥ رجب: استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) سنة ١٨٣ هـ.

٢٧ رجب : المبعث النبوي أو البعثة النبوية الشريفة عام ١٣ قبل الهجرة وفيه بدأ نزول الوحي والقرآن على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان عمره الشريف ٤٠ عاماً، ويعتبر هذا اليوم عيداً كبيراً ومباركاً للمسلمين.

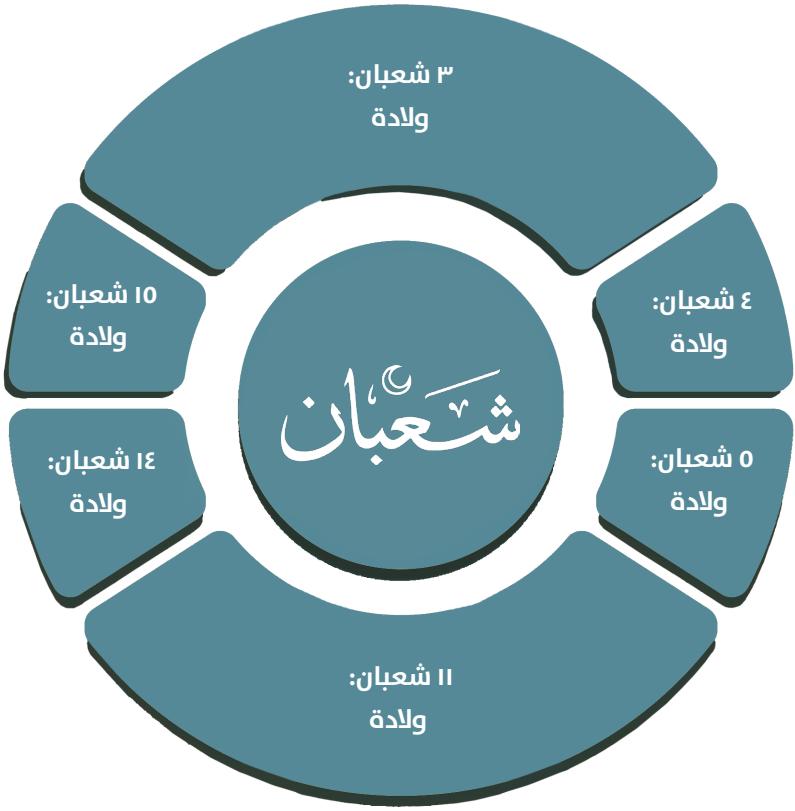
شَعبان
٣ شعبان:
ولادة
٤ شعبان:
ولادة
٥ شعبان:
ولادة
١١ شعبان:
ولادة
١٤ شعبان:
ولادة
١٥ شعبان:
ولادة

شهر شعبان:

٣ شعبان: ولادة ريحانة الرسول (صلى الله عليه وآله) وسبطه الثاني سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) سنة ٤ هـ وقيل ٣ هـ.

٤ شعبان: ولادة قمر بني هاشم أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة ٢٦ هـ

٥ شعبان: ولادة النور الرابع من أنوار أهل البيت الطاهرين الإمام السجاد، علي بن الحسين، زين العابدين (عليهما السلام) سنة ٣٨ هـ.

١١ شعبان: ولادة أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) علي الأكبر (عليه السلام) ابن الإمام الحسين (عليه السلام) سنة ٣٣ هـ

١٤ شعبان: ولادة القاسم ابن الإمام الحسن (عليه السلام) سنة ٤٧ هـ.

١٥ شعبان: ولادة خاتم الأوصياء ومؤسس الدولة العالمية العادلة، المنصف لآل محمد (صلى الله عليه وآله) ولي الله وبقيته الحجة ابن الحسن (عجل الله تعالى فرجه الشريف) سنة ٢٥٥ هـ

شهر رمضان
٧ شهر رمضان: وفاة
١٠ شهر رمضان: وفاة
١٥ شهر رمضان: ولادة
١٧ شهر رمضان: أسري برسول الله (ﷺ)
١٩ شهر رمضان: ضُرب الإمام
٢١ شهر رمضان: استشهاد
٢٩ شهر رمضان: نشر الصحف

شهر رمضان:

٧ شهر رمضان: وفاة أبي طالب السلام (على رواية)

١٠ شهر رمضان: وفاة ناصرة الرسول (ﷺ) والدين أم المؤمنين خديجة بنت خويلد سنة ١٠ من البعثة، وقيل في ١٠ رجب

١٥ شهر رمضان: ولادة الإمام الحسن ابن الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) سنة ٣ هـ

١٧ شهر رمضان: أسري برسول الله الا الله سنة ٢ من البعثة وقيل لستة أشهر قبل الهجرة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه الى السمء و كانت غزوة بدر الكبرى وقيل في ١٩ من شهر رمضان سنة ٢ هـ.

١٩ شهر رمضان : ضُربَ الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام) بالسيف على أم رأسه على يد أشقى الأولين والآخرين ابن ملجم (لعنه الله) سنة ٤٠ هـ

٢١ شهر رمضان: ذكرى استشهاد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سنة ٤٠ هـ

٢٩ شهر رمضان: ليلة نشر الصحف على إبراهيم (عليه السلام) ، ودعء النبي (ﷺ) للاستسقء سنة ٦ هـ.

٥ شوال:
وصول مسلم بن عقيل (عليه السلام)
٨ شوال:
هدم القبور
١٥ شوال:
ردت الشمس
لأمير المؤمنين
٢٠ شوال:
اعتقال
٢٥ شوال:
شهادة
شوال

شهر شوال:

٥ شوال : وصول مسلم بن عقيل (عليه السلام) إلى الكوفة سنة ٦٠ هـ

٨ شوال : قيام الفرقة الضالة الوهابية بهدم قبور أئمة البقيع (عليهم السلام) وقبر حمزة سيد الشهداء (عليه السلام) في معركة أحد سنة ١٣٤٤ هـ

١٥ شوال : ردت الشمس لأمير المؤمنين (عليه السلام) ، حيث حدث ذلك مرتين مرة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) في مسجد الفضيخ والمعروف بمسجد رد الشمس ومرة أخرى بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) وذلك في أرض بابل سنة ٣ هـ. وكذلك حدثت غزوة أحد واستشهاد حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام) (على رواية) سنة ٣ هـ.

٢٠ شوال : اعتقال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) بأمر هارون سنة ١٧٩ هـ .

٢٥ شوال : شهادة الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) سنة ١٤٨ هـ وكان له من العمر ٦٥ سنة.

١ ذو القعدة:
ولادة
١١ ذو القعدة:
ولادة
٢٥ ذو القعدة:
يوم دحو الأرض
٢٩ ذو القعدة:
شهادة
ذُوالقِعدة

شهر ذو القعدة:

١ ذو القعدة: رفع إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) قواعد البيت الحرام. * ولادة السيدة فاطمة المعصومة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سنة ١٧٣ هـ (على رواية)

١١ ذو القعدة: ولادة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) سنة ١٤٨ هـ.

٢٥ ذو القعدة: يوم دحو الأرض .

٢٩ ذو القعدة: شهادة الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام) سنة ٢٢٠ هـ.

ذو الحجة
١ ذو الحجة:
زواج فاطمة (عليها السلام)
٢ ذو الحجة:
ولادة
٧ ذو الحجة:
استشهاد
٩ ذو الحجة:
استشهاد
١٠ ذو الحجة:
عيد الأضحى
١٥ ذو الحجة:
ولادة
١٨ ذو الحجة:
عيد الغدير

شهر ذو الحجة:

١ ذو الحجة : زوج رسول (ﷺ) فاطمة (عليها السلام) من أمير المؤمنين (عليه السلام) سنة ٢ هـ

٢ ذو الحجة : ولادة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) سنة ٢١٢ هـ

٧ ذو الحجة : شهادة الإمام محمد الباقر (عليه السلام) سنة ١١٤هـ.

٩ ذو الحجة: شهادة مسلم بن عقيل السلام وهانئ بن عروة (رضي الله عنه) في الكوفة سنة ٦٠ هـ

١٠ ذو الحجة: عيد الأضحى .

١٥ ذو الحجة: ولادة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) سنة ٢١٢ هـ (على رواية).

١٨ ذو الحجة: عيد الغدير الأغر سنة ١٠ هـ، حيث عقد رسول الله (ﷺ) لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) العهد بالإمامة في رقاب الأمة كافة.

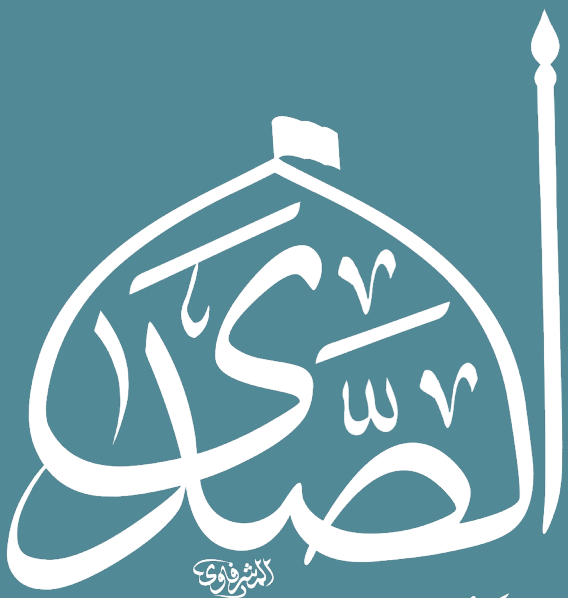

مجلة فكرية نصف سنوية

تصدر عن العتبة العباسية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مركز الفكر والإبداع